شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت
علم وخبر 287/ 2009

العدد الخمسون، السنة الخامسة، رجب ١٤٣٥ - أيار ٢٠١٤

المدير المسؤول
خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي
أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط
علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد
دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية
تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه
المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار
- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال
تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي
03/725246 - 01/544955
ص.ب: 25/5141
www.saraer.org/shaaer
shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — الأشهُر الحُرُم، والأمنُ والسّلام ..... الشّيخ حسين كوراني ٦

تحقيق — هضبةُ النّجف، مَرساةُ فُلك نوحٍ عليه السلام ..... د. موسى العطيّة ٨

مراقبات — أعمال شهر رجب ..... إعداد: "شعائر" ١٣

أحسن الحديث — الرّوح من عالم الأمر ..... العلّامة الطّباطبائيّ قدس سره ١٨

موجز تفسير سورة "الحُجُرات" ..... إعداد: سليمان بيضون ٢٠

أيام الله — مناسبات شهر رجب ..... إعداد: صافي رزق ٢٢

وقال الرسول — الغفلة لماذا؟ والشّيطان هو العدوّ ..... إعداد: محمّد ناصر ٢٤

حدود الله — أحكام مورد ابتلاء ..... إعداد: "شعائر" ٢٥

يزكّيهم — كيف نرجو الله تعالى؟ ..... الميرزا الملكيّ التّبريزيّ قدس سره ٢٦

الملف — مؤلّفات أمير المؤمنين عليه السّلام ٢٧

استهلال ..... في الصّلاة على الإمام عليّ عليه السلام ٢٨

هذا الملفّ ..... "شعائر" ٢٩

مؤلّفات أمير المؤمنين عليه السلام ..... إعداد: أسرة التّحرير ٣٠

لولا دعاؤكم — أبرز أدعية أيّام رجب ..... إعداد: "شعائر" ٤٣

صاحب الأمر — زيارتان مرويّتان عن الإمام المهديّ عجل الله فرجه ..... برواية الشّيخ الطّوسيّ ٤٤

حوارات

مع الفقيه الكبير الشّيخ الفضلي قدس سره

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	"مَن صلّى في رجب.."	إعداد:"شعائر"	٤٦
يذكرون	"..وإنّها لتُضاعَف" في رجب	إعداد:"شعائر"	٤٧
حوارات	مع الفقيه الكبير الشّيخ الفضلي دام عزّه	إعداد: أسرة التّحرير	٤٨
فكر ونظر	السّير والسّلوك عند الميرزا التّبريزيّ	آية الله الشّيخ مكارم الشّيرازيّ	٥٢
	تلازُم العقل والقلب والشّرع	العلّامة الطّهرانيّ رحمه الله	٥٤
أعلام	التّابعيّ الكبير مالك الأشتر النّخعي	إعداد: "شعائر"	٥٧
كلمة سواء	المحبّة أساس البناء الاجتماعيّ	د. أليس كوراني	٦١
وصايا	وصيّة المفضَّل الجُعفيّ لجماعة الشّيعة	برواية ابن شعبة الحرّاني	٦٢
مرابطة	مع المجاهدين: ذلك الفوزُ العظيم	الشيخ حسين كوراني	٦٤
وثائق	السّلطات الوهّابية تدفن بيت رسول الله صلى الله عليه وآله	إعداد: "شعائر"	٦٦
دوائر ثقافية			٦٧
موقف	النّبيّ طبيبُ الرّوح	الفقيه ابن ميثم البحراني	٦٨
فرائد	"حتّى لو كلّفني ذلك حياتي"	إعداد: "شعائر"	٦٩
قراءة في كتاب	"جامع الأخبار" للشّيخ محمّد السّبزواري	قراءة: سلام ياسين	٧٠
بصائر	ليلة الرّغائب	إعداد: "شعائر"	٧٢
مصطلحات	العدالة	الشّهيد الثّاني قدس سره	٧٤
مصطلحات	الدّستور	عبد الله طلبة	٧٥
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ خصال	إعداد: جمال برو	٧٦
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة	٧٩
أيّها العزيز	ويلٌ لِمَن كان شفيعُه خصمَه	الإمام الخميني قدس سره	٨٢

بسملة

الأَشْهُرُ الحُرُمُ، وَالأَمْنُ وَالسَّلامُ

■ الشيخ حسين كوراني

﴿.. اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا... مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم..﴾ قرآن كريم

تَتَماهى حُرْمَةُ الزَّمانِ وَالمَكانِ، وَتَلْتَقي بِاحْتِرامِ جَميعِ الكائِناتِ وَحُرْمَتِها، لِتَصُبَّ الرَّوافِدُ الثَّلاثَةُ في بَحْرِ حُرْمَةِ الإِنْسانِ.

تَتَّسِعُ مِرْوَحَةُ هَذِهِ الحُرْمَةِ الهَدَف، لِتَسْتَوْعِبَ عالَمَ المَعْنى عَلى عَظيمِ سَعَتِهِ الأَرْحَبِ مِنَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ. تَتَّصِلُ بِرِضْوانِ اللهِ تَعالى: ﴿..وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..﴾ التّوبة:٧٢.

في هَذا السِّياقِ تَتَبَدّى حُرْمَةُ «إِقْليمِ المُلْكِ» الإِنْسانِيِّ، وَعالَمِ الظّاهِرِ واللَّفظ، بعضَ تَجَلّيات هذا المَخْزونِ الاسْتراتيجِيِّ – بَلِ الإِلَهِيِّ – في آفاقِ عالَمِ «المَلَكوتِ».

جَوْهَرَةُ الإِنْسانِيَّةِ، وَالفِطْرَةِ الأَصْفى، مِلاكُ الحُرْمَةِ وَالسِّرّ.

تَسْري حُرْمَةُ الإِنْسانِ من حَرَمِ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَسَريرَتِهِ، إِلى حُرْمَةِ سوءِ الظَّنِّ بِهِ، فَحُرْمَةُ المَسِّ بِسوءٍ، فَإِثارَتِهِ، فَمَساءَتِه، فَالإِساءَةِ إِلَيْهِ، فَالأَذى، تَدَرُّجاً إِلى القَتْلِ فَالتَّمْثيلِ بِهِ.

قِوامُ هَذِهِ الحُرْمَةِ العَقْلُ. بِمِقْدارِ حُضورِهِ وَمُعافاتِهِ يَكونُ «الفِكْرُ».

لا حُرْمَةَ لِلْفِكْرِ إِلّا بِما رَشَحَ مِنْ حُرْمَةِ العَقْلِ.

لا حُرْمَةَ لِلإِنْسانِ إِلّا مِمّا رَشَحَ مِنَ العَقْلِ. لا حُرْمَةَ لِلْعَقْلِ إِلّا بِما عَقِلَ. قالَ الإِمامُ جَعْفَرٌ الصّادِقُ عليه السلام: «**لا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً إِلّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلا مَعْرِفَةَ إِلّا بِعَمَلٍ، فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ المَعْرِفَةُ عَلى العَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلا مَعْرِفَةَ لَهُ. أَلا إِنَّ الإِيمانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ**».

حُرْمَةُ الحَقِّ «المَعْقول» لُبُّ المِلاك، وَسِرُّ السِّرّ. تُحْفَظُ الحُرْمَةُ بِالعَمَل.

***

سَلامَةُ العَقْلِ وَحاكِمِيَّتُهُ، رَهْنُ الأَمْنِ وَالسَّلام. تَتَعاظَمُ مِرْوَحَتُهُما وَتَتَّسِعُ: مِنَ الأَمْنِ النَّفْسِيِّ وَرَحيقه السَّلام، إِلى الاجْتِماعِيِّ بِتَكَثُّرِ دَوائِرِه: مِنَ ﴿..الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ – القَريبِ – إِلى «**سائِرِ ما خَلَقْتَ وَمَنْ خَلَقْتَ مِن خَلْقِكَ الصّامِتِ وَالنّاطِق**». بَيْنَ الأَمْنِ النَّفْسِيِّ وَالسَّلامِ الفَرْدِيَّيْن، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالسَّلامِ العالَمِيَّيْنِ كُلُّ النَّسَبِ وَالسَّبَب.

شَوْبُ الباطِلِ إِخْلالٌ بِالأَمْنِ، يَخْدِشُ صَفْوَ السَّلام. شَوْبُ الباطِلِ طَيْفُ اعْتِداءٍ عَلى العَقْلِ. شُروعٌ بِكَسْرِ الحُرْمَةِ. «الغِيبَةُ» – ذِكْرُ الفَرْدِ بِما يَكْرَهُ – عُدْوانٌ عَلى الأَمْنِ النَّفْسِيِّ، لا يَنْفَصِلُ عَنِ الإِخْلالِ بِالسَّلامِ العالَمِيِّ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يونس:٢٥.

دارُ السَّلامِ في الآخِرَةِ، باطِنُ دارِ السَّلامِ في الدُّنْيا. الاسْتِقامَةُ رِعايَةُ حَقِّ الحُرُماتِ. الدّينُ اسْتِقامَةٌ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هود:١١٢.

شَوْبُ الباطِلِ سَيِّئَةٌ. شَوْبُ الحَقِّ حَسَنَةٌ. السَّيِّئاتُ صَغائِرُ وَكَبائِرُ. لا تَكونُ الحَسَناتُ – بِرِعايَةِ حُرْمَةِ الحَقِّ – إِلّا كِباراً.

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

***

الدّينُ عَقْلٌ وَحُرْمَةٌ. العُمْرُ مَدْرَسَةُ إِعْمالِ العَقْلِ، وَالْتِزامِ ما يَعْقِلُ بِحِفْظِ حُرْمَتِه. شَوْبُ تَغْييبِ العَقْلِ ذَنْبٌ وَمَعْصِيَةٌ. الذَّنْبُ شُعْبَةٌ مِنَ الجُنونِ. يَبْقى أَدْواريّاً أَوْ يَسْتَشْري فَيُطْبِقُ. مِفْتاحُ تَغْييبِ العَقْلِ –الجُنون – كَسْرُ الحُرْمَةِ.

تَمَسُّ الحاجَةُ - إذاً - إلى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ حُرُمٍ، وَإلى إحْرامِ شَهْرِ رَمَضانَ - وَلَيْلَةِ القَدْرِ خاصَّةً - وَإحْرامِ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، وَلَيْلَةِ الجُمُعَةِ - لَيْلَةِ قَدْرِ الأُسْبوعِ - وَإحْرامِ العَهْدِ وَاليَمينِ وَالنَّذْرِ، وَإحْرامِ ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ .. و﴿..لِيُنْذِرُوا﴾.. كُلُّ ذَلِكَ لِتَعْزيزِ ثَقافَةِ رِعايَةِ الحُرُماتِ وَجِهادِها الأَكْبَرِ، مَنْعاً لِتَسَلُّقِ شَوارِعِ الغَرائِزِ أَسْوارَ مَدْرَسَةِ العَقْلِ.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ التّوبة:٣٦.

* في (جَوابات أَهْلِ المَوْصِل) **قالَ الشَّيْخُ المُفيدُ**: «إنَّ رَسولَ اللّه ﷺ قالَ: **إنَّ السَّنَةَ اثْنا عَشَرَ شَهْراً، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: رَجَبٌ، وَذو القَعْدَةِ، وَذو الحِجَّةِ، وَمُحَرَّمٌ، ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ مُتواليات، وواحِدٌ فَرْدٌ. وَشَهْرُ رَمَضانَ مِنْها** [من الاثنَي عشر] **مَفْروضٌ فيهِ الصِّيامُ، فَصوموا لِلرُّؤْيَةِ، وَأَفْطِروا لِلرُّؤْيَةِ، فَإذا خَفِيَ الشَّهْرُ فَأَتِمّوا ثَلاثينَ يَوْماً**».

***

كَسْرُ الحُرْمَةِ في عالَمِ المَعْنى وَالمَلَكوتِ، هُوَ الأَخْطَرُ. لَيْسَ دَوِيُّ المَدافِعِ، وَهديرُ الطّائِراتِ - فَضْلاً عَنْ تَشَظّي الأَجْسادِ، وَلَعْلَعَةِ الرَّصاصِ - إلّا مُنَبِّهاً شَرْطِيّاً لِلْبَحْثِ عَمّا دَقَّ مِنَ الحُرْمَةِ، وَشَفَّ.

قَدْ يُؤَدّي التَّنَبُّهُ وَالتَّدْقيقُ إلى أَنَّ هَذِهِ المَعْرَكَةَ الضَّروسَ لِصالِحِ حِفْظِ الحُرُماتِ.

وَقَدْ يَكونُ المُنَبِّهُ الشَّرْطِيُّ كَلِمَةً. يوصِلُ تَدَبُّرُها إلى أَنَّ عالَمَ المَعْنى شَهِدَ بِسَبَبِها مَجْزَرَةً حَقيقِيَّةً في اجْتِياحِ الحُدودِ وَكَسْرِ الحُرُماتِ.

في الحَديثِ القُدْسِيِّ: «**مَنْ أَهانَ لي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحارَبَتي**». في الحَديثِ الشَّريفِ: «**المُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ الكَعْبَةِ**». **قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: «إيّاكُمْ وَالغيبَةَ فَإنَّ الغيبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنا؛ إنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَزْني فَيَتوبُ، فَيَتوبُ اللهُ عَلَيْهِ، وَإنَّ صاحِبَ الغيبَةِ لا يُغْفَرُ لَهُ حَتّى يَغْفِرَ لَهُ صاحِبُهُ**».

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ إبراهيم:٢٤-٢٦.

***

لَيْسَتْ حَرَكَةُ عالَمِ المُلْكِ وَالظّاهِرِ مِلاكَ كَسْرِ الحُرْمَةِ أَوْ عَدَمِه. لَيْسَتْ - أَيْضاً - مِلاكَ دَرَجَةِ خُطورَةِ هَذا الكَسْرِ أَوْ عَدَمِه. عالَمُ المِلاكِ عالَمُ المَعْنى لا عالَمُ الظّاهِرِ. المِلاكُ، الجُرْأَةُ عَلى الحَقِّ. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ لقمان:٣٠.

قالَ سَيِّدُ العُلَماءِ المُراقِبينَ، السَّيِّدُ ابْنُ طاوس: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ إذا كانَتِ الأَشْهُرُ الحُرُمُ قَدِ اقْتَضَتْ في الجاهِلِيَّةِ وَالإسْلامِ تَرْكَ الحُروبِ وَالسُّكونَ عَنِ الفِعْلِ الحَرامِ، فَكَيْفَ تَحْتَمِلُ هَذِهِ الشُّهورُ أَنْ تَقَعَ مُحارَبَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَمالِكِهِ في شَيْءٍ مِنَ الأُمورِ، وَكَيْفَ يَعْظُمُ وُقوعُ المَحارِمِ بَيْنَ عَبْدٍ وَعَبْدٍ مِثْلِهِ، وَلا يَعْظُمُ أَضْعافُ ذَلِكَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ مالِكِ أَمْرِهِ كُلِّهِ، فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنَ التَّهَوينِ بِاللهِ في هَذِهِ الأَوْقاتِ المُحَرَّمَةِ، وَأَنْ يَهْتِكَ العَبْدُ شَيْئاً مِنْ شُهورِها المُعَظَّمَةِ».

الفِقْهُ، وَالعِلْمُ، ثَقافَةُ قانونِ حِفْظِ الحُرُماتِ، وَالضَّلالُ البَعيدُ، تَجاوُزُ حُدودِ هَذِهِ الحُرُماتِ.

الأَشْهُرُ الحُرُمُ، مَوْسِمُ هَذِهِ الثَّقافَةِ الأَبْرَزُ. لَيْسَ لِأَحَدٍ حَقُّ اسْتِبْدالِ حَتّى التَّوْقيت، وَلَوْ بِتَأْخيرِ بَعْضِ هَذِهِ المَفاصِلِ الأَرْبَعَةِ.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ التّوبة:٣٧. [النَّسيءُ: تأخير بعض الأشهر الحرم إلى غيرها من الشّهور]

﴿..وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ..﴾

هضبةُ النّجف، مَرساةُ فُلك نوح عليه السّلام

هضبة النجف الأشرف حيث رست سفينة النّبي نوح ﷺ، ويبدو في الصورة موضع مدينة بابل (مجلة تراث النجف)

الخبير الجيولوجيّ د. موسى العطيّة

أظهرت دراسة أعدّها الخبير الجيولوجيّ الدّكتور السّيّد موسى جعفر العطيّة حول تاريخ النّجف الأشرف وتراثه الجيولوجيّ أنّ نشوء «هضبة النّجف» يندرجُ ضمن مظاهر الإعجاز الإلهيّ في ملحمة طوفان نوح ﷺ، حيث رست عليها سفينتُه التي أمرَه الله تعالى بصُنعها. واستندت الدّراسة في ذلك إلى خلاصات تحليلٍ معمّقٍ للخصائص الطّوبوغرافيّة، والطّبَقيّة، والتّركيبة الجيولوجيّة للهضبة. وتقاطعت تلك الخصائص مع الآليّات المعروفة في علوم الأرض حول نشوء الهضاب، فتناقضت خصائصُ الهضبة مع سياقات تلك الآليّات.

هذا التّحقيق، مختصَر عن الدّراسة التي أعدّها الدّكتور العطيّة، ونُشرت في العدد الأوّل من المجلّة الفصليّة العلميّة المحكَمة (تراث النّجف)، التي تُعتبَر فتحاً نوعيّاً في عالم الصّحافة الملتزمة، وتُعنى بالبحوث والدّراسات حول تراث مدينة النّجف الأشرف الحضاريّ والدّينيّ.

تناولت هذه الدّراسة أيضاً خصائص الأرض في النّجف الأشرف، وفي مقبرتها الشّهيرة، وخصائص الأرض في مسالك «درب زُبَيْدَة» المشهور الذي يبدأ من مدينة النّجف، ويربط العراق بالدّيار المقدّسة في الحجاز.

كما تناولت أيضاً الوضع البنيويّ والتّركيبيّ لأرض الغريَّين، وجغرافيّتها القديمة، حيث كانت على امتداد تاريخها الجيولوجيّ جزءاً من بحرٍ كبيرٍ، يغطّي معظمَ مناطق العراق.

قصّة طوفان نوح عليه السّلام، وبُعدها العالميّ

اقترن ذكر النّبيّ نوح عليه السلام بالطّوفان الذي أحدثه الله تعالى عذاباً لقومه الذين لم يؤمنوا، وبسفينته التي أمرَه الله بصُنعها لينجو بها ومن آمن معه من الغرق. وقد اختزنت ذاكرة البشريّة تلك القصّة، ودوّنتها في تراثها الحضاريّ، كما أشارت إليها الكتب السّماويّة، وتحدّثت عن الطّوفان العظيم، لما في ذلك كلّه من عِبَرٍ واعتبار بالقدرة الإلهيّة، وإعجازها المقرون برسالاته ورسله – جلَّ شأنه – إلى البشريّة، وما تكتنفها من رحمةٍ وغضبٍ تقتضيها الحكمة الإلهيّة.

لقد أجمعت البشريّة، على مختلف أجناسها ودياناتها، على حقيقة قصّة الطّوفان، وإنْ اختلفت رواياتها حول تفاصيل أحداثها وفصولها؛ فقد وردت أخبار الطّوفان في التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم، كما وردت في الرّوايات السّومريّة والبابليّة، وفي «ملحمة غلغامش» [هي ملحمة سومريّة مكتوبة بخط مسماريّ، يعتبرها البعض أقدم وثيقة كتبها الإنسان]؛ ولكن إذا ما أردنا قراءة فصول هذه الواقعة الإلهيّة، والتّعمّق في مضامينها، والوقوف على حوادثها وفصولها، فلا بدّ أن نتأمّل بدايةً ما ورد حولها في القرآن الكريم، في مواضع عديدة من سوَره وآياته، فنختار منها، على سبيل المثال، قولَه تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هود:٣٦–٤٤.

وفي إشارة أخرى، نقرأُ قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ المؤمنون:٢٧–٣٠.

التّدبير الإلهيّ في قضيّة الطّوفان وانحساره

ممّا تقدّم من العرض القرآنيّ لقصّة النّبيّ نوح عليه السلام مع قومه، وعذاب الله الذي أنزله بهم، نقف على معانٍ ومضامين غزيرة، نستخلص منها ثلاث صور للتّدبير الإلهيّ في موضوع الطّوفان، ملاحظين أنّ الإيقاع الزّمنيّ لتسلسل هذه الصّور الثّلاث كان سريعاً، وخاطفاً:

١– أحدثَ الله تعالى الفيضانَ على نحوٍ مفاجئ ليُغرق قومَ نوحٍ إلّا مَن آمن منهم، وهم الذين ركبوا معه في السّفينة التي أمره الله تعالى بصُنعها. أي أنّ الأرضَ قد فاضت بسرعة، فلم تُمهل الكافرين للخلاص من العذاب، وهذا الأمر تدبيرٌ إلهيّ معجِز.

٢– رُسوّ سفينة نوح على أرضٍ مرتفعة، مغمورةٍ بمياهٍ قليلة، ما سمحَ لها بالتّوقّف. ﴿..بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ..﴾ هود:٤١. وفي الأثناء حُفظت السّفينة ومَن عليها وسط مخاطر الأمواج الشّبيهة بالجبال. وبعد أن استقرّت الفُلكُ على اليابسة، استشعر أولئك المؤمنون الطّمأنينة، وازدادوا إيماناً مع إيمانهم بصدق النّبيّ والنّبوّة، بعدما نجّاهم الله سبحانه من الغرق، وشاهدوا بأعيُنهم مصير الكافرين، فقد غرقوا بعدما جرفهم الطّوفان، تحقيقاً لوعد الله سبحانه الذي أشارت إليه الآيّة الكريمة؛ وهذه هي المعجزة الثّانية.

٣– تصريفُ مياه الطّوفان، بعد تنفيذ الحكم الإلهيّ بعذاب قوم نوح، لتستمرّ الحياة. ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ..﴾ هود:٤٤. فقد انحسر الماء لتظهر اليابسة من جديد، وسرعةُ انحسار مياه الطّوفان هَهنا بمنزلة المعجزة الثّالثة في التدبير الإلهيّ.

وإزاء هذه الصّور المُتتاليات، ولإعانة المخيّلة على رسم صورة تُشبه ولو من بعيد «واقعة الطّوفان»، يجدر بنا الوقوف عند حدثٍ شهده العالَمُ قبل عشر سنوات، وتناقلت الفضائيّات صورَه المذهلة في بثٍّ مباشر من أقاصي الأرض. ففي التّاسع والعشرين من شهر كانون الأوّل لسنة ٢٠٠٤م، اجتاحت مناطقَ شاسعةً

من سواحل المحيط الهندي وجُزُره، موجاتٌ هائلةٌ من مياه البحر، تسبّب بها زلزالُ جزيرة سومطرة في إندونيسيا، عُرفت هذه التّدفّقات المائيّة المهولة بـ «تسونامي» Tusanami أو «أمواج الموانئ»، وقد شاهد مئات الملايين من النّاس عنفوانها وهي تدمّر – في دقائق معدودات – كلّ شيءٍ أمامها، من بنى تحتيّة، ومبانٍ، وآليّات، وطائرات، وغير ذلك، وغطّت المياه مساحاتٍ شاسعةً من اليابسة، وبعد ساعاتٍ قليلة امتدّت تأثيرات الأمواج – وبقوّةٍ تدميريّة أيضاً – إلى مناطق في تايلند، التي تبعد مئات الكيلومترات عن موقع الحدث، شمال جزيرة سومطرة، وبعد عددٍ آخر من السّاعات وصلت القوة التدميريّة الى سواحل إفريقيا التي تبعد آلاف الكيلومترات.

المكان الذي رست عليه السّفينة

في ما يتعلّق بالمكان الذي رستْ عليه سفينة نوح عليه السلام، والذي اختاره الله عزّ وجلّ، بدلالة قوله سبحانه: ﴿..بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ هود:٤١، وقوله تعالى: ﴿..وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ..﴾ هود:٤٤، فممّا لا شكّ فيه أنّه مكانٌ باركه الله سبحانه وتعالى، وقد استُجيبت دعوة نبيّ الله نوح عليه السلام عندما دعا ربّه عزّ وجلّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ المؤمنون:٢٩، فأين هذا المكان المبارك الذي اختاره اللهُ مرساةً لسفينة النّبيّ نوح عليه السلام؟

لقد ذهب معظم الذين تناولوا البحث عن أرض الطّوفان، إلى أنّ أرض «وادي الرّافِدَيْنِ» كانت موطنَ نوح النبيّ، وفي هذا الخصوص نشير إلى ما توصّل إليه أحد العلماء المشهورين في مجال تاريخ حضارات وادي الرّافِدَيْنِ، وهو السّير وليم وليكوكس William Willcocks، حيث يقول: «..يجب أن نتذكّر، ونحن في دلتا دجلة والفرات، أنّنا في بلاد الطّوفان».

فإذا كان وادي الرّافِدَيْنِ موطنَ الطّوفان، فأين رستِ السّفينة؟ وأين «الجُوديّ» الذي استوت عليه؟ وأين يقع الجبلُ الذي أراد ابنُ النّبيّ نوح أن يعتصم به من الغرَق؟ ذلك الجبل الذي أخبر عنه القرآن الكريم... وأين جبل النّسر أو جبل نصير، الذي ورد في نصوص «ملحمة غلغامش» بأن السّفينة رستْ عليه؟

لكي نقدّم الإجابة حول هذه التّساؤلات، لا بدّ أن نبحث أوّلاً، عن موطن النّبيّ نوح عليه السلام وقومه الذين أنزلَ اللهُ عليهم عذابه.

موطن النّبيّ نوح عليه السّلام

لقد اهتمّ علماء التّاريخ والآثار بالطّوفان مكاناً وزماناً، وطرحوا بعض الإجابات والأفكار، ولكن لم يُقدّموا دليلاً ماديّاً قاطعاً حول موطن قوم نوح عليه السلام. ولكن هناك دلائل تستند إلى التّحليل المنطقيّ لما يتوافر من شواهد ماديّة، وتاريخيّة، وعقائديّة، قد تكون وافية لتقديم إجابة راجحة عن التّساؤلات المطروحة.

وفي هذا السّياق ينبغي أن نحدّد إذا ما كان الطوفان قد طغى على كامل يابسة سطح الأرض، أم أنّه كان محدوداً في منطقة معينة؟

فإذا كان الطّوفان قد شمل سطح الكرة الأرضيّة كلّه، فإنّ التّساؤل يبقى وارداً: أين استوطن قوم نوح على سطح الأرض؟

مرقد أمير المؤمنين عليه السّلام في ظهر الكوفة وهو يطلّ على بقايا بحر النجف

أمّا إذا كان الطّوفان قد شمل منطقة محدّدة، فهل تلك المنطقة هي موطن قوم نوح؟

هناك رأيان مطروحان في هذا الخصوص:

الأوّل: أنّ الطّوفان كان عامّاً وقد شملَ الأرض كلّها، واستند أصحابُ هذا الرّأي إلى ما ورد في العهد القديم (التّوراة)، من أنّ الطّوفان غطّى سطح الكرة الأرضيّة بأجمعها فهلكَ جميعُ الأحياء، واستقرّت سفينة نوح على «جبل أرارات» [في تركيا]، وتبنّى هذا الرّأي بعض العلماء في القرن السّابع عشر استناداً إلى انتشار قصص الطّوفان المتداولة عند أهل المكسيك والصّين وأقوامٍ آخرين. وزعم البعض، دون أدلّةٍ علميّة، أنّ سطح الأرض كان مستوياً قبل الطّوفان، بلا تلال أو جبال، وأنّ مياه الطّوفان

هي التي كوّنت – في اندفاعها – تضاريس سطح الكرة الأرضيّة.

ومهما يكن من ضَعف أسانيد هذا الرّأي، فإنّ كثيراً من العلماء يعتقدون أنّ مقولة استقرار السّفينة على «جبل أرارات»، جاءت بناءً على مقولاتٍ قديمة، قبلتها الكنائس الشّرقيّة، وشاعت بين النّاس.

الثّاني: يذهب أصحاب هذا الرّأي إلى أنّ الطّوفان طغى على منطقةٍ محدّدةٍ من العالم، لأنّه كان مُختصّاً بقوم نوح عليه السلام، فلم يشمل العالم، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ الأعراف:٦٤، ويؤكّد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ المؤمنون:٢٣.

إذا ما أردنا أن ندعم هذا الرّأي بمصدرٍ آخر غير القرآن الكريم، فإنّ ما ورد في الألواح السّومريّة عن أخبار الطّوفان، يضمّ أسماءَ مدنٍ عراقيّةٍ في سهلِ وادي الرّافِدَيْنِ، وأسماء ملوك حكموا مناطق وادي الرّافِدَيْنِ قبل الطّوفان، وإنّ بعض العلماء المُختصّين بآثار أو دراسات حضارات وادي الرّافِدَيْنِ القديمة مثل «وليم ويلكوكس» William Willcocks، و«شارل ليونارد وولي» Charles Leonard Woolley يعتقدون بأنّ أرض الطّوفان هي أراضي «دلتا الفرات ودجلة» شمال «أور» الكلدانيّة [تقع أور حالياً على بُعد بضعة كيلومترات عن مدينة الناصرية جنوب العراق]، ويدعم ذلك اكتشافُ الخبيرِ الآثاريّ ليونارد وولي آثارَ الطّوفان في تنقيباته في «أور»، حيث عثر على طبقةٍ من الطّين النّقيّة، يبلغ سمكها ١٨ قدماً، وأرفد ذلك في إعلان البعثة الآثاريّة لـ«جامعة أكسفورد» عن اكتشاف مُماثل لآثار الطّوفان في منطقة «كيش» [إحدى المدن السّومريّة جنوب العراق]، وأنّ هذه الدّلائل الآثاريّة، وبالرغم من كونها مثيرة للجدل بين علماء الآثار، فإنّه يمكن اعتبارها مقدّمة لدلائل ماديّة يُمكن تطويرها لتحديد تاريخ الطّوفان، بلحاظ أنّ منطقة دلتا وادي الرّافِدَيْنِ كانت موطنَ قوم النّبيّ نوح الذين جرفَهم الطّوفان.

بعد هذه المقدّمة عن ما هو متوافر من نظريّات ومُعطيات عن موطن قوم نوح، والتي تفيد بأرجحيّة الرّأي القائل بأنّ أرض وادي الرّافِدَيْنِ كانت أرض الطّوفان، نعود للتّساؤل الذي طرحناه في البدايّة: **أين رست سفينة نوح عليه السّلام؟**

المعروف عن أرض وادي الرّافِدَيْنِ بأنها سهلٌ رسوبيٌّ مُنبسط، وخلال تاريخها الجيولوجيّ لفترة حقبة البليستوسين Pleistocene [البليستوسين: العصر الحديث الأقرب، تتوافق نهايته مع نهاية العصر الجليديّ الأخير] من العصر الرّباعيّ [بالإنجليزيّة (Quaternary) وهو أحدث العصور الثّلاثة لحقبة الحياة الحديثة في مقياس الزّمن الجيولوجيّ. وهو يلي العصر الثّلاثي العلويّ ويضمّ فترتين جيولوجيتين هما: البليستوسين والهولوسين]. وهي الحقبة التي لا يتعدّاها تاريخ ظهور الإنسان على سطح الأرض، لم تبرز في هذا السّهل أيّة مظاهر جيومورفولوجيّة شاخصة كالجبال والتّلال الكبيرة في جُزئَيْهِ الأوسط والجنوبيّ، سوى هضبة النّجف التي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر، عند حافات طاراتها، حوالي مائة متر، ويصل في بعض أجزائها الجنوبيّة الغربيّة إلى ١٧٦ متراً، في الوقت الذي

gādu (*gattu*) s.; (a name of the Euphrates); NB.*

[x].ME.NA = *Ga-a-du* (between *Uruntu* and *Araḫtu*) Erimhuš VI 47; *Ga-at-tú* = *Pu-rat-tú* Malku II 47.

ištu SIL.DAGAL KÁ.GAL ^{d}UTU *adi kišād Ga-at-ti* from the square (in front) of the Šamaš-gate to the bank of the Euphrates CT 37 21a r. 1 (Nbk.).

gattu II, gādu ein Name des Euphrat, j/spB. LL: [ ]-ME-na = *ga-a-du* VAT 10262 + . . . I 46 (Erim); *ga-at-tú* = *Pu-rat-tú* ZA 43, 236, 47. spB *kišād Ga-at-ti* CT 37, 21a Rs. 1.

تعريف «الجودي» كما ورد في القاموسين الآشوري، والأكدي وأنّه «فرات الكوفة»، كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام

يرتفع مستوى قاعدة هذه الهضبة عن سطح البحر من الشّمال بمقدار ٢٥ متراً، حيث يحدّها نهر الفرات، ومن الجنوب حوالي عشرة أمتار حيث بحر النّجف؛ أمّا مساحة هذه الهضبة، فتبلغ نحو ١٧٥٠ كيلو متراً مربّعاً، ولا يوجد نظيرٌ لها في منطقة وادي الرّافِدَيْنِ، ثمّ إنّ هذا المظهر الجيومورفولجيّ [Geomorphology علم شكل الأرض، ويركّز على دراسة التّضاريس] يبقى شاخصاً لا يناله الغرَق عندما تغرق أرض الرّافِدَيْنِ حوله، وحتّى عندما يبلغ مستوى الطّوفان عشرة أو عشرين متراً عن مستوى سطح الأرض وصولاً إلى مائة متر، وهو افتراضٌ يصل بنا إلى عمق كثير من البحار المتلاطمة الأمواج كالخليج العربيّ مثلاً.

هضبة النّجف موضعُ رُسوِّ سفينة نوح

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار موقع هضبة النّجف وخصائصها على مشارف السّهل الرّسوبيّ لمناطق وسط العراق وجنوبه، وهي

المناطق الأكثر احتمالاً لموطن قوم النّبيّ نوح كما أسلفنا، فإنّ التّشخيص يكون منطقيّاً بأنّ هضبة النّجف كانت مرساةَ سفينة نوح عليه السلام، اختارها الله تعالى أرضاً مُباركة ﴿..بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ..﴾ هود:٤١ استجابةً منه لدعوة نبيّه نوح عليه السلام: ﴿..رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ المؤمنون:٢٩، ولا يُمكن أن يكون سواها، وذلك لانبساط مناطق السّهل الرّسوبيّ الشّاسعة، والتي تبرز فيها جزيرة شاخصة عندما يُغرق الطّوفان مناطق ذلك السّهل الرسوبي الشاّسعة وما حولها.

وهنا نضيف، إلى ذلك، مُلاحظة مهمّة حول ملاءمة هضبة النّجف كمرساة تلجأ إليها سفينة تخوض غمار الطّوفان - بأمواجه المُتلاطمة من اضطراب جريان المياه - الذي يكون أشدّه في مسار «التّالوك» لنهرَي دجلة والفرات [التّالوك هو خطّ حدود نهري]، وأنّ الطّاقة العالية لتلك الأمواج تتلاشى في الاتّجاهات البعيدة عن مجرى النّهرين وحوضهما، لا سيّما أن موقع هضبة النّجف تبعد حوالي مائة كيلو متراً عن مجرى نهر الفرات في زمن الطّوفان، وقد قامت على ضفاف النّهر مدن سومريّة وبابليّة عديدة مثل «سبار»، و«كوثى»، و«نفر»، وغيرها، وعليه فإنّ الأمواج تكون هادئة نسبيّاً باتّجاه مقتربات هضبة النّجف، ما يؤمّن رُسوَّ السّفينة فوقها، لا سيّما أنّها تتميّز بالانحدار التّدريجيّ من جهاتها الشّرقيّة.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أنّ تناقض الإطار الجيولوجيّ والجيومورفولوجيّ لآليّات نشوء هضبة النّجف مع المعطيات الجيوفيزيائيّة والتّركيبيّة، يدفع للاعتقاد بأنّ آليّة نشوء هذه الهضبة صورةٌ من صوَر الإعجاز الرّبانيّ، ينسجم بدوره مع الأركان الثّلاثة – التي تقدّم ذكرُها - للتّدبير الإلهيّ في قصّة الطّوفان.

ثمّ إنّ الأخبارَ المرويّة عن طريق الأئمّة المعصومين عليهم السلام بخصوص موطن قوم نوح ومرساة سفينته، كثيرةٌ، نذكر بعضها، وفي مقدّمتها ما ورد في دعاء الزّيارة عند ضريح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المأثور عن الإمام زين العابدين عليه السلام، وكذلك بقيّة الأئمّة الأطهار... «**السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، وَعَلى ضَجيعَيْكَ آدَمَ وَنوحٍ، وَعَلى جارَيْكَ هودٍ وَصالِحٍ...**»

وفي الرّوايات المُتواترة أيضاً أنّ بيت نوح عليه السلام كان في موقع مسجد الكوفة، وأنّه دُفن في النّجف الأشرف، في نفس الموقع الذي دُفن فيه جَدَثُ آدم عليه السلام الذي حمله معه في السّفينة. وفي رواية أخرى أنّ الإمامَ عليّاً عليه السلام عندما أوصى ولدَيه الحسن والحسين عليهما السلام بمكان دفنه، أخبرهم أنّ الموقع الذي أرشدهم إليه، هو قبر النّبيَّيْن آدم ونوح عليهما السلام.

في هذا الإطار أيضاً، هناك رواية صفوان الجمّال التي ذكر فيها بأنّه كان بصحبة أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام، وهو في طريقه من المدينة إلى العراق، فلمّا وصلا القادسيّة شاهد من بعيد هضبة النّجف، قال الصّادق عليه السلام: «**هذا الجَبَلُ الذي أَرادَ ابْنُ جَدّي نوحٍ أَنْ يَعْتَصِمَ بِهِ عِنْدَما قالَ:** ﴿.. سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ..﴾ هود:٤٣».

وهنالك كثيرٌ من الأحاديث والرّوايات عن قُدسيّة أرض النّجف لكونها مقاماً ومثوى للأنبياء والأوصياء. [راجع تحقيق مجلّة شعائر حول مدينة النّجف، العدد الثّاني عشر، والعدد الأربعون]

النجف مرسى سفينة نوح .. قضية تؤكدها الوثائق الدينية والآثارية

اسم المكان الّذي رست فيه سفينة النبي نوح وفق المصادر الإسلاميّة، والتّراثين المسماري، واليهودي - المسيحي. والصورة نقلاً عن غلاف العدد الثاني من مجلة «تراث النجف».

أعمال شهر رجب

«..وجعلتُ هذا الشّهر حبلاً بيني وبين عبادي»

إعداد: «شعائر»

من لوازم الإيمان اليَقظة وعلامتُها المراقبة، وهي «قرارٌ بالتزام قانون الله تعالى: الشِّرعة والمنهاج» تماهياً مع اليقين والحبّ: اليقين به تعالى، وحبِّه سبحانه.

في المناجاة الشّعبانيّة: «وَأَنْ تَجْعَلَنِي مِمَّنْ يُدِيمُ ذِكْرَكَ، وَلا يَنْقُضُ عَهْدَكَ، وَلا يَغْفَلُ عَنْ شُكْرِكَ، وَلا يَسْتَخِفُّ بِأَمْرِكَ. إِلهِي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاً، وَمِنْكَ خائِفاً مُراقِباً، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ».

وأبرزُ كُتُب المراقبات: كتاب «إقبال الأعمال» لسيّد العلماء المراقبين، السّيّد ابن طاوس، و«المراقبات» للفقيه الكبير الشّيخ الملَكي التّبريزيّ، وفي هديهما: هذا الباب.

من أبرز مناسبات شهر رجب:	أبرزُ الأعمال:
١- المبعثُ النّبويُّ الشّريف في اليوم السّابع والعشرين.	١- إحياء اللّيلة الأولى، وليلة النّصف منه.
٢- ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة المشرَّفة في اليوم الثّالث عشر.	٢- عمل ليلة الرّغائب
٣- ولادة الإمام الباقر عليه السلام في اليوم الأوّل.	٣- عمل الاستفتاح (أمّ داود).
	٤- أعمال ليلة المَبعث ويومها. ٥- الصّوم.
	٦- صلاة سلمان. (في أوّل الشّهر، ومنتصفه، وآخره).
	٧- الاستغفار، وقراءة التّوحيد، والذِّكرُ البديل عن الصّيام.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تعالى نصبَ في السّماء السّابعة ملَكاً يُقال له الدّاعي، فإذا دخلَ شهر رجب نادى ذلك الملَك كلّ ليلة منه إلى الصّباح يقول: طُوبى [يعني هنيئاً] للذّاكرين، طوبى للطّائعين، ويقول الله تعالى: أنا جليسُ مَن جالسَني، ومطيعُ مَن أطاعني، وغافرُ مَن استَغفرَني. الشّهر شهري والعبدُ عبدي والرّحمةُ رحمتي، فمَن دعاني في هذا الشّهر أجبتُه، وجعلتُ هذا الشّهر حبلاً بيني وبين عبادي، فمَن اعتصم به وَصَل إليّ».

ولو لم يكن حول أهمّيّة شهر رجب إلّا هذه الرّواية لكان ذلك كافياً. فاللهُ عزّ وجلّ يخاطب الذّاكرين والمطيعين: «أنا جليسُ مَن جالَسني ومطيعُ مَن أطاعني». إذاً، نحن أمام دعوةٍ عظيمة، تمتدُّ طيلة هذا الشّهر العظيم، شهر رجب.

وعن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «رجب شهرٌ عظيمٌ يُضاعف اللهُ فيه الحسنات ويمحو السّيّئات، مَن صام يوماً من رجب تباعدت عنه النّارُ مسيرة سنة، ومَن صام ثلاثة أيّامٍ وَجَبت له الجنّة».

الأعمالُ المشتركة لشهر رجب

الأعمالُ التي لا تختصّ بيَوم معيّن، بل هي لجَميع أيّام الشّهر، هي:

١- **العُمرة الرّجبيّة**: قال الشّيخ المفيد رضوان الله عليه: «وللعمرة فيه فضلٌ كبير قد جاءت به الآثار».

وقال الشّيخ الطّوسيّ عليه الرحمة والرضوان: «ويستحبّ العمرةُ في رجب، ورُوي عنهم عليهم السلام أنّ العمرةَ في رجب تلي الحجّ في الفضل».

قال الفقيه السّيّد محمّد العاملي: «وأما أنّ أفضلَها ما وقعَ في رجب فيدلّ عليه روايات، منها ما رواه ابن بابويه في الصّحيح، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سُئلَ أيّ العمرة أفضل، عُمرةُ رجب أو عمرةٌ في شهر رمضان؟ فقال: **لا، بل عمرةٌ في رَجب أفضلُ..**».

٢- ..وزيارةُ الإمام الرّضا عليه السلام أفضل: ورغم هذه الأهميّة البالغة للعمرة الرّجبيّة فإنّ الأفضلَ منها زيارة الإمام الرّضا عليه السلام في رجب، وعليه أيضاً تُجمع كلمة العلماء، في ما يبدو من تتبّع كلماتهم، وقد عقد الحرّ العامليّ في (الوسائل) باباً تحت عنوان «**استحبابُ زيارة الرّضا عليه السلام، وخصوصاً في رجب، على الحجّ والعمرة المندوبَين**».

والرّوايات كثيرة جدّاً في عظيم ثواب زيارة الإمام الرّضا عليه السلام، مطلقاً، و تقصرُ العقولُ عن إدراكها، خصوصاً عندما نجد مثلَ العلّامة الحلّيّ يصرّح بصحّة سند الرّواية التي تتضمّن أنّها أفضل من زيارة سيّد الشّهداء عليه السلام.

٣- التّهليل. ٤- الاستغفار. ٥- قراءة سورة التّوحيد. ٦- السّجود. ٧- أذكار للأشهر الثلاثة (رجب وشعبان وشهر رمضان). [انظر: باب «يذكرون» من هذا العدد]

٨- الصّوم: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ألا فمَن صامَ من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجبَ رضوانَ الله الأكبر، وأطفأَ صومُه في ذلك اليوم غضبَ الله، وأغلقَ عنه باباً من أبواب النّار، ولو أُعطيَ ملءَ الأرض ذهباً ما كان بأفضلَ من صومِه، ولا يستكمل (له) أجره بشيءٍ من الدّنيا دون الحسَنات إذا أخلصَه لله، وله إذا أمسى عشرُ دعواتٍ مُستَجابات، إنْ دَعا بشيءٍ من عاجل الدّنيا أعطاه اللهُ، وإلّا ادّخرَ له من الخيرِ أفضلَ ما دعا به داعٍ من أوليائه وأحبّائه وأصفيائه**».

* **الذّكر البديل لَمن لم يستطع الصّوم**: «سُئِلَ رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا نبيَّ الله، فمَن عجزَ عن صيام رجب بضَعفٍ أو علّة «..» يصنع ماذا ليَنال ما وصفتَ؟ قال صلّى الله عليه وآله: **يتصدّقُ عن كلّ يومٍ برغيف، والذي نفسي بيده أنّه مَن تصدّق بهذه الصَّدَقة كلّ يوم، ينالُ ما وصفتُ وأكثَر، لأنّه لو اجتمعَ جميعُ الخلائق كلّهم من أهلِ السّماوات والأرض على أن يقدّروا ثوابَه قَدْرَ ثوابِه ما بلغوا عُشرَ ما يُصيبُ في الجنان من الفضائل والدّرجات.**

قَيل: يا رسولَ الله، فمَن لم يقدر على الصّدقة يصنع ماذا لينالَ ما وصفت؟.. قال: **يُسبِّحُ اللهَ في كلّ يومٍ من أيّام رَجب إلى تمامِ الشّهر هذا التّسبيح مائةَ مرّة: (سُبحانَ الإلهِ الجَليل، سُبحانَ مَن لا ينبغي التّسبيحُ إلّا له، سبحانَ الأعزِّ الأكرم، سبحانَ مَن لَبِسَ العزَّ وَهو لَه أَهْل)**».

٩- صلاة لكلّ ليلة. ١٠- صلاة أربع ركعات. ١١- صلاة في ليلة من رجب. [انظر: باب «كتاباً موقوتاً» من هذا العدد]

١٢- صلاة عشر ركعات في ليلة من رجب: في (**الإقبال**): «**قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: مَن صلّى ليلةً من ليالي رجب عشرَ ركعات، يقرأُ في كلّ ركعة فاتحةَ الكتاب، و(قل يا أيّها الكافرون)، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، غفرَ الله تبارك وتَعالى له كلَّ ذنبٍ عمل وسلفَ له من ذنوبه، وكتبَ اللهُ تبارك وتعالى له بكلّ ركعةٍ عبادةَ ستّين سنة..**».

١٣- الدّعاء: شهر رجب من أبرز مواسم الدّعاء والتّضرّع إلى الله تعالى، وقد رُوي فيه العديد من الأدعية عالية المضامين، ومن أبرز الأدعية العامّة، دعاء «يَا مَن أَرجُوه لكلّ خَيرٍ»، المرويّ عن الإمام الصّادق عليه السلام.

عن محمّد بن ذكوان، قال: قلتُ للصّادق عليه السلام: «جُعِلتُ فداك، هذا رجب، علّمني فيه دعاءً ينفعُني الله به. قال عليه السلام: اكتُبْ: بسم الله الرّحمنِ الرّحيم، قُلْ في كلّ يومٍ مِن رَجَب صَباحاً ومَساءً وفي أعقابِ صَلَواتِك:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ يا مَنْ أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيرٍ، وَآمَنُ سَخَطَهُ عِنْدَ كلِّ شَرٍّ، يا مَنْ يُعْطِي الْكَثيرَ بِالْقَليلِ، يا مَنْ يُعْطي مَنْ سَأَلَهُ، يا مَنْ يُعْطي مَنْ لَمْ يسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، أَعْطِني بِمَسْأَلَتي إِياكَ، جَميعَ خَيرِ الدُّنْيا وَجَميعَ خَيرِ الآخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنّي بِمَسْأَلَتي إِياكَ، جَميعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ غَيرُ مَنْقُوصٍ ما أَعْطَيتَ، وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ يا كَريمُ.

ثمّ مدّ عليه السلام يدَه اليُسرى فقبضَ على لحيتِه، ودعا بهذا الدّعاء، ثمّ قال: **يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرامِ، يا ذَا النَّعْماءِ وَالْجُودِ، يا ذَا الْمَنِّ وَالطَّوْلِ، حَرِّمْ شَيبَتي عَلَى النّارِ**».

١٤- أوّلُ خميسٍ من رجب، وصلاة ليلة الرّغائب. [انظر: باب «بصائر» من هذا العدد]

١٥- يومُ الجُمعة من شهر رجب. [انظر: باب «بصائر» من هذا العدد]

مراقبات أيّام شهر رجب

في ما يلي، إشارة إلى أهمّ أوقات شهر رجب الحرام، مع بيان فضائلها وشيءٍ من خصوصيّاتها، والإشارة إلى أبرز الأعمال الواردة فيها، على أن تُراجع كُتب الأدعية للوقوف على جميع العبادات المسنونة في أيّام الشّهر المبارك، مثل كتاب (مفاتيح الجنان)، و(مناهل الرّجاء – أعمال شهر رجب)، و«كتاب شعائر الرّابع» الحاوي لجميع الأعمال مع متون الأدعية والزّيارات.

***

* اللّيلة الأولى: (من اللّيالي الأربع)

قال الشّيخ الطّوسيّ: رُوي عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن عليٍّ عليه السلام، قال: «**كان يُعجِبُه أن يفرغ نفسَه أربعةَ ليالٍ في السّنة، وهي أوّلُ ليلةٍ من رَجب، وليلةُ النّصف من شعبان، وليلةُ الفِطر، وليلةُ النَّحر**».

وقال الميرزا الملكي التّبريزي في (المراقبات): «**وأوّلُ ليلةٍ منه** [من رجب]، **من اللّيالي الأربع التي يتأكّد استحباب إحيائها والدّعاء عند الاستهلال بما رُوي..**».

* اليوم الأوّل: (علامةٌ بينكم وبين المنافقين)

لأوّل كلّ شهر ميزة خاصّة، فكيف بأوّل يومٍ من شهر رجب؟ ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام «**..مَن صامَ ذلك اليوم تباعدتْ عنه النّار مسيرة سنة..**».

* ومن أبرز أعمال هذا اليوم، زيارة سيّد الشّهداء عليه السلام. روى الشّيخ الطّوسيّ، عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَن زارَ الحسينَ بن عليّ عليهما السّلام في أوّل يومٍ من رَجب غفرَ اللهُ له البتّة**». أي غفرَ اللهُ له قَطعاً، ولم يبقَ له ذنبٌ أبداً.

وقال الشّيخ المفيد رضوان الله عليه: «ويستحبّ فيه زيارةُ سيّدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام في أوّل يومٍ منه "..." ومَن لم يتمكّن من زيارة أبي عبد الله عليه السلام في هذا اليوم، فَلْيَزُر بعضَ مشاهد السّادة عليهم السلام، فإنْ لم يتمكّن من ذلك، فَلْيُومِ إليهم بالسّلام، ويجتَهد في أعمال البِرّ والخَيرات».

* ومن العبادات التي يتوجّب تعاهدُها بالرّعاية والاهتمام، بدءاً من هذا اليوم الأوّل، الصّلاةُ التي رواها الشّيخ الطّوسيّ في (مصباح المتهجّد)، وتُعرف بـ«صلاة سلمان»، نسبةً إلى الصّحابيّ الجليل سلمان المحمّديّ، الّذي رَوى هذه الصّلاة عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله. ويميّزها عن غيرها من الصّلوات المعروفة أيضاً بـ«صلاة سلمان»، أنّها ثلاثون ركعة، يؤتَى بها على ثلاثِ دفعاتٍ، في أوّل الشّهر وفي أوسطه، وفي آخره. يعقبُ كلّاً منها دعاءٌ صغير، وأكّد رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها علامةٌ بين المؤمنين والمنافقين، لأنّ المنافقين لا يُصلّونها. [انظر: باب «كتاباً موقوتاً» من هذا العدد]

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا فمَن صامَ من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجبَ رضوانَ الله الأكبر، وأطفأَ صومُه في ذلك اليوم غضبَ الله، وأغلقَ عنه باباً من أبواب النّار...».

الصّلاة المعروفة بـ«صلاة سلمان»، تؤدّى على ثلاث دفعات، في أوّل الشّهر، ومنتصفه، وآخره، وفي الرّواية عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّها علامةٌ بين المؤمنين والمنافقين، لأنّ المنافقين لا يُصلّونها.

يؤكّد الشّيخ المفيد زيارةَ سيّد الشّهداء عليه السّلام في اليوم الأوّل من رجب، أو زيارة أيٍّ من مشاهد المعصومين عليهم السّلام، فإذا تعذّر ذلك، فلا أقلّ من الإيماء إليهم بالسّلام، عن بُعد.

* اليوم الثّالث عشر: (ولادةُ سيّد الأوصياء صلوات الله عليه)

تجتمعُ في اليوم الثّالث عشر من شهر رَجب خصائصُ شديدة الأهميّة، وهو ما يجعلُه يوماً استثنائيّاً بكلّ معنى الكلمة.

لو لم يَكن من خصائصِه إلّا أنّه يومُ مولدِ نفسِ المُصطفى الحبيب، وأخيه ووصيّه صلّى الله عليهما وآلهما، لكَفى بذلك فَخراً وذُخراً وكرامةً ومزيداً. وحيث إنّ أمنيّةَ الموحّدِ الحقيقيّ والمحمّديّ الصّادق، أن يكونَ في صراطِ عليٍّ المستقيم، وأن يتشرّفَ بصدقِ الانتماء إليه، فَلْنَغتنم أيّها الحبيب هذه الفرصةَ الرّجبيّة.

- يُضاف إلى ذلك أنّ اليومَ في حدِّ ذاته أوّلُ الأيّام البِيض التي يُغني اشتهارُها عن التّعريف بها، ولصومِه ثوابٌ كبير.

- وهو بعدُ أوّلُ أيّامِ العملِ العظيم المشهور، عملِ الاستفتاح لقضاءِ الحوائج المعروف بـ «**عمل أمّ داوود**»، الذي تَوارَثَته الأجيالُ مفتاحاً لحلّ المشاكل المُعضلة، لا سيّما في مجال إطلاقِ سراحِ الرّهائن والأسرى، فمَن أرادَ القيامَ بهذا العمل لا بدّ له أن يبدأَ بصومِ الأيّام البيض الثّلاثة.

- وهناك الصّلوات الخاصّة باللّيالي البيض الثّلاث (١٣ – ١٤ – ١٥ رجب) وهي عبارةٌ عن اثنتَي عشرة ركعة. يُؤتى منها بركعَتين في ليلة ١٣، وأربع رَكعات ليلة ١٤، وستّ ركعات ليلة ١٥. يقرأ (الحَمد) مرّة، و(يس)، و(تبارك المُلك)، و(قل هو الله أحد)، مرّة، مرّة.

* ليلة النّصف من رجب ويومه: (..وكلَّ سيّئةٍ وجدتُموها فامحوها)

عن رسول الله ﷺ: «**إذا كان ليلةُ النّصف من رَجب، أمرَ اللهُ خازنَ ديوانِ الخلائق وكَتَبةَ أعمالِهم، فيقولُ لهم اللهُ عزَّ وجلَّ: انظُروا في ديوانِ عِبادي، وكلَّ سيّئةٍ وجدتُموها فامحوها وبدِّلوها حَسنات**».

ويُستحبّ أن تُحيا ليلة النّصف من رجب حتّى الصّباح، ويزداد فضلُ الإحياء بالعبادة. يقول السّيّد ابن طاوس حولَ إحياءِ هذه اللّيلة: «**ينبغي أن يكونَ المُصدّق لله وللرّسول، الموافقُ للإقبال والقبول، على قَدَم المراقبة طولَ ليلِه..**».

وأمّا يوم النّصف من رجب، ففي رواية عن ابن عبّاس، أنّ الله تعالى قال لآدم عليه السلام: «**أحبُّ الأوقاتِ إليَّ، النّصفُ من رَجب..**[إلى قوله]:..**إنّي باعثٌ من وُلدك نبيّاً ... عظيمَ البَركة، أخُصّه وأمّته بيَومِ النّصف من رجب "..." يا آدم، قُل لِوُلدِك أن يحفظوا أنفسَهم في رجب، فإنّ الخطيئةَ فيه عظيمة**».

هذا، وقد ورد الحثُّ على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في النّصف من رجب، فقد سُئِلَ الإمام الرّضا عليه السلام: في أيّ شهرٍ نزورُ الحسينَ عليه السلام؟ قال: «**في النّصفِ من رَجب، والنّصفِ من شَعبان**».

وأوردَ الشّيخُ المفيد في (المزار)، زيارةً للنّصف من رجب، تسمّى بالغفيلة؛ لِغَفلةِ النّاس عن فضلِها. قال: «فإنّ أتيتَ الصّحنَ فادخُل الرّوضةَ وكبِّرِ اللهَ ثلاثاً، وَقِفْ على القبر، وَقُل: **السّلامُ عَلَيكُم يا آلَ الله، السّلامُ عَلَيكُم يا صَفْوَةَ الله، السّلامُ عَلَيكُم يا سادَةَ السّاداتِ..**»، إلى آخر الزّيارة، وقد أوردها المحدّث القمّي في (مفاتيح الجنان).

- وفي هذا اليوم، تُصلّى الرّكعات العشر الثّانية من «**صلاة سلمان**» المتقدّم ذكرُها في اليوم الأوّل.

- ومن أهمّ عبادات اليوم الخامس عشر، عملُ «**أمّ داود**»، وهو بالغُ الأهمّية، ينتظرُه مَن يعرفُه من شهرٍ إلى شهر، حيث إنّه وإنْ كان في الأصل يؤدَّى في منتصف رجب، ولكن وردت الرُّخصةُ في الإتيان به في كلّ شهر. ومَن عجِز عن العمل بكامل خصوصيّاته، فلا أقلّ من الاهتمام بدعائه، فإنّ له وحدَه كذلك أهمّية خاصّة.

قال الشّيخ الطّوسيّ: «**ويُستحَبّ أن يدعو بدعاء أم داود**». وقال السّيّد ابن طاوس، حول دعاء الاستفتاح الذي يُقرأ في سياق العمل: «**وهو دعاءٌ جليلٌ مشهورٌ بين أهل الرّوايات، وقد صار موسماً عظيماً في يوم النّصف من رجب، معروفاً بالإجابات وتفريج الكُرُبات**».

وفي (المراقبات) للملَكيّ التّبريزيّ: «**وإن وُفِّقَ لدُعاء الاستفتاح مع الشّرائط فهو، وإلّا، لا يَترك لا محالةَ الدّعاءَ نفسَه، ويزورُ الإمام الحسينَ عليه السّلام**».

وحريٌّ بكلِّ صاحبِ حاجةٍ صعبةٍ ومُستعصيةٍ، وبالخصوص الأعزّاء عوائل الرّهائن والأسرى والمفقودين، أنْ يولُوا هذا العمل أهميّةً قصوى. وَلْنَتعامل مع الدُّعاء بروحِه العامّة، لنَضعَه في موقعِه الطّبيعيّ، فندعو للجمهوريّةِ الإسلاميّةِ وللمقاومةِ الإسلاميّةِ، وكلّ مكان يواجهُ الإيمانُ فيه قوى الشّركِ والفساد. ومَن أراد أن تُقضى حوائجه الخاصّة فليَهتمّ بالشّأن العام.

وتفصيل هذا العمل المروي عن الإمام الصّادق عليه السلام تجده في كُتب الأدعية والعبادات، لا سيّما في (مفاتيح الجنان).

* ليلة المبعث الشّريف، ويومُه: (أفضلُ الأيّام على الإطلاق)

وردّ عن الإمام الجواد عليه السلام في فضيلة اللّيلة السّابعة والعشرين، وهي ليلة المبعث النّبويّ الشّريف: «**إنّ في رجب لَليلةً خيرٌ ممّا طَلَعت عليه الشّمس، وهي ليلةُ سبعٍ وعشرين من رجب**"..." **وإنّ للعامل فيها من شيعتِنا أجرَ عَمَلِ ستّينَ سَنة..**».

ومن أعمال هذه اللّيلة زيارةُ أمير المؤمنين عليه السلام. قال السّيّد ابن طاوس: «**إعلَم أنّ من أفضلِ الأعمالِ فيها زيارةَ مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام، فيُزارُ فيها زيارةَ رجب..**».

وقد تحدّث الشّيخ القمّيّ في (مفاتيح الجنان) عن اتّحاد النّبيّ والوصيّ، مبيّناً أنّ السّبب في زيارةِ الأمير ليلةَ المَبعث هو الالتزام برسول الله صلى الله عليه وآله والتّأكيد على الثّبات في خطّ بعثتِه صلى الله عليه وآله عبرَ الالتزامِ بأمير المؤمنين عليه السلام وَولايتِه وإمامتِه، فالمُرتضى هو نفسُ رسول الله صلى الله عليه وآله وبذلكَ صرّح القرآنُ الكريم، وعليه أكّدَ المصطفى صلى الله عليه وآله.

واليومُ السّابع والعشرون من شهر رجب يومٌ عظيمٌ جدّاً، بل وَرَد في بعض الرّوايات أنّه أفضلُ الأيّام على الإطلاق، لأنّه تَشَرّف ببِعثة المُصطفى صلى الله عليه وآله. وقد هدانا اللهُ تعالى لِنعمةِ الإسلام، ووَفّقَنا للاعتقادِ به عزّ وجلّ من خلال الاعتقادِ برسولِه الأعظم صلى الله عليه وآله، وأن نكونَ مِن أمّتِه. فلنَعرف عَظَمةَ هذه النِّعمة وَلْنعرف واجبنَا في شُكرِها.

ومن أهمّ العبادات الواردة في هذا اليوم، الإكثار من الصّلاة على النّبيّ وآله الأطهار، وزيارة رسول الله، وزيارة أمير المؤمنين عليهما وآلهما السّلام. وجميعُ الزّيارات الخاصّة بشهر رجب موجودة بتمامها في كتاب (مفاتيح الجنان).

* الأيّام الأخيرة من شهر رجب: (تدارُك ما فات)

لم يبقَ من هذا الشّهر الكريم إلّا أيّامٌ قليلة، وقد وَرد في الرّوايات ما يؤكّدُ على التّعويض على ما فات بالجدِّ في الأيّام الأخيرة من هذا الشّهر. فإذا كان الشّخصُ لم يَستطِع الصّيام في أوّل الشّهر أو في وَسَطه أو ما قبلَ الأخير، فَلْيَصُم ما استَطاع من آخِر الشّهر.

ومن المهمّ كذلك أن نُكثِرَ (في هذه الفرصة المُتبقّية) من الصّدَقة والاستغفار وقراءةِ (قل هو الله أحد)، كما يُستَحبُّ الإكثارُ من الذّكر المرويِّ عن الإمام السّجّاد عليه السلام، الذي وردَ أنّه كان يُكثِرُ من قراءته في شَهر رجب: «**عَظُمَ الذّنبُ من عَبْدِك، فَلْيَحْسُنِ العفوُ من عندك**».

ولا يفوت التّذكير بأداء الدّفعة الثّالثة من «**صلاة سلمان**» في اليوم الأخير من الشّهر. ويكفي في الحثّ على هذه الصّلاة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اعتبرَها علامةً تميِّز المؤمنين من المنافقين.

من أهمّ عبادات اليوم الخامس عشر، عملُ «أمّ داود»، ومَن عجِز عنه بكامل خصوصيّاته، فلا أقلّ من الاهتمام بدعائه، فإنَّ له وحدَه كذلك أهمّية خاصّة.

زيارةِ الأمير عليه السلام ليلةَ المَبعث هي التزامٌ برسول الله وتأكيدٌ على الثّبات في خطّ بعثتِه صلّى الله عليه وآله، عبرَ الالتزامِ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام

الأيّام الأخيرة من رجب:

- **الإكثار من الصّدَقة**
- **الاستغفار**
- **قراءة سورة التّوحيد**
- **المداومة على الذّكر المرويِّ عن السّجّاد عليه السلام: «عَظُمَ الذّنبُ من عَبْدِك، فَلْيَحْسُنِ العفوُ من عندك».**

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا..﴾

الرُّوحُ مِن عالَمِ الأمر، وَالإنسانُ مِن عالَمِ الخَلْق

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

ثلاثة أسئلة وجّهها العلّامَةُ السّيّدُ محمّد حسين الطّهرانيّ رحمه الله إلى أستاذه العلّامَة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره، فأجابَ عليها بالتّفصيل. ولأهميّة هذه الإجابات توردها «شعائر» نقلاً عن كتاب (الشّمس السّاطعة) للسّيّد الطّهرانيّ، وقد جاءت الأسئلة تباعاً حول:

*** المُراد من الرّوح في الآية: ﴿نَزَّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ..﴾، والمُراد من «روح القُدُس» و«الرُّوح الأمين».**

*** الرّابطة بين روح الإنسان وتلك الرّوح.**

*** عمّا إذا كان «الرّوح» بلسان الشّرع هو أوّل مَا خَلَقَ اللهُ، أو ما يُعبَّر عنه بالعقل الأوّل.**

حول المُراد من «الرّوح»، و«روح القُدُس»، و«الرّوح الأمين»، أجاب العلّامة الطّباطبائيّ:

المُراد من رُوح القُدُسِ والرّوح الأمين [هو] جَبْرائيلُ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ..﴾ النحل:١٠٢. ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ..﴾ الشعراء:١٩٣-١٩٤.

وأمّا الرّوح، فهي في الظّاهر خَلقٌ أوسعُ بكثير من جَبْرائيلَ وغير جَبْرائيلَ، وخلْقٌ من مخلوقات الله أفضلُ من جَبْرائيلَ وميكائيل، ففي سورة (النّبأ) يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ:٣٨.

لأنّ جَبْرائيلَ من المُسَلَّم بِهِ أنّه من الملائكة، وفي هذه الآية جعل الرّوحَ مُقابل الملائكة. فالرّوحُ غيرُ الملائكةِ وجَبْرائيلَ. فالرّوحُ مرحلةٌ من مراحلِ الموجوداتِ العالية، وخَلْقٌ أشرفُ من الملائكةِ وأفضل منها، والملائكة تستمدّ منها في الأمور الّتي تُؤَدّيها.

توجد آيتان في القرآن الكريم تدلّان على أنّ الله تعالى يُرسل الرّوحَ إلى أنبيائِهِ ورُسلِهِ الّذين يَدْعونَ النّاس إلى الحقّ، وأنّ الملائكةَ يتنزّلون بالرّوح. ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ النحل:٢. ﴿..يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ غافر:١٥.

فجَبْرائيلُ يستمدّ من الرّوح عند نزوله في الأمور الّتي يؤدّيها والتّدبيرات الّتي يقوم بها، وكأنّها ملازمٌ (ملازمة) له، وبتعبيرٍ آخَر فهي مساعدٌ له. وهذه الآية الثّانية مُدهشة حقّاً حيث جاء التّعبير بـ«الإلقاء».

فالمقصود أنّ الرّوحَ أمرٌ واقعيّ، وموجودٌ أشرفُ وأفضل، ينزل مع الملائكةِ حين نُزولِها لتدبير الأمور، ويُساعد في مهامّها، وهذه هي هُوِيَّةُ الرّوحِ.

فلا علاقةَ لجَبْرائيلَ بالرّوح، وهو ليس من أفراد الرّوح وأنواعه، وليس للرّوح فردٌ، بل هي نوعٌ بحدّ ذاته منحصرٌ بالفرد. وأمّا جَبْرائيلُ فهو من الملائكة، والرّوحُ حقيقةٌ واقعيّةٌ تختلف عن الملائكة.

في كِلتا الحالتَين هناك فئتان: «الرّوح» وهي حقيقة واقعيّة، والملائكة بنحو أنّها تستمدّ من الرّوح الّتي تؤيّدها وتذهب معها لإنجاز عملها: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ..﴾ النحل:٢.

ويمكن الاستفادةُ من استعمالِ القرآن الكريم لكلمة «الرّوح» بالمفرد و«الملائكة» بصيغة الجمع، بأنّ للرّوح مقام الجامعيّة، وأنّ قربها من الله سبحانه أشدّ من جَبْرائيلَ، وتوجد رواية بهذا الخصوص.

الرُّوح وروح الإنسان: اشتراكٌ لفظيٌّ

وحول الرّابطة بين «الرّوح»، و«روح الإنسان»، يقول العلّامة:

الرّوح كما ذكرنا خَلْقٌ أعظمُ من الملائكة، ولا علاقة له بالإنسان وروحه، واستعمال الرّوح في مَوْرِدِ تلك الحقيقة

والأنفُس البشريّة، هو من باب الاشتراك اللّفظيّ لا الاشتراك المعنويّ.

ولعلّه من هذه الزّاوية تكون النّفسُ النّاطقةُ الإنسانيّةُ قابلةً للوصول إلى ذلك المقامِ الّذي تُصبحُ فيه مُجاورِةً لتلك الرّوح، من خلال السّيرِ التّكامليّ في المُجاهَداتِ والعِبادات.

وفي الآيةِ الشّريفة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ...﴾ الإسراء:٨٥، وقع السّؤالُ عن مُطْلَقِ الرّوح، ولم يكن مُتَوجّهاً إلى النّفس الإنسانيّة، وجاء الجوابُ ﴿..قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ..﴾ الإسراء:٨٥، إنّها من عالَمِ الأمْرِ، وليست كالإنسان الّذي هو من عالَمِ الخَلْق.

وفي أسئلتِهم لا يوجدُ أيُّ كلامٍ عن روح الإنسان، والظّاهر أنّهم كانوا يسألون عن تلك الرّوح الّتي ورد ذِكرُها في القرآن. والمُدهش ما جاء في ذيل الآية، وهو قوله تعالى: ﴿..وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء:٨٥. أي إنّ فَهمَ حقيقةِ خِلقة الرّوح خارجٌ عن العلوم البشريّة، ولا يُمكن الوصولُ إليه بسهولة.

في أوّل ما خلق الله سبحانه وتعالى

وحول اعتبار الرُّوح العقل الأوّل، أجاب العلّامة: في الرّوايات الشّريفة أُطلق «**أوّلُ ما خَلَقَ اللهُ**» على عدّة أمورٍ، منها: «**أوّلُ ما خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ**»، أو «**أوّلُ ما خَلَقَ العَقْل**» أو «**الماء**» أو «**اللّوح**» أو «**القلم**».

وفي سورة (الشّورى) يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى:٥٢.

والحاصل: أنّ دراية الإيمانِ والكتاب قد تمّت بواسطةِ وحيِ اللهِ الرّوحَ على الرّسول ﷺ، وذلك من خلال إيصالِ روحِهِ المباركة بذلك الخَلقِ العظيم الّذي هو الرّوح، وبناءً عليه، فإنّ روحَ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قد وُجِدَتْ من هناك، وهي أوّلُ مَا خَلَقَ اللهُ.

وفي لسانِ الحكمةِ يُمكن اعتبارُ أنّ المرادَ من العقل الأوّل هو الرّوح، ولكنْ بشرط أن لا تُنْتَزَعَ خَواصُّه، أي يبقى على نفس ذلك التّجرّد والإطلاق، وإلّا لما كان عقلاً أوّلاً، وكلّ ما يتنزّل ويحصل على مزيد من التّعيّن يكون من العقولِ الأخرى، وكلّ ما يتنزّلُ يفقد المزيد من السّعة والإطلاق.

وفي مقامِ قَوْسِ الصّعودِ، فإنّ روحَ رسولِ الله ﷺ قد وصلتْ إلى المكانِ الّذي وُجدتْ فيه وهَبطتْ منه، وهو الرّوح. لأنّ أوّل ما خلقَ اللهُ هو نورُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، وهو الرّوح. وفيما بعد - في قَوْسِ النّزول - طوى العوالمَ إلى ما [أن] وصلَ إلى عالم الطّبع والمادّة، ثمّ عادَ بواسطةِ قَوْسِ الصُّعودِ إلى نَفْسِ المقام، يستمدّ الأزل والأبد.

فهذه الرّوحُ تتنزّلُ حتّى تصلَ إلى عالمِ المادَّةِ (المادّة الجزئيّة)، ثمّ تَشرعُ بالحركةِ الجوهريّةِ تدريجيّاً، وتَتقدّمُ إلى كمالها حتّى تصلَ شيئاً فشيئاً إلى ذلك المعنى في قوله صَلّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ: «**أوّلُ ما خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ**»، ولم يَحدثْ هناك شيءٌ جديد، بل نفس ذلك المَوْجودِ موجودٌ، وأنّه كلّما وقعَ له كان نزولاً وصعوداً.

وفي هذه الحالة فإنّ إدارةَ هذا العالَمِ من جهة، وتدبيرَ الملائكةِ من جهةٍ أخرى، وتَدَخُّلَ الرّوح من جهةٍ ثالثة مُدهشٌ جدّاً، لأنّ هذه الأعمالَ لا تَضادّ فيها؛ ونفسُ عملِها في إيجادِ الحَوادثِ في عالَمِ الطّبعِ مُحَيِّرٌ جدّاً ومُذْهِلٌ. "..."

الرّوحُ أمرٌ واقعيّ، وموجودٌ أشرفُ وأفضلُ من الملائكة، ينزلُ معها حينَ نزولِها لتدبير أمور العالَم، ويساعدُها في مهامّها.

موجز في التّفسير

سورةُ «الحُجُرات»

إعداد : سليمان بيضون

*** السُّورة التّاسعة والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد «المجادلة».**

*** آياتُها ثمانية عشرة، وهي مدنيّة، يُعطى قارئها من الأجر عشرَ حسنات بعدد مَن أطاع الله تعالى وعصاه، وكان من زوّار النّبيّ صلّى الله عليه وآله.**

*** سُمِّيتْ بسورة «الحُجُرات» لقوله تعالى في الآية الرّابعة منها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ..﴾.**

الحُجُرات جمع حُجْرة، وهي من الحَجْر أي المنع، لأنّها تمنع ما بداخلها، والتّحجير أن يُجعل حول المكان حجارة، وقيل للعقل حِجْر، لكون الإنسان في منعٍ منه ممّا تدعو إليه نفسه.

محتوى السّورة

«**تفسير الميزان**»: تتضمّن السّورة مسائل من شرائع الدّين بها تتمّ الحياة السّعيدة للفرد، ويستقرّ النّظام الصّالح الطّيّب في المجتمع، منها ما هو أدَبٌ جميل للعبد مع الله سبحانه ومع رسوله، كما في الآيات الخمسة في مُفتتح السّورة، ومنها ما يتعلّق بالإنسان مع أمثاله من حيث وقوعُهم في المجتمع الحيويّ، ومنها ما يتعلّق بتفاضل الأفراد، وهو من أهمّ ما ينتظم به الاجتماع المدنيّ ويهدي الإنسان إلى الحياة السّعيدة والعيش الطّيّب الهنيء، ويتميّز به دين الحقّ عن غيره من السُّنن الاجتماعيّة القانونيّة. وتُختَتم السّورة بالإشارة إلى حقيقة الإيمان والإسلام، ومنّه تعالى بما يُفيضه من نور الإيمان.

***

«**تفسير الأمثل**»: حيث إنّ أغلب المسائل الأخلاقيّة تدور في هذه السّورة، فيمكن أن نسمّيها «سورة الأخلاق والآداب»، ويمكن على الإجمال تقسيم مضامينها على النّحو التّالي:

القسم الأوّل: آيات بداية السّورة، وهي تبيّن طريقة التّعامل مع النّبيّ ﷺ وآدابها، وما ينبغي على المسلمين مراعاتُه من أصولٍ في محضره صلّى الله عليه وآله.

القسم الثّاني: يشتمل على سلسلة من أصول «الأخلاق الاجتماعيّة» المهمّة، الّتي إن عُمل بها وعلى هُداها، حُفظت المحبّة، والصّفاء، والأمن، والاتّحاد في المجتمع الإسلاميّ، وعلى العكس من ذلك، لو أُهملت هذه الأصول تكون سبباً للشّقاء، والنّفاق، والتّفرّق، وعدم الأمن.

القسم الثّالث: يتضمّن الأوامر الإرشاديّة المتعلّقة بكيفيّة مواجهة الاختلافات والتّنازع، أو القتال الّذي قد يقع بين المسلمين أحياناً.

القسم الرّابع: يتحدّث عن معيار قيمة الإنسان عند الله تعالى، وأهمّيّة التّقوى.

القسم الخامس: يعالج قضيّة أنّ الإيمان ليس بالقول فحسب، بل لا بدّ من ظهور آثاره في أعمال الإنسان والجهاد بالمال والنّفس، إضافة إلى الاعتقاد بالقلب.

القسم السّادس: يتحدّث عن أنّ الإيمان والإسلام هما هديّة إلهيّة للمؤمنين، وبدلاً من أن يمُنّوا بالإسلام أو الإيمان على النّبيّ ﷺ ينبغي أن يشكروا الله تعالى على هذه الهديّة إذ شملهم بها.

القسم السّابع: وهو الأخير، يتحدّث عن علم الله تعالى واطّلاعه على جميع أسرار الوجود الخفيّة، وعلى أعمال الإنسان، وهذا القسم هو بمنزلة الضّامن لتنفيذ جميع الأقسام الواردة في هذه السّورة.

ثواب تلاوتها

«**تفسير مجمع البيان**»: عن النّبيّ ﷺ: «**مَن قَرَأَ سورَةَ (الحُجُرات) أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرَ حَسَناتٍ بِعَدَدِ مَنْ أَطاعَ اللهَ وَعَصاهُ**».

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ (الحُجُرات) في كُلِّ لَيْلَةٍ أَوْ في كُلِّ يَوْمٍ كانَ مِنْ زُوّارِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**».

تفسير آياتٍ منها

بعد ذكرِ الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها، نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله تعالى عليه.

قوله تعالى: ﴿..وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ..﴾ الحجرات:٧.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «يَعْني أَميرَ الْمُؤْمِنينَ».

قال العلّامة المجلسيّ في (مرآة العقول) ما خلاصتُه: «وتفسيرُه عليه السّلام الإيمانَ بأمير المؤمنين لأنّه لكماله في الإيمان وكونه داعياً إليه، وكون ولايته الرّكن الأعظم من الإيمان، فكأنّه عينُه...».

** وعنه عليه السّلام: «حَرامٌ عَلى قُلوبِكُمْ أَنْ تَعْرِفَ حَلاوَةَ الإيمانِ حَتّى تَزْهَدَ في الدُّنْيا».

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا..﴾ الحجرات:٩.

الإمام الصّادق عليه السلام: «القَتْلُ قَتْلانِ: قَتْلُ كَفّارَةٍ وَقَتْلُ دَرَجَةٍ، وَالقِتالُ قِتالانِ: قِتالُ الفِئَةِ الكافِرَةِ حَتّى يُسْلِموا، وَقِتالُ الفِئَةِ الباغِيَةِ حَتّى يَفيئوا».

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ..﴾ الحجرات:١٠.

الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنينَ من طينَةِ الجِنانِ، وَأَجْرى فيهِمْ مِنْ ريحِ رَوْحِهِ [أي رحمته]، وَلِذَلِكَ: الْمُؤْمِنُ أَخو الْمُؤْمِنِ لِأَبيهِ وَأُمِّهِ، فَإذا أَصابَ رُوحاً مِنْ تِلْكَ الأَرْواحِ في وَلَدٍ مِنَ الوِلْدانِ حُزْنٌ، حَزِنَتْ هَذِهِ لِأَنَّها مِنْها».

قوله تعالى: ﴿..فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ..﴾ الحجرات:١٠.

الإمام الصّادق عليه السلام: «صَدَقَةٌ يُحِبُّها اللهُ: إِصْلاحٌ بَيْنَ النّاسِ إِذا تَفاسَدوا، وَتَقارُبٌ بَيْنَهُمْ إِذا تَباعَدوا».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ..﴾ الحجرات:١٢.

أمير المؤمنين عليه السلام: «ضَعْ أَمْرَ أَخيكَ عَلى أَحْسَنِهِ حَتّى يَأْتِيَكَ ما يَغْلِبُكَ مِنْهُ، وَلا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخيكَ سُوءاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَها في الخَيْرِ مَحْمَلاً».

قوله تعالى: ﴿..وَلَا تَجَسَّسُواْ..﴾ الحجرات:١٢.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «لا تَطْلُبوا عَثَراتِ الْمُؤْمِنينَ، فَإِنَّ مَنْ تَتَبَّعَ عَثَراتِ أَخيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَثْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ في جَوْفِ بَيْتِهِ».

قوله تعالى: ﴿..وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا..﴾ الحجرات:١٢.

قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «الغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنا». فقيل: يا رسول الله ولمَ ذلك؟ قال صلّى الله عليه وآله: «صاحِبُ الزِّنا يَتوبُ فَيَتوبُ اللهُ عَلَيْهِ، وَصاحِبُ الغِيبَةِ يَتوبُ فَلا يَتوبُ اللهُ عَلَيْهِ حَتّى يَكونَ صاحِبُهُ الّذي يُحِلُّهُ».

وعنه صلّى الله عليه وآله: «الغِيبَةُ أَسْرَعُ في دينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ مِنَ الأَكِلَةِ [داء] في جَوْفِهِ».

قوله تعالى: ﴿..إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ..﴾ الحجرات:١٣.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكونَ أَكْرَمَ النّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكونَ أَتْقى النّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ».

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ..﴾ الحجرات:١٤.

الإمام الباقر عليه السلام: «الإِسْلامُ لا يَشْرَكُ الإيمانَ، وَالإيمانُ يَشْرَكُ الإِسْلامَ، وَهُما في القَوْلِ وَالفِعْلِ يَجْتَمِعانِ، كَما صارَتِ الكَعْبَةُ في الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدُ لَيْسَ في الكَعْبَةِ، وَكَذَلِكَ الإيمانُ يَشْرَكُ الإِسْلامَ، وَالإِسْلامُ لا يَشْرَكُ الإيمانَ..».

قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْ..﴾ الحجرات:١٧.

سُئل الإمام الكاظم عليه السلام عن العُجب الّذي يُفسد العمل، فقال: «العُجْبُ دَرَجاتٌ، مِنْها: أَنْ يُزَيَّنَ لِلْعَبْدِ سوءُ عَمَلِهِ فَيَراهُ حَسَناً، فَيُعْجِبُهُ وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعاً، وَمِنْها: أَنْ يُؤْمِنَ العَبْدُ بِرَبِّهِ فَيَمُنَّ عَلى اللهِ عزَّ وَجَلَّ، وَلِلّهِ عَلَيْهِ فيهِ الْمَنُّ».

شهرُ رَجَب الأصبّ

تعريفٌ موجَز بأبرز مناسباته

إعداد: صافي رزق

تُقدِّم «شعائر» مختصَراً حول أبرزِ مناسبات شهر رجب، كمَدخلٍ إلى حُسنِ التَّفاعل مع أيّامه المباركة، مع الحِرْصِ على عنايةٍ خاصَّةٍ بالمناسبات المرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام.

❖ بعثةُ النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ❖ ولادة أمير المؤمنين عليه السلام ❖ ولادة الإمام الباقر عليه السلام

❖ شهادة الإمام الكاظم عليه السلام ❖ ولادة الإمام الجواد عليه السلام ❖ ولادة الإمام الهادي وشهادتُه عليه السلام

المبعثُ الشَّريف (٢٧ رجب)

«ذكر أبو نعيم المحدّث – وهو من أكابر أصحاب الحديث – في كتابه الذي استخرجه من كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البرّ المغربي الأندلسي المحدّث، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ .. ﴾ الزّخرف:٤٥، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ليلةَ أُسريَ به، جمعَ اللهُ تعالى بينَه وبين الأنبياء، ثمّ قال له: **سَلْهُم يا محمّد، على ماذا بعثتم؟** فقالوا: **بُعِثنا على شهادةِ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ، وعلى الإقرار بنُبوّتك، والولايةِ لعليّ بن أبي طالب** عليه السلام.

ومن (مناقب) ابن الفقيه المغازلي الشّافعي الواسطي، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الزّمر:٣٣ ".." عن مجاهد ".." قال: جاء بالصّدق: محمّدُ صلى الله عليه وآله، وصدّقَ به: عليٌّ عليه السّلام».

(العمدة، ابن البطريق)

«يومُ المبعث الشّريف هو أشرفُ يومٍ في تاريخ الإنسان، سواء قيّمنا الأيّام بما تشتمل عليه من أحداثٍ، أو بما تتمخّض عنه من نتائج، لأنّه اليوم الّذي استطاع فيه الإنسان أن يبلغَ الذّروة الّتي رشّحته لها عشراتُ الآلاف من الرّسالات والنّبوّات، فأصبح قابَ قوسَين أو أدنى، متمثّلاً في شخص النّبيّ صلّى الله عليه وآله».

(أهل البيت: تنوّع أدوار ووحدة هدف، الشّهيد الصّدر قدس سره)

ولادةُ أمير المؤمنين عليه السّلام (١٣ رجب)

عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله عن ميلاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «.. **لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ خَيْرِ مَوْلودٍ وُلِدَ بَعْدي عَلى سُنَّةِ المَسيحِ؛ إنَّ اللهَ، تَبارَكَ وَتَعالى خَلَقَني وَعَلِيّاً مِنْ نورٍ واحِدٍ** ".." **ثُمَّ نَقَلَنا مِنْ صُلْبِهِ** [آدم عليه السلام] **في الأَصْلابِ الطّاهِراتِ إلى الأَرْحامِ الطَّيِّبَةِ..**».

(روضة الواعظين، الفتّال النّيسابوريّ)

«رُوي أنّ السّنة التي وُلد فيها عليٌّ عليه السّلام ".." كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله، يتيمّن بتلك السّنة وبولادة عليٍّ عليه السّلام فيها، ويسمّيها سنةَ الخير، وسنةَ البركة.

وقال لأهله ليلةَ ولادته – وفيها شاهدَ ما شاهدَ من الكرامات والقدرة الإلهيّة ".."**: لَقَد وُلِدَ لَنا اللّيلةَ مَولودٌ يَفتحُ اللهُ عَلينا به أبواباً كثيرةً من النّعمةِ والرّحمة**. وكان كما قالَ صلوات الله عليه؛ فإنّه عليه السّلام كان ناصرَه، والمُحامي عنه، وكاشفَ الغمّاء عن وجهه، وبسيفِه ثبتَ دينُ الإسلام، ورَسَتْ دعائمُه، وتمهّدت قواعدُه».

(شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد)

ولادة الإمام الباقر عليه السلام (١ رجب)

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «لَمّا أُشْخِصَ أَبي، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، إِلى دِمَشْقَ، سَمِعَ النّاسَ يَقولونَ: هَذا ابْنُ أَبي تُرابٍ! فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلى جِدارِ القِبْلَةِ، ثُمَّ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عَلَيْهِ، وَصَلّى عَلى النَّبِيِّ وَآلِهِ، ثُمَّ قالَ: اجْتَنِبوا أَهْلَ الشِّقاقِ، وَذُرِّيَّةَ النِّفاقِ، وَحَشْوَ النّارِ، وَحَصَبَ جَهَنَّمَ عَنِ البَدْرِ الزّاهِرِ، وَالبَحْرِ الزّاخِرِ وَالشِّهابِ الثّاقِبِ، وَشِهابِ المُؤْمِنينَ، وَالصِّراطِ المُسْتَقيمِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها، أَوْ يُلْعَنوا كَما لُعِنَ أَصْحابُ السَّبْتِ وَكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعولاً..».

(المناقب، ابن شهر اشوب)

شهادة الإمام الكاظم عليه السلام (٢٥ رجب)

«حجّ الرّشيدُ فأتى قبر النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ومعه موسى بن جعفر، فقال: السّلام عليك يا رسول الله، يا ابنَ عم، افتخاراً على مَن حوله. فدنا موسى وقال: **السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبَه**. فتغيَّرَ وجهُ هارون، وقال: هذا الفخرُ يا أبا الحسن حقّاً».

(أعلام النّبلاء، الذّهبيّ)

ولادة الإمام الجواد عليه السّلام (١٠ رجب)

من مأثور أقوال الإمام الجوادِ عليه السلام: «**لا زالَ العَقْلُ وَالحُمْقُ يَتَغالَبانِ عَلى الرَّجُلِ إِلى أَنْ يَبْلُغَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَإِذا بَلَغَها غَلَبَ عَلَيْهِ أَكْثَرُهُما فيهِ، وَما أَنْعَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلى عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَلِمَ أَنَّها مِنَ اللهِ، إِلّا كَتَبَ اللهُ، جَلَّ اسْمُهُ، شُكْرَها لَهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْها؛ وَلا أَذْنَبَ العَبْدُ ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ اللهَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ، إِنْ شاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شاءَ غَفَرَ لَهُ، إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ**».

(كشف الغمّة، الإربلي)

ولادة الإمام الهادي وشهادتُه عليه السلام (٢ و٣ رجب)

قال عليه السّلام:

* «**أُذْكُرْ حَسَراتِ التَّفْريطِ تَلَذَّ بِتَقْديمِ الحَزْمِ**».

* وقال عليه السّلام لرجلٍ ذمّ إليه ولداً له: «**العُقوقُ تُكْلُ مَنْ لَمْ يَثْكَلْ**».

(موسوعة الإمام الهادي عليه السّلام)

مناسبات شهر رَجَب الحرام

١ رجب / ٥٧ هجريّة

مولد الإمام محمّد الباقر عليه السلام.

٢ رجب / ٢١٢ هجريّة

مولد الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

٣ رجب / ٢٥٤ هجريّة

شهادة الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

١٠ رجب / ١٩٥ هجريّة

مولد الإمام محمّد الجواد عليه السلام.

١٣ رجب/ ٢٣ قبل الهجرة

ولادة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

١٥ رجب/ ٦٢ هجريّة

وفاة السّيّدة زينب عليها السّلام.

٢٥ رجب/ ١٨٣ هجريّة

شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

٢٧ رجب/ ١٣ قبل الهجرة

بعثة النّبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله.

الغَفْلَة لماذا؟! والشّيطان هو العدوّ

الغَفْلَةُ تَرْكُكَ المسجدَ، وَطاعَتُكَ المُفْسِدَ

إعداد: محمد ناصر

مَجموعَةٌ مِنَ الأحاديثِ الشَّريفَةِ الّتي وَرَدَتْ في تَعْريفِ الغَفْلَةِ وَصِفَةِ الغافِلينَ؛ تَليها كَلِماتٌ لِصاحِبِ (تفسير الميزان) السَّيِّدِ الطَّباطَبائِيِّ، رَحِمَهُ اللهُ، مِنْ شَرْحِ الآيَةِ الكَريمَةِ: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا..﴾ ق:٢٢.

يستأثر مفهومُ الغَفْلَة بالغافل عن الآخرة، وبمَن يحصر علمَه واهتمامَه بدنياه، وهو ليس بمغفولٍ عنه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم:٧.

مَنْ هُوَ الغافِلُ؟

١- رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَغْفَلُ النّاسِ مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِتَغَيُّرِ الدُّنْيا مِنْ حالٍ إلى حالٍ».

٢- الإمام عليّ عليه السلام: «وَيْلٌ لِمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الغَفْلَةُ فَنَسِيَ الرِّحْلَةَ وَلَمْ يَسْتَعِدَّ».

٣- وعنه عليه السلام: «كَفى بِالرَّجُلِ غَفْلَةً أَنْ يُضَيِّعَ عُمُرَهُ في ما لا يُنْجيهِ».

صِفَةُ الغَفْلَةِ

١- أمير المؤمنين عليه السلام: «الغَفْلَةُ ضَلالُ النُّفوسِ وَعُنْوانُ النُّحوسِ».

٢- الإمام الحسن عليه السلام: «الغَفْلَةُ تَرْكُكَ المَسْجِدَ، وَطاعَتُكَ المُفْسِدَ».

٣- الإمام الصّادق عليه السلام: «إنْ كانَ الشَّيْطانُ عَدُوّاً، فَالغَفْلَةُ لِماذا؟!».

الوِقايَةُ مِنَ الغَفْلَةِ

١- أمير المؤمنين عليه السلام: «أُوصيكُمْ بِذِكْرِ المَوْتِ، وَإِقْلالِ الغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يَغْفُلُكُمْ؟!».

٢- الإمام الباقر عليه السلام: «ادْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ حاضِرَ الشَّرِّ بِحاضِرِ العِلْمِ، وَاسْتَعْمِلْ حاضِرَ العِلْمِ بِخالِصِ العَمَلِ، وَتَحَرَّزْ في خالِصِ العَمَلِ مِنْ عَظيمِ الغَفْلَةِ بِشِدَّةِ التَّيَقُّظِ، وَاسْتَجْلِبْ شِدَّةَ التَّيَقُّظِ بِصِدْقِ الخَوْفِ».

٣- وعنه عليه السلام: «أَيُّما مُؤْمِنٍ حافَظَ عَلى الصَّلَواتِ المَفْروضَةِ فَصَلّاها لِوَقْتِها، فَلَيْسَ هذا مِنَ الغافِلينَ».

إيقاظٌ وَتَنْبيهٌ

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

١- «اتَّقِ أَيُّها السّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ».

٢- «إيّاكَ وَالغَفْلَةَ وَالاغْتِرارَ بِالمُهْلَةِ، فَإِنَّ الغَفْلَةَ تُفْسِدُ الأَعْمالَ، وَالآجالَ تَقْطَعُ الآمالَ».

٣- «الحَذَرَ، الحَذَرَ، أَيُّها المُسْتَمِعُ! وَالجِدَّ الجِدَّ أَيُّها الغافِلُ! ﴿..وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾».

قال العلماء

ولَعَمْري لو لم يكنْ في كتابِ الله تعالى إلّا قوله: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق:٢٢، لكانَ فيه كفاية، إذ الغَفْلَةُ لا تكونُ إلّا عن معلومٍ حاضرٍ، وكشفُ الغطاءِ لا يستقيمُ إلّا عن مُغطّى موجود، فلو لم يكن ما يشاهده الإنسانُ يومَ القيامة موجوداً حاضراً من قبل، لَما كان يصحّ أنْ يُقال للإنسان: إنّ هذه أمورٌ كانت مغفولةً لك مَسْتورةً عنك، فهي اليوم مكشوفٌ عنها الغطاء، مُزالةٌ منها الغَفْلَة. ولَعَمْري إنّك لو سألتَ نفسَك أن تَهْدِيَكَ إلى بيانٍ يفي بهذه المعاني حقيقةً من غير مجاز، لما أجابَتك إلّا بنفسِ هذه البياناتِ والأوصافِ الّتي نزلَ بها القرآنُ الكريمُ.

من فتاوى الفقهاء
في أحكام النّجاسات، والأطعمة والأشربة

إعداد: «شعائر»

وليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئيّ دام ظلّه

س: ما ينفصلُ من جِلد اليدَين أو الشّفتَين أو الرِّجْلَين في بعض الأحيان، هل هو محكومٌ بالطّهارة أو بالنّجاسة؟

ج: ما ينفصلُ بنفسِه من القشور من جلد اليدَين، أو الشّفتَين، أو الرِّجْلَين، أو غير ذلك من سائر البدن محكوم بالطّهارة.

س: إذا نجّس الضّيف إحدى أدواتِ بيت مضيفه، فهل يجبُ عليه إعلام المضيف بذلك؟

ج: لا يلزم الإعلام في غير المأكول والمشروب، وأواني الطّعام.

س: ما هو حكم التّزاور العائليّ مع الأشخاص الّذين لا يهتمّون بمسائل الطّهارة والنّجاسة في الأكل والشّرب ونحو ذلك؟

ج: في موضوع الطّهارة والنّجاسة، كلّ ما لا يقينَ فيه بالنّجاسة، فهو محكومٌ بالطّهارة في ظاهر الشّرع.

س: ما هو مقدار الرّطوبة الذي توجب بها السّراية من شيءٍ لشيءٍ آخر؟

ج: المناط في الرّطوبة المُسرية، هو كون الرّطوبة بحيث تنتقل بنحوٍ محسوسٍ من الجسم الرّطب إلى الجسم الآخر عند ملامسة أحدهما للآخر.

س: هل مُلاقي المتنجّس متنجّس أم لا؟ وإذا كان متنجّساً فهل كلّ ما يلاقي المتنجّس حتّى مع تعدّد الوسائط يتنجّس أيضاً، أم المقصود هو المُلاقي الأوّل فقط؟

ج: الشّيءُ المُلاقي لعين النّجاسة نجسٌ، وإذا لاقى شيئاً طاهراً مع الرّطوبة المُسْرِيَة يتنجّس المُلاقي له، وكذلك لو لاقى هذا المتنجّس بالملاقاة شيئاً طاهراً مع الرّطوبة المُسرية على الأحوط، ولكن المُلاقي لهذا المتنجّس الثّالث لا يَنجس.

س: هل القطَرات التي تسقط من بَدَن الميّت قبلَ غَسْلِه بالماء القُراح، وبعد غسلِه بالسّدر والكافور طاهرة أم لا؟

ج: ما لم يكتمل الغُسل الثّالث لبَدن الميّت، يبقى محكوماً بالنّجاسة.

(أجوبة الاستفتاءات)

آية الله العظمى السّيّد عليّ السّيستاني دام ظلّه

س: تُكتب عبارة (مذبوح على الطّريقة الإسلاميّة) على لحوم منتجة في دول إسلاميّة من قبل شركات غير إسلاميّة، فهل يجوز لنا تناولها؟ وهل يجوز تناولها إذا كان منشأ هذه اللّحوم شركة إسلاميّة في دولة غير إسلاميّة؟ ثمّ ما هو الحال لو كان المنشأ شركة أجنبيّة في دولة أجنبيّة؟

ج: لا اعتبار بالكتابة، فإنْ كان المُنتِجُ لها مسلماً أو أُنتِجت في بلد يغلبُ فيه المسلمون، ولم يعلم أن المنتج لها من غير المسلمين، جاز تناولُها. وأمّا إذا كان المنتِجُ غير مسلم، أو أُنتجت في بلدٍ ليست غالبيّتُه من المسلمين، ولم يعلم كون المنتج مسلماً، فلا يجوز تناولُها.

س: هل يجوز أكل (السّرطان) بأنواعه المختلفة أسوة بالرّوبيان؟

ج: لا يجوز أكل السّرطان.

س: هل يحق شراء السّمك من المخالف، ونحن لا ندري أهو من ذوات الفلس أم لا؟

ج: يجوز شراؤه، ولكن لا يجوزأكله ما لم يحرز كونه من ذوات الفلس.

س: بعض الأجبان المصنوعة في الدّول غير الإسلاميّة مشتملة على أنفحة العجل، أو أيّ حيوان آخر، ولا ندري هل الأنفحة مأخوذة من حيوان مذبوح على الطّريقة الإسلاميّة أوّلاً؟ وهل هي مستحيلة إلى شيءٍ آخر أو لا، فهل يجوز أكل هذه الأجبان؟

ج: لا إشكال في أكل الأجبان من هذه الجهة، والله العالم.

س: هل يجوز أكل طعام (حلال)، مبخّر ببخارِ لحمٍ غير مذكّى؟

ج: لا يجوز، والطّعام محكومٌ بالنّجاسة لملاقاته الأجزاءَ المائيّة المجتمعة من بخار اللّحم المحكوم بالنّجاسة، حسب الفرض.

س: ندخل محلات في الدّول الغربيّة تبيع مأكولات لا ندري محتوياتها ".." فهل يجوز أكلُها دون معرفة محتوياتها؟

ج: يجوز ما لم يعلم اشتمالَها على شيءٍ من اللّحوم والشّحوم ومُشتقّاتهما.

(الفقه للمغتربين)

كَيْفَ نَرْجو اللهَ تَعالى؟

لِكُلِّ عَمَلٍ حَقيقِيٍّ أَثَرٌ

الميرزا الملكيّ التّبريزيّ قدس سره

في سِياقِ بَيانِه لِمَعاني دُعاء «يا مَنْ أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَير..»، المَرويِّ عَن الإمامِ الصّادِقِ عليه السّلام، والّذي تُسْتَحَبُّ قِراءَتُهُ طيلَةَ أَيّامِ شَهْرِ رَجَب وَفي أَعْقابِ الفَرائِض، يَقِفُ العَلّامَةُ المَلَكي التَّبْريزيُّ في كِتابِه (المُراقَبات) عِنْدَ مَعْنى «الأَمْنِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعالى»، مُبَيِّناً أَنَّ الدُّعاءَ بِشُروطِهِ مِفْتاحٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَنَّ لِلرَّجاءِ أَماراتٍ خارِجِيَّةً يَسْتَدِلُّ بِها العَبْدُ عَلى صِدْقِ رَجائِه.

لا تَغفلْ أنّك تقولُ في أوّلِ هذا الدُّعاءِ إنّك ترجو اللهَ لكلِّ خيرٍ، وتأمنُ سخَطَهُ عند كلِّ شرّ، ومن (مظاهر) هذا السّخَطِ مَكْرُ الله، والحال أنّ الأمْنَ من مَكْرِ اللهِ من المَعاصي الكبيرة، فَلْيَكُن قصدُك من هذه العبارةِ (مشروطاً بـ) التّوبة، فكأنّك تقول: أَمَّن [يا مَن] جَعَلَ لعبادِه طَريقاً إذا سَلَكوه أمِنوا سخَطَه، وهو التّوبة. وهذا ليس أَمْناً فِعليّاً من مَكْرِ الله.

وكذا قولك: «**أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْرٍ**»، فكأنّك تَقولُ: يا مَنْ جَعَلَ لِعبادِهِ طَريقاً إذا سَلَكوه، وفتحَ لهم باباً إذا دَخلوا منه، نالوا به كُلَّ خيرٍ يريدونه، وهو الدُّعاء.

مَنْشَأُ الرَّجاءِ دَليلٌ عَلى صِدْقِهِ

اعلم أنّك لا تنالُ لِخيرِ الدُّعاء وإجابته كمالاً إلّا إذا اتّصفَ سرُّك وروحُك وقلبُك بصفاتِ الدُّعاء، والاتّصافُ بصفاتِه (يتحقّق عندما ينطلق دعاؤك من) سرّك وروحك وقلبك، مثلاً إذا قلتَ: أرجوكَ لكلِّ خيرٍ، تكون راجياً اللهَ بِسِرِّكَ وروحِكَ وقَلْبِكَ، ولِكلٍّ منها آثارٌ، (فاحرص أن تظهر) آثارُه في عَمَلِكَ، فمَن تحقّق الرَّجاءُ في سرِّه وحقيقتِه، فكأنّه يصيرُ رجاءً كلّه، ومَن كان ذلك في روحه فكأنّه تكون حياته بالرّجاء، ومَن كان راجياً بقلبه تكون أعمالُه الّتي يُصدرها عن قصدٍ واختيار ملازمةً للرّجاء، فاحذر أن (تخلو) شؤونُك من الرّجاء.

(انظُر) هل ترى في حركاتِك أثرَ الرّجاء، وهو الطلّب، أم لا؟ أمَا سمعتَ قولَ المعصوم عليه السّلام: «**مَنْ رَجا شَيْئاً طَلَبَهُ**»، وهو كذلك؛ لأنّك ترى في أحوالِ الرّاجين من أهل الدُّنيا في الأمور الدُّنيويّة، أنّهم إذا رَجوا خَيْراً من أحدٍ أو شيءٍ، طلَبوه من هذا الشّخص ومن هذا الشّيء الّذي رجوه فيه بقدر رجائهم.

> **إذا كنتَ صادقاً في تنزيه الله تعالى عن الشّريك، فكيف تخافُ غيرَه في طاعتِه، ولا تخافُه في طاعة الغير بمعصيتِه؟**

وقِسْ على الرّجاءِ غَيْرَهُ من مَطالبِ الدّعاءِ من التّسبيح، والتّهليل، والتّحميد، والتّضرُّع، والاستكانَة، والاستغفار، والتّوبة، فإنّ كلّ ذلك له حقائقُ ودعاوى، فالأَثَرُ للحقيقة، مثلاً إذا كنت بسرّك وروحك وقلبك منزِّهاً لله تعالى عن النّقائص، فكيف لا (تَثِقُ بـ) وعده في أمر رزقِك وقد ضمنَه لك، وإذا كنتَ مُنزِّهاً له من أن يكونَ له شريكٌ في مُلكِه، فكيفَ تَخافُ غيرَه في طاعتِه، ولا تَخافُه في طاعةِ الغيرِ بِمَعْصِيَتِهِ؟

بل لو كنتَ عارفاً حقّ المعرفة أنّ الله يسمعُ دُعاءَك، ويرى باطِنَك كما يرى ظاهِرَك، وأنتَ بين يَدَيْهِ مُسخَّرٌ مَربوبٌ وهو يفعلُ ما يشاءُ بك، فلا أقلَّ من أن تهابَه (وتجتنبَ) في حضوره الكَذِبَ والفِرية، والدّعاوى الباطلة، فالمُظهِرُ لمراسمِ العُبوديّةِ صورةً لا باطناً، يُسمَّى مستهزئاً عندَ أهلِ العُرف، لكنّ واقعَ الأمرِ في الأغلب ليس كذلك، لأنّ خُلُوَّ الباطنِ عن مَراسمِ العُبوديّةِ وحَقائِقِها ليس مَعلوماً للعبد، بل هو يَرى أنّ عِبادتَه حقيقيّةٌ وليستْ بِصُوريّة، وهو مَغرورٌ، (و) بذلك يَخْرُجُ عن المُستَهْزئين، ولكنّه يدخلُ في الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف:١٠٤.

(بتصرّف)

الملف

مؤلَّفات
أمير المؤمنين عليه السلام

كتبه علي بن أبي طالب عليه السلام

في آخر نهار الخميس حادي عشر ذي الحجّة
سنة خمس وعشرين من الهجرة».

يُنسَبُ إلى الإمام عليه السّلام، وقد وَرَدَ في آخر دُعاء الصّباح.

(انظر: الأحمدي، مكاتيب الرسول: ٢/١٩٠)

اقرأ في الملف

استهلال	في الصّلاة على الإمام عليّ عليه السّلام
هذا الملفّ	«شعائر»
مؤلّفاتُ أمير المؤمنين عليه السّلام	إعداد: أسرة التّحرير

استهلال

في الصّلاة على الإمام عليّ عليه السلام

أَللّٰهُمَّ وَصَلِّ عَلَى عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ

وَأَخِي رَسُولِكَ

وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ

وَآيَتِكَ ٱلْكُبْرَى وَٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ

المجلسي الأول، روضة المتقين: ج ٥/ ص ٤٣٢

هذا الملفّ

قالَ الإمامُ الصّادق عليه السلام:

«عَلَّمَ رَسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، عَلِيّاً، عَلَيْهِ السَّلامُ، أَلْفَ بابٍ، يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بابٍ أَلْفُ بابٍ».

(روضة المتّقين: ج ١٢/ ص ٢١١)

أَوْدَعَ النّبيُّ صلّى الله عليه وآله الإمامَ عليّاً عليه السلام هذه العلوم ومفاتيحها لتصلَ إلى الأجيالِ والأُمَم، فكيفَ وَصَلتْ؟

يُجيبُ على جانبٍ من هذا السّؤال معرفةُ الكُتبِ التي ألّفها أميرُ المؤمنين عليه السلام، وورثَها عنه وَرَثتُه الأوصياءُ عليهم السّلام، وأداروا رَحى العلمِ على أساسِ مصادرَ إلهيّةٍ مُتعدِّدة، أحدها هذه المؤلّفات العلويّة.

عن واحدٍ من هذه المؤلّفات قالَ الإمامُ الباقرُ عليه السلام:

«إِنَّ عِنْدَنا صَحيفَةً مِنْ كُتُبِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ، طولُها سَبْعونَ ذِراعاً، فَنَحْنُ نَتْبَعُ ما فيها لا نَعْدوها "..." إِنَّ عَلِيّاً، عَلَيْهِ السَّلامُ، كَتَبَ العِلْمَ كُلَّهُ، القَضاءَ وَالفَرائِضَ، فَلَوْ ظَهَرَ أَمْرُنا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ إِلّا فيهِ سُنَّةٌ نُمْضيها».

(بحار الأنوار: ج ٢٦/ ص ٢٣).

وقد تتبّعَ الفقيهُ الرّاحل السّيّد محسن الأمين، رحمه الله مُختلفَ الرّواياتِ حولَ هذه المؤلّفاتِ العَلويّة، وكتبَ عنها شرْحاً وافياً في (أعيان الشّيعة: ج ١/ ص ٩٠-٩٨)، وأَعادها مُختصرةً في (ج ١/ ص ٥٣٩).

مؤلّفات تلامذته، علويّة

كما ذكر السّيّد الأمين في (ج ١/ ص ١٤٠) فما بعدها، فَوائدَ مُهمّةً حول مؤلّفاتِ عددٍ من خواصّ الأمير عليه السلام أو من تلقّوا العلمَ منه عليهِ السّلام، وأَثبتَتْ سِيَرُهُم لاحقاً عدم استقامتِهم، كعُبيد الله بن الحرّ الجُعْفيّ «الشّاعر الفارس الفاتك». ذكرَه النّجاشيّ في الطّبقة الأولى من مؤلّفي الشّيعة، وقال: «له نسخةٌ يرويها عن أمير المؤمنين عليه السّلام». اهـ.

قال السّيّد الأمين: «أقول ولكنّه لم ينصر الحسين عليه السلام حين استنصرَه، ثمّ طلبَ بثاره وماتَ أيّام المختار، حدود سنة ٦٦ للهجرة». (الأعيان: ج ١/ ص ١٤١)

وقد أورد السّيّد الأمين أسماءَ خواصّ الأمير عليه السلام وغيرهم ممّن تلقّوا العلمَ عنه عليه السّلام، كما يلي:

١- أبو رافع. ٢- عليّ بن أبي رافع. ٣- عُبيد الله بن أبي رافع. ٤- الأصبغ بن نُباتة. ٥- الحارثُ الهمدانيّ. ٦- ربيعةُ بن سُمَيْع. ٧- يعلى بن مرّة. ٨- عبيد الله بن الحرّ الجعفيّ. ٩- و«أبو صادق، سُليم بن قيس الهلاليّ».

ومن الواضح أنّ مصدر الثّابت من هذه الكُتب هو علمُ أمير المؤمنين عليه السلام فهذه المؤلّفات عَلويّة، لا سيّما ما كان منها لا يشتمل إلّا على ما سمعه المؤلّف من أمير المؤمنين عليه السّلام، مثل كتاب (السّنن والأحكام والقضايا) لأبي رافع.

نستنتج:

١- أنّ علمَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله الذي علّمه عليّاً عليه السلام، قد وَصلَ إلى الأُمّةِ بأجيالِها، ويستمرُّ وصولُهِ عن طريقِ الأئمّةِ من أهلِ البيتِ عليهم السّلام، الذين كانت عندهم كُتبٌ ألّفها أميرُ المؤمنين عليه السلام، فكانتْ مَصْدراً رئيساً من مصادرِ عُلومِهِم الإلهيّة.

٢- كما وصلَ بعضُ تلك العُلومِ النّبويّة للإمامِ عليٍّ عليه السلام، من طَريقِ الصّحابةِ والتّابعينَ الذين ألّفوا كُتباً ثبتَ أنّها أصولٌ مُعْتَمدَة، تَحدّثَ عنها «النّجاشيّ» وغَيْرُهُ من العلماءِ المُخْتَصّين.

ولأهمّيةِ هذَين المحْوَرَيْنِ، ولأنّ السّائدَ على نِطاقٍ واسعٍ جدّاً أنّه لا كُتُبَ لأميرِ المؤمنين عليه السلام غير (نهج البلاغة)، فقد آثرتْ «شعائر» أن يكونَ موضوعُ كُتُبِ أميرِ المُؤْمنينَ عليه السلام ملَفَّ هذا العدد.

مُؤلّفاتُ أميرِ المُؤمنينَ عليه السّلام

إعداد أسرة التّحرير

عالجَ هذا الموضوعَ، بهذا العنوان، الفقيهُ الرّاحلُ السّيّد محسن الأمين، في عدّة مواضع من كتابه الشّهير (أعيان الشّيعة)، أبرزها ما جاء في (الجزء الأوّل، ص ٩٠ - ٩٨)، كما مرّ في التّقديم لهذا الملّف.

ما يلي عرضٌ لنصّ السّيّد الأمين بتصرّفٍ يسيرٍ في الإعداد والتّحرير، وأحياناً بالتّرقيم.

١- جمْعُ القرآنِ الكريمِ وتَأْويلُهُ

كما ذكر (الاسم) المحقّقُ الكاظميّ، أو جمْعُه على ترتيب النّزول كما أخرجه «أبو داود»، وذكرَه غيرُه.

٢- كتابٌ أملى فيه أميرُ المؤمنين عليه السّلام ستّينَ نوعاً من أنواعِ علومِ القُرآنِ

وذكرَ لكلّ نوعٍ مثالاً يَخصّه، وهو الأصلُ لكلّ مَنْ كتبَ في أنواع علوم القرآن.

وهذا الكتاب أَوْرَدَهُ المجلسيَ في (بحاره)، نقلاً عن أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر النّعمانيّ في تفسيره للقرآن، ورواه النّعمانيّ عن الحافظ ابن عقدة بسنده المتّصل إلى الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام، أنّه نَسبَهُ إلى أميرِ المؤمنين عليه السلام. ويبلغُ ثلاثَ عشرة ورقةً إلّا ربع بالقطعِ الكامل، كلّ صفحة منها ٢٧ سطراً، كلّ سطر ٢٣ كلمة.

وأشارَ إلى هذا الكتابِ «الرّافعيّ» في كتابِهِ (إعجاز القرآن)، فقالَ: «وتزعمُ الشّيعةُ أنَّ عليّاً أملى ستّينَ نوعاً من أنواعِ علومِ القرآن، وذكر لكلِّ نوعٍ منها مِثالاً يخصُّهُ. وأنَّ ذلك في كتاب يَرْوونَهُ عنه من طرقٍ عدّة، وهو في أيديهم إلى اليوم. وذلك وإنْ كانَ قريباً في ما يُعطيه ظاهرُه، غير أنّه بالحيلةِ على تقريبهِ من الحقيقةِ صارَ أبعدَ منها وأمحضَ في الزّعم» اهـ.

ونخالُه يشيرُ بذلك إلى ما في كتاب (الشّيعة وفنون الإسلام) المذكور فيه هذه العبارة في مَوْضعَين، ولكنّ نفسَه لم تطاوعه على الاعترافِ بهذا الكتابِ والإذعانِ بأنّ عليّاً عليه السلام أملى ستّين نوعاً من أنواعِ علومِ القرآنِ في كتابٍ ترويه الشّيعة بأسانيدها، وهو في أيديها إلى اليوم. وجعلَ ذلك حيلةً على تقريبِهِ من الحقيقة.

يا سبحانَ الله! كيف يُمكن أن يصدر مثلُ هذا الكتاب من أميرِ المؤمنين وسيّدِ العُلماءِ والمُوَحّدين، ووارثِ علومِ خيرِ النّبيّين صلى الله عليه وآله ومَنْ قالَ في حقّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله: **أنا مَدينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها؟**

وكيف يُمكن أن يُصدّقَ به الرّافعيّ، ورواتُه من الشّيعة وهو بأيديهم؟ بل هو بالحيلة على تقريبه من الحقيقة صارَ أبعد منها!

لا يصدّق الرّافعيّ بهذا، ويقول في حاشية كتابه المذكور إنّ لبعضِ المحقّقين من مشايخ الصّوفيةِ دقائقَ في التّفسيرِ لا تتّفقُ لغيرهم لسُمُوّ أرواحِهم ونورِ بواطنِهم، ومنهم كانَ الإمام السّلطانُ الحنفيّ، صاحبُ المقام

المشهور في القاهرة، سمعه يوماً شيخُ الاسلامِ «البلقيني» يفسّرُ آيةً فقالَ: «لقد طالعتُ أربعينَ تفسيراً، فما وجدتُ فيها شيئاً من تلك الدّقائق». اهـ.

وحكى الرّافعيّ في حاشية كتابه المذكور عن بعضِ العلماءِ أنّه استخرجَ من القرآنِ الكريمِ أنّ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ الفرقان:٤٥، إشارةٌ إلى التّصويرِ الشّمسيّ، وأنّ قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ..﴾ فصلت:١١، إشارةٌ إلى أنّ مادة الكون هي الأثير. وأنّ قوله تعالى في السّماوات والأرض: ﴿..كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا..﴾ الأنبياء:٣٠ إشارةٌ إلى أنّ الأرضَ انفتقت من النّظامِ الشّمسيّ. وأنّ قوله تعالى: ﴿..وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ..﴾ الأنبياء:٣٠، إشارةٌ إلى أنّ للجماداتِ حياةً قائمةً بماء التّبلْوُرِ. وأنّ قوله: ﴿..فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ طه:٥٣، دالٌّ على تَلاقحِ النّبات، إلى غير ذلك. وهذا ليس ببعيدٍ عمّا حواه القرآنُ من العلوم. وإنّ فيه تبيان كلّ شيء، ولكنّ مَن يصدّق بذلك، كيف يعْظمُ عليه أن يُصدّقَ بأنّ علياً أميرَ المؤمنين أملى ستّين نوعاً من علومِ القرآن؟!...

سندُ رواية هذا الكتاب في علوم القرآن

قال السّيّد الأمين رحمه الله: «وقد رأينا من المُناسبِ أن نذكرَ هنا سندنا إلى هذا الكتاب، الذي نرويه به إجازةً عن مشايخنا، المتّصل إلى أهل بيت النّبوّة عليهم السلام، ونورد نبذاً منه، وإنْ طالَ الكلامُ وخالفَ ما نتوخّاهُ في هذه المقدّمة من الاختصار.

فنقول:

لنا عدّةُ طُرق إلى ابن عقدة راوي هذا الكتاب، بسنده إلى الإمامِ جعفرٍ الصّادقِ الذي أسنده إلى أميرِ المؤمنين عليه السلام، نذكر منها هنا طَريقاً واحداً لاتّصال السّندِ به. فإنّا نَروي إجازةً عن شيخِنا وأستاذِنا الفقيهِ المُحقّقِ المُدقّقِ الزّاهدِ العابدِ الشّيخِ محمّد طه بن الشّيخِ مهدي نجف النّجفيّ قدس سره، عن شيخِهِ الفقيهِ الزّاهدِ العابدِ المُلّا عليّ بن ميرزا خليل الطّبيب الطّهرانيّ النّجفيّ، عن شيخِهِ الإمامِ الفقيهِ العلّامة الشّيخ محمّد حسن النّجفيّ (صاحب جواهر الكلام)، عن شيخِهِ الفقيهِ المُتبحّرِ العلّامةِ السّيّد محمّد الجوادِ بن محمّدٍ العامليّ النّجفيّ (صاحب مفتاح الكرامة)، عن شيخِهِ الإمامِ العَلّامةِ السّيّد محمّد مهدي الطّباطبائيّ النّجفيّ المعروف ببحر العلوم، عن شيخِهِ المُحقّق الوحيد محمّد باقر بن محمّد أكمل البَهبهانيّ الحائريّ، عن أبيه محمّد أكمل، عن العلّامة المجلسيّ، عن أبيه.

وعن بحر العلوم، عن المولى محمّد باقر الهزار جريبي، عن شيخه محمّد بن محمّد زمان، عن الأمير محمّد حسين بن الأمير محمّد صالح، عن العلّامة محمّد باقر المجلسيّ الثّاني، عن والده المولى محمّد تقي المجلسيّ الأوّل، عن الشّيخ بهاء الدّين محمّد العامليّ المعروف بالبهائيّ، عن والده الشّيخ حسين بن عبد الصّمد الحارثيّ الهمدانيّ العامليّ، عن شيخه الشّيخ زين الدّين بن عليّ العامليّ الجُبَعيّ المعروف بالشّهيد الثّاني، عن شيخه الفاضل نور الدّين علي بن عبد العالي المَيسيّ، عن الشّيخ شمس الدّين محمّد بن داوود الشّهير بابن المؤذّن العامليّ الجزّينيّ، عن الشّيخ ضياء الدّين عليّ ابن الشّيخ الجليل السّعيد الشّهيد شمس الملّة والدّين محمّد بن مكّي العامليّ الجزّينيّ، عن والده المذكور، عن الشّيخ فخر الدّين أبي طالب محمّد ابن الشّيخ جمال الدّين أبي منصور الحسن بن المطّهر الحلّيّ، عن والده المعروف بالعلّامة الحلّيّ، عن شيخه الإمام الجليل المحقّق نجم الدّين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد المعروف بالمحقّق الحلّيّ، عن السّيّد شمس الدّين فخار

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام في ستين نوعاً من علوم القرآن

بن معد الموسويّ، عن الشّيخ أبي الفضل شاذان بن جبرائيل القمّيّ، عن الشّيخ أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم العماد الطّبريّ، عن الشّيخ أبي علي الحسن ابن شيخ الطّائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ، عن أبيه، عن أبي الحسن أحمد بن محمّد بن موسى الأهوازيّ، عن أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد المعروف بابن عقدة بجميع رواياته وكُتبه، قال:

حَدّثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجُعْفيّ، عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن إسماعيل بن جابر، قال:

سمعتُ أبا عبد الله جعفرَ بن محمّدٍ الصّادقَ عليه السلام يقول:

إنَّ اللهَ تبارك وتعالى بعثَ محمّداً صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ، فختمَ به الأنبياءَ، فلا نبيَّ بعدَه، وأنزل عليه كتاباً فختمَ به الكُتُبَ، فلا كتابَ بعده، أحلَّ فيه حلالاً وحرّمَ حراماً، فحلالُه حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامُه حرامٌ إلى يوم القيامة، فيه شرْعُكم، وخبرُ مَن قبلَكم وبعدَكم، وجعلَه النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ علماً باقياً في أوصيائه، فتركَهم النّاسُ وهم الشّهداءُ على أهلِ كلّ زمان ثمّ قتلوهم...

إلى أن قال، وهو يشير إلى من خالفوا أهل البيت عليهم السلام:

وذلك أنّهم ضَربوا بعضَ القرآن ببعضٍ، واحتجّوا بالمَنسوخِ وهم يظنّون أنّه النّاسخ، واحتجّوا بالمُتَشابِهِ وهم يَرَوْنَهُ المُحْكَمَ، واحتجّوا بالخاصّ وهم يقدّرون أنّهُ العامّ، واحتجّوا بأوّلِ الآيةِ وتركوا السّببَ في تأويلِها، ولم ينظروا إلى ما يفتحُ الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا مواردَهُ ومصادرَه.

واعلموا، رحمكم الله، أنّ مَن لم يعرفْ من كتابِ الله عزّ وجلّ النّاسخَ مِنَ المَنسوخِ، والخاصَّ مِنَ العامّ، والمُحكمَ من المُتَشابِهِ، والرّخصَ مِنَ العزائمِ، والمكّيَّ والمدنيَّ، وأسبابَ التّنزيل، وما فيه من علمِ القضاءِ والقدرِ، والتّقديم والتّأخير، والابتداء والانتهاء، والسّؤال والجواب، والقطع والوصل، والمستثنى منه، فليس بعالِمٍ بالقرآن.

ولقد سألَ أميرَ المؤمنين صلوات الله عليه شيعتُه عن مثل هذا، فقال:

إنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآنَ على سبعةِ أقسام، كلٌّ منها شافٍ كافٍ، وهي: أمرٌ، وزجْرٌ، وترغيبٌ، وترهيبٌ، وجدلٌ، ومَثلٌ، وقصص.

وفي القرآن: ناسخٌ، ومنسوخٌ، ومحكمٌ، ومُتشابَهٌ، وخاصٌّ، وعامٌّ، وعزائمُ، ورُخَصٌ، وحلالٌ، وحرامٌ، وفرائضُ، وأحكامٌ، وحرفٌ مكانَ حرف.

ومنه ما لفظُهُ خاصّ، ومنه ما لفظُهُ عامٌّ محتمل العموم، ومنه ما لفظُهُ واحدٌ ومعناه جمعٌ، ومنه ما لفظُهُ جمعٌ ومعناه واحدٌ، ومنه ما لفظُهُ ماضٍ ومعناهُ مستقبلٌ، ومنه ما لفظُهُ على الخبرِ ومعناه حكايةٌ عن قوم آخرين، ومنه ما تأويلُه في تنزيله، ومنه ما تأويلُهُ قبل تنزيلِه، ومنه ما تأويلُه بعد تنزيلِه، ومنه آياتٌ بعضُها في سورة وإتمامُها في سورةٍ أخرى، ومنه آياتٌ نصفُها منسوخٌ ونصفُها متروكٌ على حاله، ومنه آياتٌ مختلفةُ اللّفظِ متّفقةُ المعنى، ومنه آياتٌ متّفقةُ اللّفظِ مختلفةُ المعنى، ومنه آياتٌ فيها رخصةٌ وإطلاقٌ بعد العزيمة، ومنه مخاطبةٌ لقومٍ والمعنى لآخرين، ومنه مخاطبةٌ للنّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ ومعناه واقعٌ على أُمّته، ومنه لا يُعرَفُ تحريمُه إلّا بتحليلِه، ومنه ردٌّ مِنَ الله

تعالى واحتجاجٌ على جميع الملحدين والزّنادقة، والدّهريّة والثّنَويّة والقدريّة، والمجبِّرة وعبَدةِ الأوثان وعبَدةِ النّيران، ومنه احتجاجٌ على النّصارى في المسيحِ عليه السّلام، ومنه الرّدّ على اليهود، ومنه الرّدّ على من زعم أنّ الإيمانَ لا يزيدُ ولا ينقصُ، وأنّ الكفرَ كذلك، ومنه ردٌّ على من زعمَ أنْ ليس بعد الموتِ وقبلَ القيامة ثوابٌ وعِقاب، ومنه ردٌّ على مَن أنكر فضلَ النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ على جميع الخلق، ومنه ردٌّ على من أنكر الإسراءَ به ليلةَ المعراج، ومنه ردٌّ على من أثبتَ الرّؤية، ومنه صفات الحقّ، وأبواب معاني الإيمان ووجوبه ووجوهه، ومنه ردٌّ على من وصفَ الله تعالى وحدَّه، ومنه ردٌّ على من أنكرَ الرّجعةَ ولم يعرفْ تأويلَها، ومنه ردٌّ على من زعمَ أنّ اللهَ عزّ وجلّ لا يعلمُ الشّيءَ حتّى يكون، ومنه ردٌّ على من لم يَعْلَمِ الفرقَ بين المشيئةِ والإرادةِ والقُدرةِ، ومنه ما بَيّنَ اللهُ فيه شرائعَ الإسلامِ، والسّببَ في بقاء الخلقِ، ومعايشَهُم ووجوه ذلك، ومنه أخبارُ الأنبياء وشرائعُهم وهلاكُ أُممهم، ومنه ما بيّن الله تعالى في مغازي النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وحروبه..

وغير ذلك إلى تمام ستّين نوعاً اختصرنا بعضها.

* فممّا سألوه عن النّاسخ والمنسوخ، فقال صلوات الله عليه:

إنّ اللهَ تبارك وتعالى بعث رسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بالرّأفة والرّحمة، فكان من رأفته ورحمته أنّه لم ينقل قومَه في أوّل نُبُوَّتِهِ عن عادتِهِمْ حتّى استحكمَ الإسلامُ في قلوبهم، وحلّت الشّريعةُ في صدورهم.

فكان من شريعتهم في الجاهليّة أنّ المرأة إذا زنت حُبست في بيتٍ وأقيم بأوَدها حتّى يَأْتِيَها الموتُ، وإذا زنى الرّجلُ نَفَوْهُ عن مجالسهم، وشتموه وآذوه وعيّروه، ولم يكونوا يعرفوا غير هذا؛ قالَ اللهُ تعالى في أوّل الإسلام: ﴿وَٱلَّتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ النّساء:١٥-١٦، فلمّا كثر المسلمون وقوي الإسلامُ واستوحشوا أمورَ الجاهليّة أنزلَ الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ..﴾ النّور:٢، إلى آخر الآية، فنسخت هذه الآيةُ، آيةَ الحبسِ والأذى.

ومن ذلك: العدّة، كانت في الجاهليّة على المرأة سنةً كاملةً، وكان إذا مات الرّجل ألْقت المرأةُ خلفَ ظهرِها شيئاً بعْرةً وما جرى مَجْراها، ثمّ قالت: البعلُ أَهْوَنُ عليّ من هذه، فلا أكتحل ولا أمْتَشِطُ ولا أتطيّب ولا أتزوّج سَنَةً. فكانوا لا يُخرجونها من بيتها، بل يُجْرونَ عليها من تركةِ زوجِها سَنَةً، فأنزل الله تعالى في أوّل الإسلام: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ..﴾ البقرة:٢٤٠، فلمّا قوي الإسلام أنزل الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ..﴾ البقرة:٢٣٤، إلى آخر الآية.

ومن ذلك: أنّ الله تبارك وتعالى لمّا بعثَ محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ أمَره في بدوّ أمره أن يدعوَ بالدّعوة فقط، وأنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ الأحزاب:٤٥-٤٨.

فبعثَهُ اللهُ بالدّعوة فقط، وأمره أن لا يؤذيهم، فلمّا أرادوه بما همّوا به من تَبْييته، أمرَهُ اللهُ تعالى بالهجرة، وفرض عليه القتالَ، فقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج:٣٩.

فلمّا أُمِرَ النّاسُ بالحربِ جزعوا وخافوا فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ .. ﴾ النساء:٧٧-٧٨. فنسخت آيةُ القتال آيةَ الكفّ، فلمّا كان يوم بدر وعرف اللهُ حَرَجَ المُسْلِمينَ، أنزلَ على نبيّه: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ .. ﴾ الأنفال:٦١، فلمّا قوي الإسلامُ وكثر المسلمون أنزل الله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ محمّد:٣٥.

فنسختْ هذه الآيةُ، الآيةَ التي أذن لهم فيها أن يجنحوا للسّلم، ثمّ أنزلَ اللهُ سبحانه في آخرِ السّورة ﴿ .. فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ .. ﴾ التوبة:٥، إلى آخر الآية.

ومن ذلك: أنّ اللهَ تعالى فرضَ القتالَ على الأُمّة، فجعلَ على الرّجلِ الواحد أن يقاتلَ عشرةً من المشركين، فقال: ﴿ .. إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ .. ﴾ الأنفال:٦٥، إلى آخر الآية، ثمّ نسخها سبحانه فقال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ .. ﴾ الأنفال:٦٦، إلى آخر الآية، فنسخَ بهذه الآيةِ ما قبلها، فصارَ من فرضِ المُؤمنين في الحرب، إن كانت عدّة المشركين أكثر من رَجلين لرجلٍ، لم يكن فارّاً من الزّحف، وإن كانت العدّة رجلين لرجلٍ كان فارّاً من الزّحف.

ومن ذلك: نوعٌ آخر، وهو أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا هاجرَ إلى المدينة آخى بين أصحابِهِ من المهاجرين والأنصار، وجعل المواريثَ على الإخوةِ في الدّين لا في ميراثِ الأرحام، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ .. ﴾ الأنفال:٧٢. فأخرج الأرقاب [الأقارب] من الميراث، وأثبته لأهلِ الهجرة وأهلِ الدّين خاصّة، ثمّ عطف بالقول فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال:٧٣، فكان مَنْ ماتَ مِنَ المُسْلِمينَ يصيرُ ميراثُه وتركتُه لأخيه في الدّينِ دون القرابة والرَّحِم الوشيجة، فلمّا قَوِيَ أمْرُ الاسلام أنزل الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ الأحزاب:٦، فهذا المعنى نسخ آية الميراث.

ثمّ ذكر آياتِ نسخِ القبلة وفسّرها، وآياتِ القصاص ونسْخَها لما في التّوراة، ونسْخ الأحكام الشّاقّة التي كانت على بني إسرائيل، ثمّ قال:

ومنه: أنّه تعالى لمّا فرض الصّيام، فرض أن لا ينكح الرّجل أهله في شهر رمضان [لا] باللّيل ولا بالنّهار، على معنى صوم بني إسرائيل في التّوراة، فكان ذلك محرّماً على هذه الأُمّة، وكان الرّجل إذا نامَ في أوّل اللّيل قبل أن يفطر فقد حرّم عليه الأكل بعد النّوم، أفطر أو لم يفطر، وكان رجلٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ يُعرف بـ «مطعم بن جُبير»، شَيْخاً، فكان في الوقت الذي حُفِرَ فيه الخندقُ، حَفَرَ في جملة المُسْلِمينَ، وكان ذلك في شهر رمضان، فلمّا فرغ من الحفرِ وراح إلى أهله، صلّى المغرب، وأبطأت عليه زوجتُه بالطّعام، فغلب عليه النّوم،

فلمّا أحضرت إليه الطّعام أنبهَته، فقال لها: «استعمليه أنتِ، فإنّي قد نمتُ وحَرُم عَلَيّ»، وطوى، وأصبحَ صائماً، فغدا إلى الخندقِ وجعلَ يحفرُ مع النّاس فغُشي عليه، فغدا عليه رسولُ الله ﷺ، فسأله عن حاله، فأخبره، وكان في المُسْلِمينَ شبّانٌ ينكحون نساءَهم باللّيل سرّاً لقلّة صبرهم، فسألَ النّبيُّ ﷺ اللهَ سبحانه في ذلك، فأنزل اللهُ عليه : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ..﴾ البقرة:١٨٧، **فنسختْ هذه الآيةُ ما تقدَّمَها.**

ثمّ ذكر جملةً من الآيات المنسوخة، ثم قال:

وسُئلَ صلواتُ الله عليه عن أوّل ما أنزلَ عزّ وجلّ من القرآن، فقال:

أوّل ما أُنزل بمكّة سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ العلق:١، **وأوّل ما أنزل بالمدينة سورة البقرة.**

ثمّ ذكر المحكم ومثّله بآية الوضوء وآية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ..﴾ المائدة:٣، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ..﴾ النساء:٢٣، و[ذكر] المُتشابهَ فقال: «**وإنّما هلكَ النّاسُ في المُتشابهِ ولم يعرفوا حقيقَتَهُ، فوضعوا له تأويلاتٍ من عند أنفسهم**»، ومثّله بالآيات التي فيها ذِكرُ الضّلال والإضلال وغيرها، ثمّ ذكر أنّهم سألوه عن لفظ الوحي، وعن مُتشابهِ الخلق، وعن المُتَشابهِ في تفسير الفتنة، وعن المُتُشابهِ في القضاء، وعن أقسام النّور، وعن أقسام الأُمّة، فذكر أقسامَها واختلافَ مواردِ استعمالِها في القرآن الكريم.

ثمّ ذكر ما ظاهِرُهُ العموم ومعناه الخصوص. نذكرها باختصار، مثل:

* ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ البقرة:٤٧

وإنّما فضّلهم على عالَمِ أزمانِهم بأشياءَ خَصّهم بها مثل المنّ والسّلوى والعيون التي فجّرها لهم من الحجر، وأشباه ذلك.

* ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ آل عمران:٣٣

أراد أنّه فضّلَهم على عالَمي زمانِهم.

* ﴿..وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ النمل:٢٣، **وهي مع هذا لم تُؤتَ أشياءَ كثيرةً ممّا فضلَ اللهُ به الرّجالَ على النّساء.**

* ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ..﴾ الأحقاف:٢٥، **وقد تركتْ أشياءَ كثيرةً لم تُدمّرْها.**

* ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ..﴾ البقرة:١٩٩، **وإنّما أرادَ اللهُ سبحانه بعضَ النّاس، وذلك أنّ قريشاً كانت في الجاهليّة تفيضُ من المشعر الحرام ولا يخرجون إلى عرفات كسائر العرب، فأمرَهم اللهُ سبحانه أن يفيضوا من حيث أفاضَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وأصحابه، وهم في هذا الموضع النّاس على الخصوص.**

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ ..﴾ الأنفال:٢٧. **نزلت في أبي أُمامَةَ بن عبدِ المُنذر.**

* ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ..﴾ التوبة:١٠٢. **نزلت في أبي لُبابةَ.**

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ..﴾ الممتحنة:١. **نزلت في حاطبِ بن أبي بَلْتَعَةَ.**

* ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ آل عمران:١٧٣.

نزلتْ في نعيمِ بْنِ مسعودٍ الأشجعيّ، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا رجعَ من غزاة أُحد - وقد قُتل عمّه حمزة، وقُتل مِنَ المُسْلِمينَ مَن قُتل، وجُرح مَنْ جُرح، وانهزَمَ مَنِ انهزَمَ - أوحى الله تعالى إليه أَنِ اخْرُجْ في وقتك هذا لطلب قريش، ولا

تُخرِج معك إلّا كلّ من كانت به جراحة، فخرجوا معه حتّى نزلوا منزلاً يقال له «حمراء الأسد»، وكانت قريشُ قد جدَّت السّير فَرَقاً، فلمّا بَلَغَهُمْ خروجُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله في طلبِهم خافوا، فاستقبلَهم رجلٌ من «أشجع»، يُقال له «نعيم بن مسعود» يريد المدينة، فقال له أبو سفيان صخر بن حرب: يا نعيم، هل لك أن أضمن لك عشرَ قلائصَ وتجعل طريقك على «حمراء الأسد»، فتُخبر محمّداً أنه قد جاءَ مَدَدٌ كثيرٌ من حلفائنا من العرب؛ «كنانة» وعشيرتهم و«الأحابيش»، وتهوّل عليهم ما استطعت فلعلّهم يرجعون عنّا؟ فأجابه إلى ذلك وقصدَ «حمراء الأسد»، فأخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله بذلك، وإنّ قريشاً يصبحونكم بجمعهم الذي لا قوامَ لكم به، فاقبلوا نصيحتي وارجعوا، فقال أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿..حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ اِعلم أنّا لا نُبالي بهم. فأنزلَ اللهُ سبحانه على رسوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ آل عمران:١٧٢-١٧٣. وإنّما كانَ القائلُ لهم نَعيمَ بنَ مسعودٍ، فسمّاه الله تعالى باسم جميع النّاس.

* ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ المائدة:٥٥.

ثمّ ذكرَ ما لفظُه ماضٍ ومعناه مستقبلٌ، وذكر آياتِ العزائمِ والرّخَص والاحتجاج على الملحدين، والرّدّ على عبَدة الأصنام والثّنويّة والزّنادقة والدّهريّة، وغير ذلك ممّا فصّله».

٣- مِنْ مُؤَلَّفاتِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ: (الجامِعَةُ)

قالَ السَّيِّدُ الأَمينُ رحمه الله: فَظَهَرَ مِنْ مُلاحَظَةِ مَجموعِ هَذِهِ الأَخْبارِ وَضَمِّ بَعْضِها إِلى بَعْضٍ أَنَّ (الجامِعَةَ)، وَ(كِتابَ عَلِيٍّ) عَلى الإِطْلاقِ، والذي «طولُهُ سَبْعونَ ذِراعاً» وَالكِتابَ الذي «بِإِمْلاءِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطِّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ»، وَ«الصَّحيفَةَ الّتي طولُها سَبْعونَ ذِراعاً»، وَ«الجِلْدَ الذي هُوَ سَبْعون ذِراعاً»، وَ(الصَّحيفَةَ العَتيقَةَ)؛ كُلَّها يُرادُ بها كِتابٌ واحِدٌ.

وهي كِتابٌ طولُهُ سبعونَ ذِراعاً من إمْلاءِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وخَطِّ عَلِيٍّ عليه السلام، مَكتوبٌ على الجِلْدِ المُسَمّى بِالرّقّ، وكان غالبُ الكتابةِ عليه في ذلك العصرِ لِقِلَّةِ الوَرَق، في عرض الجلد، جُمعت الجلودُ بعضُها إلى بعضٍ حتّى بلغَ طولُها سَبعين ذِراعاً بِذراع اليدِ الذي هو من المِرْفَقِ إلى رُؤوسِ الأصابع، وعَدَّها من مؤلّفاتِ عليٍّ عليه السلام بلحاظ أنّه كتبها ورَتّبها من قولِ رسولِ الله عليه السّلام وإملائِه.

(الجامِعَةُ)

هِي كِتابٌ طولُهُ سَبْعونَ ذِراعاً مِنْ إِمْلاءِ

رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطِّ عَلِيٍّ عليه السّلام،

مَكْتوبٌ عَلى الجِلْدِ المُسَمّى بِالرّقِّ.

وهي أوَّلُ كِتابٍ جُمِعَ فيه العِلْمُ على عَهْدِ رَسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله، وَتَكَرَّرَ ذِكْرُها في أَخْبارِ الأَئِمَّةِ عُموماً وَأَخْبارِ المَواريثِ خُصوصاً. وَكانَتْ عِنْدَ الإِمامِ أَبي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ الباقِرِ وَابْنِهِ الإِمامِ أَبي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرٍ الصّادِقِ

عليه السلام، رَآها عِنْدَهُما ثِقاتُ أَصْحابِهما وَتَوارَثَها الأَئِمّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ. وَالظّاهِرُ أَنَّها هِيَ الْمُعَبَّرُ عَنْها في جُمْلَةٍ مِنَ الأَخْبارِ الآتِيَةِ بِكِتابِ عَلِيٍّ عليه السلام، وبِالكِتابِ الذي بِإملاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وخطِّ عليٍّ عليه السلام، وَبِكِتابِ عَلِيٍّ عليه السلام الذي هُوَ سَبْعونَ ذِراعاً، وَبِالصَّحيفةِ الّتي طولُها سَبْعونَ ذِراعاً، وَبِالصَّحيفَةِ الّتي فيها ما يُحْتاجُ إِلَيْهِ حَتّى أَرْشُ الخَدْشِ [دية الخدش]، وَبِالصَّحيفَةِ العَتيقَةِ مِنْ صُحُفِ عَلِيٍّ عليه السلام، وشِبْهِ ذَلِكَ.

فَمِمَّنْ رَأَى الجامِعَةَ عِنْدَ الباقِرِ عليه السّلام سُوَيْدُ بْنُ أَيّوبَ، وَأَبو بَصيرٍ

* روى «محمّد بن الحسن الصّفّار» في كتاب (بصائر الدّرجات) عن عليّ بن إسماعيل، عن عليّ بن النُّعمان، عن سويد بن أيّوب، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كنتُ عنده فدعا بالجامعةِ فنظرَ فيها أبو جعفر ".." الحديث».

وَمِمَّنْ رَأَى الجامِعَةَ عِنْدَ الصّادِقِ عليه السّلام أبو بَصيرٍ

* روى الشّيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ، عن الحسين بن سعيد، عن النّضر، عن يحيى الحلبيّ، عن أيّوب بن الحرّ، عن أبي بصير، قال: «كنتُ عند أبي عبدِ اللهِ عليه السلام فدعا بالجامعة فنظر فيها ".." الحديث».

الظّاهِرُ أَنَّ (الجامِعَةَ) هِيَ الْمُعَبَّرُ عَنْها في الرِّواياتِ، بِكتابِ عَلِيٍّ عليه السّلام، وَبالكتابِ الذي بِإملاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَخَطِّ عَلِيٍّ عليه السّلام، وَبكتابِ عَلِيٍّ عليه السّلام الذي هُوَ سَبْعونَ ذِراعاً، وَبالصّحيفَةِ الّتي طولُها سَبْعونَ ذِراعاً، وَبالصَّحيفَةِ الّتي فيها ما يُحْتاجُ إِلَيْهِ حَتّى أَرْشُ الخَدْشِ [دية الخدش]، **وَبالصَّحيفَةِ العَتيقَةِ مِنْ صُحُفِ عَلِيٍّ عليه السّلام، وَشِبْهِ ذَلِكَ.**

* وروى محمّدُ بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالصّدوق، بأسنادٍ، عن الحسن بن محبوب، عن خالد بن جرير، عن أبي عبدِ الله عليه السلام، في الجدِّ مع الإخوةِ لِأُمٍّ، قال: «**إِنَّ في كِتابِ عَلِيٍّ عليه السّلام أَنَّ الإِخْوَةَ مِنَ الأُمِّ يَرِثونَ مَعَ الجدِّ الثُّلُثَ**».

* **أقول**: المُرادُ بكتابِ عليٍّ عليه السلام في هذه الأخبارِ هو (الجامعة)، ويحتملُ، على بُعد، أن يُرادَ به هنا صحيفة الفرائض الآتية.

رُؤْيَةُ كِتابِ عَلِيٍّ عِنْدَ الباقِرِ عليهما السّلام مِثْلِ فَخِذِ الرَّجُلِ

(**البصائر**): «عن محمّد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن الحسين بن أبي مُخلّد، عن عبد الملك، قال: دعا أبو جعفرٍ بكتابِ عليٍّ، فجاءَ به جعفرٌ مثل فَخِذِ الرَّجُلِ مُطْوِيّاً، إلى أنْ قالَ: **فَقالَ أَبو جَعْفَرٍ: هَذا وَاللهِ خَطُّ عَلِيٍّ بِيَدِهِ، وَإِمْلاءُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**».

ما وَرَدَ عَنِ الصّادِقِ عليه السلام في كتابِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ سَبْعونَ ذِراعاً

(**البصائر**): «عن عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ، عن أبيهِ، عن مَرْوانَ، قال: سَمِعْتُ أبا عبدِ اللهِ عليه السلام يقولُ: **عِنْدَنا كِتابُ عَلِيٍّ سَبْعونَ ذِراعاً** ".."».

ما وَرَدَ عَنِ الصّادِقِ في الصَّحيفَةِ العَتيقَةِ مِنْ صُحُفِ عَلِيٍّ عليهما السّلام

(**البصائر**): «عن مُحمّدِ بنِ عبدِ الحميدِ، عن يونُسَ بن يعقوبَ، عن مُعتّب، قال: أَخْرجَ إلينا أبو عَبْدِ الله عليه السلام صحيفةً عتيقةً من صُحُفِ عليٍّ عليه السلام، فإذا فيها ما نقولُ إذا جلسنا لنتشهّد».

ما وَرَدَ عَنِ الباقِرِ عليه السّلام في الصَّحيفَةِ الّتي طولُها سَبْعونَ ذِراعاً

(**البصائر**): «عن ابن يزيد، عن ابن أبي عُميرٍ، عن إبراهيم بن عبد الحميد وأبي المعزا [الحميد بن المثنّى، وفي بعض المصادر أنّ كنيته أبو المغراء، بالمعجمة]، عن حُمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه أشار إلى بيتٍ كبير، وقال: **يا حُمْرانُ، إنَّ في هَذا البَيْتِ صَحيفَةً طولُها سَبْعونَ ذِراعاً، بِخطِّ عَلِيٍّ، عَلَيْهِ السَّلامُ، وَإِمْلاءِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ** "..." الحديث».

(**البصائر**): «عن أحمد بن محمّد، عن الأهوازيّ، عن فَضالَةَ، عن القاسمِ بن يزيدَ، عن محمّد بن مُسلم، قال: قال أبو جعفرٍ عليه السلام: **إنَّ عِنْدَنا صَحيفَةً مِنْ كُتُبِ عَلِيٍّ، عَلَيْهِ السَّلامُ، طولُها سَبْعونَ ذِراعاً، فَنَحْنُ نَتَّبِعُ ما فيها لا نَعْدوها**، إلى أنْ قال: **إنَّ عَلِيّاً، عَلَيْهِ السَّلامُ، كَتَبَ العِلْمَ كُلَّهُ: القَضاءَ وَالفرائِضَ وَالحَديثَ**».

بَعْضُ ما وَرَدَ عَنِ الصّادِقِ عليه السّلام في الصَّحيفَةِ الّتي طولُها سَبْعونَ ذِراعاً

(**البصائر**): «عن محمّد بن عبد الحميد، عن يونس بن يعقوب، عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال [ابنُ حازم]: قلتُ: إنّ النّاسَ يذكرون أنّ عندكم صحيفةً طولُها سبعون ذراعاً، فيها ما يحتاج إليه النّاس، وإنّ هذا لَهُو العلم، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **إنَّما هُوَ أَثَرٌ عَنْ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ** "..." الحديث».

فظهرَ من مُلاحظة مجموع هذه الأخبار، وضمِّ بعضِها إلى بعض، أنَّ (**الجامعة**) و(**كتابَ عليٍّ**) على الإطلاق، والذي «**طولُه سَبعونَ ذراعاً**»، والكتابَ الذي «**بإملاءِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وخَطِّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ**»، و«**الصّحيفةَ التي طولُها سَبعون ذراعاً**» و«**الجِلْدَ الذي هو سبعون ذراعاً**»، و(**الصّحيفةَ العَتيقَة**)؛ كلُّها يُرادُ بها كتابٌ واحدٌ.

رَأَى (الجامعَةَ) عِنْدَ الأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ
عَدَدٌ مِنْ خَواصِّهِمْ مِنَ الرُّواةِ
وَذَكَروا بَعْضَ ما رَأَوْهُ فيها.

٤- مِنْ مُؤَلَّفاتِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عليه السّلام: (الجَفْرُ)

قالَ السَّيِّدُ الأَمينُ رحمه الله: «في (القاموس): الجَفْرُ من أولاد الشّاء، ما عَظُمَ وَاسْتَكْرَشَ وَبَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. اهـ. وفي (**الصّحاح**): **الجَفْرُ من أَوْلادِ المَعْزِ ما بَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وجُفِرَ جَنْباهُ وَفُصِلَ عَنْ أُمِّهِ، وَالأُنْثى جَفْرَةٌ. اهـ. فَالجَفْرُ في الحَديثِ، على حَذْفِ مُضافٍ، أيْ جِلْدُ الجَفْرِ، وَلَعَلَّهُ صارَ كَالعَلَمِ على جِلْدٍ مَخْصوصٍ لِثَوْرٍ، أو شاةٍ، لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمالِ.**

وَالأَخْبارُ الوارِدَةُ في الجَفْرِ فيها بَعْضُ الاخْتِلافِ، وَنَحْنُ نُشيرُ إِلَيْها، وَإِلى الجَمْعِ بَيْنَها».

* في (**مجمع البحرين**): «في الحديثَ: أملى رسولُ الله صلى الله عليه وآله على أميرِ المؤمنينَ عليه السلام الجَفْرَ والجامعةَ، وفُسِّرا في الحديثِ بإهاب ماعزٍ، وإهاب كَبْش، فيهما جميعُ العلومِ حتّى أَرْشِ الخدْشة والجَلدة ونصف الجلدة، ونَقل عن المحقّق الشّريف في (**شرح المواقف**) أنّ الجَفْرَ والجامعةَ كتابان لِعَلِيٍّ عليه السلام قد ذَكَرَ فيهما - على طريقةِ علمِ الحروفِ - الحوادثَ إلى انقراضِ العالم. وكان الأئمّةُ المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما». اهـ.

صحيفة الفرائض، أو صحيفة كتاب الفرائض، أو فرائض علي عليه السلام

* وفي (القاموس): «الجَفْرُ من أَوْلادِ الشّاءِ ما عَظُمَ وَاسْتَكْرَشَ، وَبَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ». اهـ.

* وفي (الصّحاح): «الجَفْرُ مِنْ أَوْلادِ المَعْزِ ما بَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَجُفِرَ جَنْباهُ وفُصِلَ عَنْ أُمِّهِ، وَالأُنْثى جَفْرَةٌ». اهـ.

فالجَفْرُ في الحديثِ على حذف مضاف، أي جلد الجَفْر، ولعلّه صار كالعَلَمِ على جلدٍ مخصوصٍ لثَوْرٍ أو شاةٍ لكَثْرَةِ الاسْتِعْمالِ.

والأخبار الواردة في الجَفْرِ فيها بعضُ الاختلاف، ونحن نشير إليها، وإلى الجمع بينها.

* **فمنها**: ما يدلّ عليه بوجه الإجمال مع احتماله لجلدِ البعير وجلدِ الشّاة. مثل ما رواه محمّد بن الحسن الصّفار في (بصائر الدّرجات) عن محمّد بن الحسين، عن البزنطيّ، عن حمّاد بن عثمان، عن عليّ بن سعيد، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام "..." إلى أن قال: فقال رجلٌ من أصحابنا: جُعلت فداك، إنّ عبد الله بن الحسن يقول: لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إلى أن قال: «**وَاللهِ** - وأهوى بيده إلى صدره - **إنَّ عِنْدَنا سِلاحَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَسَيْفَهُ ودِرْعَهُ**؛ ثمّ قال: **وَالجَفْر، ما يَدْرونَ ما هُوَ، مَسْكُ شاةٍ أو مَسْكُ بَعيرٍ**، الحديث». [المَسْكُ، بفتح الميم: الجِلد].

والضّمير في «**وما يدرون**» راجعٌ إلى بني الحسن، أو إلى النّاس، أي فكيف يدّعون العِلم؟

في (شَرْحِ المَواقِفِ): أَنَّ (الجَفْرَ) وَ(الجامِعَةَ)
كِتابانِ لِعَلِيٍّ عليه السّلام قَدْ ذَكَرَ فيهما، عَلَى طَريقَةِ
عِلْمِ الحُروفِ، الحوادِثَ إلى انْقِراضِ العالَمِ.
وَكانَ الأَئِمَّةُ المَعْروفونَ مِنْ أَوْلادِهِ يَعْرِفونَهُما،
وَيَحْكُمونَ بِهِما.

* وفي حَديثَيْنِ آخَرَيْنِ **عن الصّادق** عليه السلام: «**وَعِنْدَنا الجَفْرُ، أَيَدْري عَبْدُ اللهِ بْنُ الحَسَنِ ما الجَفْرُ؟ مَسْكُ بَعيرٍ أَمْ مَسْكُ شاةٍ**"."».

والمُراد: أنّه كُتبَ فيه العلمُ، فلا ينافي ما مرّ، أو جُعل وعاءً لكُتب العلم، أو كُتبَ فيه وجُعِلَ وعاءً، فيكون غير الأوّل "..."».

فتلخّص من هذه الأخبار:

١- أنّ بَعْضَها دالٌّ على أنّ الجَفْرَ أديمٌ عُكَاظِيٌّ، كُتبَ فيه العلمُ.

٢- وبعضها على أنّه جِلدُ ثَوْرٍ مَملوءٌ علماً.

٣- وبعضها على أنّه جِلْدُ ثَوْرٍ مدبوغ كالجراب، فيه كُتُبٌ، وعِلْمُ ما يحتاجُ إليه النّاس، بإملاء رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وخطّ عليٍّ عليه السلام.

٤- وبعضها على أنّه جِلدُ شاةٍ فيه ما يحتاج إليه، بخطّ عليٍّ عليه السلام وإملاءِ النّبيِّ صلى الله عليه وآله

٥- وبعضها على أنّه لا يدرى، أجلد شاة أو جلد بعير.

٦- وبعضها على أنّهما جَفْران: أبيضُ فيه الكُتُبُ وعِلْمُ ما يحتاج إليه، وأحمرُ فيه السِّلاحُ.

٧- وبعضها على أنّه وِعاءٌ أحمرُ، وأديمٌ أحمرُ فيه العِلْمُ.

٨- وبعضها على أنّه جِلدا ماعزٍ وضَأْنٍ، من إملاء النّبيّ وخطّ الوصيّ.

٩- وبعضها على أنّهما جِلدُ ماعزٍ وجِلدُ ضأنٍ مملوءان كُتباً.

١٠- وبعضها على أنّه جِلدا ماعز وضأن، مطبقٌ أحدُهما بصاحبه فيه السّلاحُ والكتُب.

والمُستفاد من المجموع أنّ الجَفْرَ منه ما كُتب فيه العلم، ومنه ما جُعل وعاءً للسّلاح، أوْ له وللكُتب، وأنّ منه جِلْدَ ماعزٍ، وجِلْدَ ضأنٍ، وجلدَ ثوْر، فهو ثلاثة، بل أربعة، والرّابع المُطْبَق من جلدَيْن الماعز والضّأن، أو الأوّلان عبارةٌ عن الرّابع، واللهُ أعلم.

مِنَ الكُتُبِ المُصَنَّفَةِ في عِلْمِ الجَفْرِ،
(الجَفْرُ الجامِعُ وَالنُّورُ اللَّامِعُ)
للشَّيْخِ كَمالِ الدّينِ أَبي سالِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ النَّصيبيِّ الشَّافِعِيِّ
المُتَوَفّى سَنَةَ ٦٥٢ للهجرة. مُجَلَّدٌ صَغيرٌ
ذَكَرَ فيهِ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ أَوْلادِ جَعْفَرٍ يَعْرِفونَ الجَفْرَ، فَاخْتارَ مِنْ أَسْرارِهِمْ فيهِ.

* **وفي (كَشْفِ الظُّنون)**: «ادّعى طائفةٌ أنّ الإمامَ عليَّ بن أبي طالبٍ وضعَ الحروف الثّمانية والعشرين على طريق البَسط الأعظم، في جلد الجَفْر، يُستخرَج منها بطُرقٍ مخصوصةٍ وشرائطَ معيّنةٍ وألفاظٍ مخصوصةٍ، ما في لَوْحِ القضاء والقدَر، وهذا علمٌ توارثَه أهلُ البيت ومَن ينتمي إليهم، ويأخذ منهم من المشائخ الكاملين، وكانوا يكتمونه عن غيرهم كلّ الكتمان، وقيل لا يَفقه في هذا الكتاب حقيقةً إلّا المَهديُّ عليه السلام المنتظَرُ خروجُه في آخر الزّمان. ووردَ هذا في كُتب الأنبياء عليهم السلام السّالفة، كما نُقل عن عيسى بن مريم عليه السلام: **نَحْنُ، مَعاشِرَ الأَنْبياءِ، نَأْتيكُمْ بِالتَّنْزيلِ، وَأَمّا التَّأْويلُ فَسَيَأْتيكُمْ بِهِ «البارقليط»** [الفارقليط] **الذي سَيَأْتيكُمْ بَعْدي.**

نُقل أنّ المأمون لمّا عهد بالخلافة من بعده إلى عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، وكتب إليه كتابَ عهدِه، كتب هو في آخر ذلك الكتاب: **نَعَمْ، إِلّا أَنَّ الجَفْرَ وَالجامِعَةَ يَدُلّانِ عَلَى أَنَّ هَذا الأَمْرَ لا يَتِمُّ**، وكان كما قال، لأنّ المأمون استشعر فتنةً من بني هاشم فَسَمَّهُ. كذا في **(مفتاح السّعادة)**.

قال «ابنُ طَلْحَةَ»: الجَفْرُ والجامعةُ كتابان جليلان، أَحَدُهُما ذكره الإمامُ عليُّ بن أبي طالبٍ وهو يخطبُ بالكوفة على المِنْبَر، والآخرُ أَسَرَّهُ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله، وأمَرَهُ بِتَدْوينِهِ، فَكَتَبَهُ حُروفاً مُتفرّقةً على طريقِ سِفْرِ آدَمَ في جَفْرٍ، يَعْني في رَقٍّ قد صُنِعَ مِنْ جِلْدِ البَعيرِ، فَاشتهر بين النّاس به، لأنّه وُجد فيه ما جرى للأوّلين والآخرين، إلخ ما ذكره. "..." ثمّ قال: ومن الكُتب المُصنّفة فيه، أي في علم الجَفْر، (الجَفْرُ الجامعُ والنّورُ اللّامعُ) للشّيخ كمال الدّين أبي سالم، محمّد بن طلحة النّصيبيّ الشّافعيّ المتوفى سنة ٦٥٢ للهجرة، مجلّدٌ صغيرٌ ذكر فيه أنّ الأئمّة من أولاد جعفر يعرفون الجَفْر، فاختار من أسرارهم فيه». اهـ. (انتهى ما أردنا نقله من «كشف الظُّنون»)

* **وقال «ابْنُ خَلْدُون» في (مُقَدِّمَتِهِ)، في «فصل ابتداء الدُّول والأُمَم»**: «وقد يستندون في حَدَثانِ الدُّوَلِ، على الخُصوص، إلى كتاب الجَفْرِ، ويَزْعُمونَ أَنَّ فيه عِلْمَ ذلك كُلِّهُ من طريقِ الآثارِ والنّجوم، لا يَزيدون على ذلك، ولا يَعرفونَ أصلَ ذلك ولا مستنده».

قال: «واعلمْ أنّ كتابَ الجَفْرِ كان أصلُه أنّ هارون بن سعيد العِجْليّ - وهو رأسُ الزّيديّة - كان له كتابٌ يَرويه عن جعفر الصّادق، وفيه عِلمُ ما سيقعُ لأهل البيت على العُموم، ولبعض الأشخاصِ منهم على الخُصوص، وقعَ ذلك لجعفرٍ ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقعُ لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر في جِلد ثوْرٍ صغيرٍ، فرواه عنه هارون العِجليّ، فكتبه وسمّاه الجَفْرَ باسم الجِلد الذي كُتب فيه، لأنّ الجَفْرَ في اللّغة هو الصّغير، وصار هذا الاسم عَلَماً على هذا الكتاب عندَهم، وكان فيه تفسيرُ القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني، مرويّة عن جعفر الصّادق، وهذا الكتاب لم تتّصل روايتُه، ولا عُرف عينُه، وإنّما يظهرُ منه شواذّ من الكلمات لا يصحبُها دليل، ولو صحّ السّندُ إلى جعفر الصّادق لكانَ فيه نِعم المستنَد من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهلُ الكرامات، وقد صحّ عنه أنّه كان يحذِّر بعضَ قرابته بوقائع تكون لهم فتصحّ كما يقول، وقد حذَّر يحيى ابنَ عمّه زيد من مصرعِه وعصاه، فخرجَ وقُتل بالجَوزجان كما هو معروف، وإذا كانت الكرامةُ تقعُ لغيرهم، فما ظنّك بهم عِلْماً وديناً وآثاراً من النّبوّة، وعنايةً من الله بالأصل الكريم، تشهدُ لفروعه الطّيبة، وقد يُنقل بينَ أهلِ البيت كثيرٌ من هذا الكلام غير منسوبٍ إلى أحد، وفي أخبار دولة العبيديّين [أي الفاطميّين] كثيرٌ منه. وانظر ما حكاه ابن الرّقيق في لقاء أبي عبد الله الشّيعيّ لعُبَيْدِ الله المهديّ [مؤسّس دولة العلويّين في المغرب] مع ابنه مُحمّد الحبيب، وما حدّثاه به، وكيف بَعثاه إلى ابن حوشب داعيتِهم باليمن فأمرَه بالخروج إلى المغرب، وبثّ الدّعوة فيه على علمٍ لقّنه أنّ دعوتَه تتمّ هناك. وأنَّ عبيد الله لمّا بنى المهديّة بعد استفحال دولتهم بأفريقية، قال: «بنيتُها ليعتصمَ بها الفواطمُ ساعةً من نهار»، وأراهم موقفَ صاحب الحمار أبي يزيد بالمهديّة، وكان يسأل عن منتهى موقفه حتّى جاءَه الخبر ببلوغه إلى المكان الذي عيّنَه جدّه عبيد الله، فأيقن بالظّفَر، وبرز من البلد فهزمَه، وأتْبعه إلى ناحية الزّاب فظفر به وقتله، ومثل هذه الأخبار عندهم كثير». اهـ.

* **وقال قبل ذلك بقليل، في أوائل هذا الفصل، بعدما ذكر أمر الأخبار عن الحوادث الآتية ما لفظه:** «ووقع لجعفرٍ وأمثاله من أهل البيت كثيرٌ من ذلك، مستَنَدُهم فيه، والله أعلم، الكشفُ بما كانوا عليه من الولاية، وإذا كان مثله لا ينكَر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعقابهم، **وقد قال صلّى الله عليه وآله: إنَّ فيكُمْ مُحَدِّثينَ**، فهم أَولى النّاس بهذه الرُّتَبِ الشّريفةِ والكراماتِ الموهوبة». اهـ. "..."

قال «ابنُ طَلْحَةَ الشّافعيُّ»: «(الجَفْرُ) وَ(الجامعَةُ) كتابان جَليلان،
أَحَدُهُما ذَكَرَهُ الإمامُ عَليُّ بْنُ أَبي طالبٍ وَهُوَ يَخْطُبُ
بالكوفَةِ عَلى المِنْبَرِ، وَالآخَرُ أَسَرَّهُ إِلَيْهِ رَسولُ الله صلّى الله عليه وآله،
وَأَمَرَهُ بتَدْوينه، فَكَتَبَهُ حُروفاً مُتَفَرِّقَةً عَلى طَريقِ سِفْرِ آدَمَ
في جَفْرٍ، يَعْني في رَقٍّ قَدْ صُنِعَ مِنْ جِلْدِ البَعيرِ،
فَاشْتَهَرَ بَيْنَ النّاسِ بِهِ لأَنَّهُ وُجِدَ فيهِ ما جَرَى
لِلْأَوَّلينَ وَالآخِرينَ..».

٥- صَحيفَةُ «الفَرائِضِ»، أَوْ صَحيفَةُ كِتابِ الفَرائِضِ، أَوْ فَرائِضِ عَلِيٍّ عليه السّلام

قالَ السَّيِّدُ الأَمينُ رحمه الله: كانَتْ - هَذِهِ الصَّحيفَةُ - بَعْدَ الإِمامِ الباقِرِ عِنْدَ وَلَدِهِ الإِمامِ جَعْفَرٍ الصّادِقِ عليهما السّلام. رَوَى الشَّيْخُ أَبو جَعْفَرٍ الطّوسِيُّ بِأَسْنادِهِ عَنْ زُرارَةَ، قالَ: «أَراني أَبو عَبْدِ اللهِ عليه السّلام صَحيفَةَ الفَرائِضِ فَإِذا فيها...»، وَالظّاهِرُ أَنَّها هِيَ الصَّحيفَةُ الّتي كانَتْ عِنْدَ الباقِرِ عليه السّلام.

وقع التّعبيرُ بذلك كلّه - كما في العنوان - عنها في الأخبار، ويُحتمل أن تكون هي المُراد بكتاب عليٍّ الوارد في بعض الأخبار، ويُحتمل غيره، وهذه أيضاً كانت عند الأئمّة عليهم السلام ورآها عندهم ثِقاتُ أصحابهم، ونُقل كثيرٌ من محتوياتها في كتب الشّيعة برواية الثِّقات عن الثِّقات إلى اليوم. فكانت عند الباقر عليه السلام. روى الشّيخ أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكُليني في (الكافي)، عن مُحمّد بن يحيى، عن أحمد بن مُحمّد، عن عليّ بن حديد، عن جميل بن درّاج، عن زُرارة، قال: أمرَ أبو جعفر، أبا عبد الله، فأَقْرَأني صَحيفةَ الفرائِض، فرأيتُ جُلَّ ما فيها على أربعةِ أسهُم. "..."

٦- كِتابُ في زَكاةِ النَّعَمِ [أي الإبل والبَقَر والغَنَم]

رواه عنه ربيعةُ بن سميع، ذكره النّجاشيّ في أوّل كتابه، فروى بسنده عن ربيعةَ هذا، عن أميرِ المُؤمنينَ عليه السلام أنّه كتبَ له في صَدَقاتِ النَّعَم، وما يُؤخَذُ من ذلك، وذكرَ الكِتابَ.

٧- كتابٌ في أَبْوابِ الفِقْهِ

رواه عنه عليّ بن أبي رافع "...".

٨ - كتابٌ آخَرُ في الفِقْهِ

رواه عنه مُحمّد بن قيسٍ "...".

٩- عَهْدُهُ للأَشْتَرِ

جامِعٌ لأنواعِ السّياسةِ وكلّ ما يلزم الوالي، مذكورٌ في (نهج البلاغة)، رواه عنه أَصْبَغُ بْنُ نُباتَةَ "...".

١٠- وَصِيَّتُهُ لمُحَمّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ

رواها عنه أصبغ بن نُباتة "..." ورواها غيرُه أيضاً بأسانيدَ مُتعدّدةٍ ذُكرت في تضاعيفِ هذا الكتاب.

١١- كتابُ عَجائِبِ أَحْكامِهِ

رواه عنه أصبغ بن نباتة "..." وجمعَ عُبيد اللهِ بن أبي رافعٍ قضاياه عليه السلام في كتاب "...".

ومرّ في الكلام على صحيفةِ الفرائضِ احتمالُ أن يكونَ له كتابُ قضايا مُدَوَّنٌ، وكان موجوداً في عصر الصّادق عليه السلام. وكتابُ عَجائبِ أحكامِهِ، وكتابُ قضاياه، وإن لم يكونا من تأليفه، لكنّهما بمنزلتِه، لروايتهما عنه.

وجاء في بعض رواياتِ أهلِ البيتِ عليهم السلام أنّ كُتُبَ عليٍّ عليه السلام تَوارَثَها الأئمّةُ من وُلدِهِ وكانت عندَهم، روى ذلك الصَّفارُ في (بصائرِ الدَّرجاتِ) بِسَنَدِهِ عَنْهُمْ عليهم السلام.

عهدُه للأشتر. وصيّته لمحمّد بن الحنفيّة. كتاب أحكامه.

أَبرزُ أدعية أيّام شهر رجب

إعداد: «شعائر»

الدّعاء من مهمّات شهر رَجب الحَرام، يقولُ آيةُ الله المَلَكي التبريزي رضوان الله عليه: «شهرُ رجب من مواسم الدّعاء، وكان معروفاً بذلك في أيّام الجاهلية، وكانوا ينتظرونَه لحوائجِهم».

ومن أدعية شَهر رَجب في كلّ يوم:

١. **يا مَنْ يمْلِكُ حَوائِجَ السّائِلينَ:** أكّدَ السّيّدُ ابن طاوس في (الإقبال) على قراءته في كلّ يوم من رجب، وفي أوّل يومٍ منه خاصّة.

«يا مَنْ يمْلِكُ حَوائِجَ السّائِلينَ، ويعْلَمُ ضَميرَ الصّامِتينَ، لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْك سَمْعٌ حاضِرٌ، وَجَوابٌ عَتيدٌ، أَللّـهُمَّ وَمَواعيدُك الصّادِقَةُ، وأَياديكَ الفاضِلَةُ، وَرَحْمَتُكَ الواسِعَةُ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد، وأَنْ تَقْضِيَ حَوائِجي لِلدُّنْيا وَالآخِرَةِ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ».

٢. **خابَ الوافِدُونَ عَلى غَيرِكَ:** وهو دعاءُ الإمام الصّادق عليه السلام في كلّ يومٍ من رجب:

«خابَ الوافِدُونَ عَلى غَيرِكَ، وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلّا لَكَ، وَضاعَ الْمُلِمُّونَ إِلّا بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُونَ [الذين يطلبون ما يُنعِشُهم] إِلّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ، بابُك مَفْتُوحٌ لِلرّاغِبينَ، وَخَيرُك مَبْذُولٌ لِلطّالِبينَ، وَفَضْلُكَ مُباحٌ لِلسّائِلينَ، وَنَيلُكَ مُتاحٌ لِلآمِلينَ، وَرِزْقُك مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصاكَ، وَحِلْمُك مُعْتَرِضٌ لِمَنْ ناواك، عادَتُك الإِحْسانُ إِلَى الْمُسيئينَ، وَسَبيلُكَ الإِبْقاءُ عَلَى الْمُعْتَدينَ، أَللّـهُمَّ فَاهْدِني هُدَى الْمُهْتَدينَ، وَارْزُقْني اجْتِهادَ الْمُجْتَهِدينَ، وَلا تَجْعَلْني مِنَ الْغافِلينَ الْمُبْعَدينَ، وَاغْفِرْ لي يوْمَ الدّينِ».

٣. **أَسْأَلُكَ صَبْرَ الشّاكرينَ لَك:** هذا الدّعاء رَواه عن الإمام الصّادق عليه السّلام الشّيخُ الطّوسيّ، ورواه عنه السّيّد ابن طاوس في (الإقبال)، ويظهر من تلك الرّواية أنّه من أَجمَعِ الدّعوات، وأصلحُ لأَنْ يُدعى به في كلّ الأوقات.

عن الإمام الصّادق عليه السلام،: «قُلْ في رجب: أَللّـهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ صَبْرَ الشّاكرينَ لَك، وَعَمَلَ الْخائِفينَ مِنْك، وَيقينَ الْعابِدينَ لَكَ، أَللّهُمَّ أَنْتَ الْعَلِيُّ الْعَظيمُ، وَأَنا عَبْدُك الْبائِسُ الْفَقيرُ، أَنْتَ الْغَنِيُّ الْحَميدُ، وَأَنَا الْعَبْدُ الذَّليلُ، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَامْنُنْ بِغِناك عَلى فَقْري، وَبِحِلْمِك عَلى جَهْلي، وَبِقُوَّتِك عَلى ضَعْفي، يا قَوِيُّ يا عَزيزُ، أَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الأَوصياءِ الْمَرْضِيّينَ، وَاكفِني ما أَهَمَّني مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ».

٤. **يا مَنْ أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَير:** من عيون أدعية شهر رجب، وأجلِّها. [انظر: باب «مراقبات» من هذا العدد]

٥. **أَسأَلُك بِالْمَوْلُودَينِ في رَجَب** [انظر صفحة ٦٨ من هذا العدد]

٦. **يا ذَا الْمِنَنِ السّابِغَة:** قال الشّيخ الطّوسيّ: «يستحبّ أن يدعو بهذا الدّعاء كلّ يوم». وهو مرويّ عن مولانا الحجّة المهديّ عجل الله فرجه الشريف:

«أَللّـهُمَّ يا ذَا الْمِنَنِ السّابِغَةِ، وَالآلاءِ الْوازِعَةِ، والرَّحْمَةِ الْواسِعَةِ، وَالْقُدْرَةِ الْجامِعَةِ، وَالنِّعَمِ الْجَسيمَةِ، وَالْمَواهِبِ الْعَظيمَةِ، وَالأَيادِي الْجَميلَةِ، والْعَطايا الْجَزيلَةِ، يا مَنْ لا يُنْعَتُ بِتَمْثيل، وَلا يمَثَّلُ بِنَظير، وَلا يُغْلَبُ بِظَهير، يا مَنْ خَلَقَ فَرَزَقَ، وَأَلْهَمَ فَأَنْطَقَ، وَابْتَدَعَ فَشَرَعَ، وَعَلا فَارْتَفَعَ، وَقَدَّرَ فَأَحْسَنَ، وَصَوَّرَ فَأَتْقَنَ، وَاحْتَجَّ فَأَبْلَغَ، وَأَنْعَمَ فَأَسْبَغَ، وَأَعْطى فَأَجْزَلَ، وَمَنَحَ فَأَفْضَلَ، يا مَنْ سَما فِي الْعِزِّ فَفاتَ خَواطِرَ الأَبْصارِ، وَدَنا فِي اللُّطْفِ فَجازَ هَواجِسَ الأَفْكارِ، يا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْمُلْكِ فَلا نِدَّ لَهُ فى مَلَكوتِ سُلْطانِهِ، وَتَفَرَّدَ بِالآلاءِ وَالْكِبرِياءِ فَلا ضِدَّ لَهُ فِي جَبَرُوتِ شَأْنِهِ، يا مَنْ حارَتْ فِي كِبْرِياءِ هَيبَتِهِ دَقايقُ لَطايفِ الأَوْهامِ، وَانْحَسَرَتْ دُونَ إِدْراكِ عَظَمَتِهِ خَطايفُ أَبْصارِ الأَنامِ، يا مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِهَيبَتِهِ، وَخَضَعَتِ الرِّقابُ لِعَظَمَتِهِ، وَوَجِلَتِ الْقُلُوبُ مِنْ خيفَتِهِ، أَسأَلُك بِهذِهِ الْمِدْحَةِ الَّتي لا تَنْبَغي إِلّا لَك، وَبِما وَأَيتَ بِهِ عَلى نَفْسِك لِداعيك مِنَ الْمُؤْمِنينَ، وَبِما ضَمِنْتَ الإِجابَةَ فيهِ عَلى نَفْسِك لِلدّاعينَ، يا أَسْمَعَ السّامِعينَ، وَأَبْصَرَ النّاظِرينَ، وَأَسْرَعَ الْحاسِبينَ، يا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتينِ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيّينَ وَعَلى أَهْلِ بَيتِهِ، وَاقْسِمْ لي في شَهْرِنا هذا خَيرَ ما قَسَمْتَ، وَاحْتِمْ لي في قَضائِك خَيرَ ما حَتَمْتَ، وَاخْتِمْ لي بِالسَّعادَةِ في مَنْ خَتَمْتَ، وَأَحْيِني ما أَحْيَيتَني مَوْفُوراً، وَأَمِتْني مَسْرُوراً وَمَغْفُوراً، وَتَولَّ أَنْتَ نَجاتي مِنْ مُساءَلَةِ الْبَرْزَخِ، وَادْرَأْ عَنّي مُنْكَراً وَنَكيراً، وَأَرِ عَيني مُبَشِّراً وَبَشيراً، وَاجْعَلْ لي إِلى رِضْوانِك وَجِنانِكَ مَصيراً، وَعَيْشاً قَريراً، وَمُلْكاً كبيراً، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ كثيراً».

«أُدعُ في كلّ يومٍ من أيّام رجب..»

زيارتان مرويّتان عن الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف

برواية الشّيخ الطّوسي

أوّلاً: الزّيارة الرّجبيّة

قال آية الله الشّيخ محمّد حسين كاشف الغطاء في التّعريف بهذه الزّيارة الرّجبيّة: «وفي دعاء مولانا الحجّة المنتظَر عجل الله فرجه الشريف في أيّام شهر رجب، وأوّله (**اللّهمّ إنّي أسألُك بمَعاني جميعِ مَا يدعوكَ بِهِ ولاةُ أمرِك**) إلى آخره، إشاراتٌ، ورموزٌ تحتَها معادنُ وكنوز، ودلالاتٌ لتلك المباني والمعاني. وشرحُ هذه المطالب والمذاهب، وتنسيقُ تلك الحقائق والرّقائق، يحتاج إلى إفرادِ رسالةٍ مستقلّةٍ في التّأليف والتّرصيف..».

وفي (تفسير الصّراط المستقيم) للسّيّد حسين البروجردي، عند شرحه لحديث أمير المؤمنين عليه السّلام: «**نحن الأعرافُ الّذين لا يُعرَفُ اللهُ إلّا بسبيلِ معرفتِنا**»، قال: «وتلك المنازل لا يمكن أن يحلّ بساحتها أحدٌ إلّا مَن سكنَ فيها وخرجَ منها، وهي المعاني الّتي يسألُ الأنبياءُ ربهّم بها، والأولياءُ يدعونه بها، وهو قول الحجّة عجّل اللهُ فرجه في دعاء رجب: **أللّهمّ إنّي أسألُك بمَعاني جميعِ ما يدعوكَ به ولاةُ أمرِك المأمونونَ على سرّك..**».

وفي (مستدركات علم رجال الحديث) للشّيخ علي النّمازي الشّاهرودي، قولُه عن هذا الدّعاء – الزّيارة: «**وليسَ مضامينُه غريباً عند أهل المعارف الحقّة**».

وقد روى هذه الزّيارة الشّيخ الطّوسيّ في (مصباحه) عن الشّيخ أبي جعفر، محمّد بن عثمان بن سعيد، أحد النوّاب الأربعة، عن الإمام المهديّ عليه السلام، حيث ورد في التّوقيع الصّادر عنه صلوات الله عليه:

«أُدعُ في كلّ يومٍ من أيّام رجب:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أمْرِكَ، المَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، المُسْتَبْشِرُونَ بِأمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، المُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ. أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيئَتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إلّا أنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ، أعْضَادٌ وأشْهَادٌ، وَمُنَاةٌ وَأذْوادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أنْ لا إلهَ إلّا أنْتَ، فَبِذَلِكَ أسْأَلُكَ وَبِمَوَاقِعِ العِزِّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وبِمَقَامَاتِكَ وعَلامَاتِكَ، أنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأنْ تَزِيدَنِي إيمَاناً وَتَثْبِيتاً، يَا باطِناً فِي ظُهُورِهِ، ويَا ظاهراً فِي بُطُونِهِ وَمَكْنُونِهِ، يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّورِ والدَّيْجُورِ، يَا مَوْصُوفاً بِغَيْرِ كُنْهٍ، وَمَعْروفاً بِغَيْرِ شِبْهٍ، حَادَّ كُلِّ مَحْدُودٍ، وَشَاهِدَ كُلِّ مَشْهُودٍ، وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُودٍ، وَفَاقِدَ كُلِّ مَفْقُودٍ، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُودٍ، أهْلَ الكِبْرِيَاءِ وَالجُودِ.

يَا مَنْ لا يُكَيَّفُ بِكَيْفٍ، وَلا يُؤَيَّنُ بِأيْنٍ، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْنٍ، يَا دَيْمُومُ يَا قَيُّومُ، وعَالِمَ كُلِّ مَعْلُومٍ، صلِّ عَلى عِبَادِكَ المُنْتَجَبِينَ، وَبَشَرِكَ المُحْتَجَبِينَ وَمَلائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ، وبِهُمِ الصَّافِّينَ الحَافِّينَ[في (مجمع البحرين) للطّريحيّ: البُهم بالضّمّ: جمع البُهمة، وهو المجهول الّذي لا يُعرَف. ومنه الحديث: شيعتنا البُهم]، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَهْرِنَا هَذا المُرَجَّبِ المُكَرَّمِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الأشْهُرِ الحُرُمِ، وَأسْبِغْ عَلَيْنَا فِيهِ النِّعَمَ، وَأجْزِلْ لَنَا فِيهِ القِسَمَ، وأبْرِزْ لَنَا فِيهِ القَسَمَ، بِاسْمِكَ الأعْظَمِ الأعْظَمِ الأجَلِّ الأكْرَمِ الَّذي وَضَعْتَهُ عَلى النَّهَارِ فَأضَاءَ، وَعَلى اللَّيْلِ فَأظْلَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا تَعْلَمُ مِنَّا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرَ العِصَمِ، وَاكْفِنَا كَوَافِيَ قَدَرِكَ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِحُسْنِ نَظَرِكَ، وَلا تَكِلْنَا إلى غَيْرِكَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيما كَتَبْتَهُ لَنَا مِنْ أعْمَارِنَا، وَأصْلِحْ لَنَا خَبِيئَةَ أسْرَارِنَا، وَأعْطِنَا مِنْكَ الأمَانَ، واسْتَعْمِلْنَا بِحُسْنِ الإيمَانِ، وَبَلِّغْنَا شَهْرَ الصِّيَامِ، ومَا بَعْدَهُ مِنَ الأيَّامِ والأعْوامِ، يَا ذا الجَلالِ والإكْرامِ».

اِقرأ هذه الزّيارة الشّريفة، ولا تَأبه بتَشكيكات العاجزين عن فهم معاني هذا الدّعاء الذي يُعرَف باسم «الزّيارة الرّجبيّة»، واستَحضر أنّ الشّيخ الطّوسيّ أوردَه في (مصباح المتهجّد)، وأنّ الإمام السّيّد الخميني قدّس سرّه كان شديد الحثّ على التّأمّل في عظيم معاني هذه الزّيارة، لأنّ مضمونها يَقع في صميم رؤيته لمقامات النبيّ وأهل البيت صلّى الله عليه وعليهم، فتحدَّث عنها مراراً وتكراراً بِلُغةٍ خاصّة، وممّا قاله قدّس سرّه: «إقرأوا هذه الزيارة الرجبيّة التي ذَكرَتْ للأئمّة عليهم السلام مقامات تُبيّنها عبارة **لا فَرْق بينكَ وبينَهم (بينها) إلّا أنّهم عبادُك**، أي أنَّ كَوْنهم عبادك هو الفرقُ الوحيد».

وكان الإمام يؤكّد على هذه الفقرة ويقول: «إنَّ كَوْنهم عِباد الله هو الفارقُ بينهم وبين الله تعالى، أي أنَّ جميع القوى الإلهيّة هي بيد الأئمّة عليهم السّلام».

ثمّ كان يقول بعد ذلك: «إقرأوا هذه الزّيارة لكي لا تُنكِروا ما قد يُنقَل من مقامات أولياء الله، أو على الأقلّ تَقبَلون به كمجرَّد احتمال».

يؤكّد الإمام الخميني قراءةَ الزّيارة الرّجبيّة لكي لا يُنكر المُوالي ما قد يُنقَل من مقامات أولياء الله، أو - على الأقلّ - لكي يقبل به كمجرَّد احتمال

ثانياً: زيارةُ المشاهد في رجب

وهي زيارة يُزار بها كلٌّ من المشاهد المشرّفة في شهر رجب، وقد عدَّها صاحب كتاب (المزار القديم) والشّيخ محمّد بن المشهديّ من زيارات ليلة المبعث المخصوصة، وقالا: «صلِّ بعدها للزّيارة ركعتَين ثمّ ادعُ بما شئتَ».

وروى الشّيخ الطّوسيّ عن أبي القاسم الحسين بن روح النّائب الخاصّ للحجّة عليه السلام أنّه قال:

«**زُر أيّ المشاهد كنتَ بحَضرَتها في رجب، وقُل:**

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَشْهَدَنا مَشْهَدَ أَوْلِيائِهِ فِي رَجَبٍ، وَأَوْجَبَ عَلَيْنا مِنْ حَقِّهِمْ ما قَدْ وَجَبَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ، وَعَلى أَوْصِيائِهِ الحُجُبِ، اَللّهُمَّ فَكَما أَشْهَدْتَنا مَشْهَدَهُمْ فَأَنْجِزْ لَنا مَوْعِدَهُمْ وَأَوْرِدْنا مَوْرِدَهُمْ غَيْرَ مُحَلَّئِينَ [ممنوعين] عَنْ وِردٍ [الماء الذي يرِدُه] فِي دارِ الْمُقامَةِ وَالخُلْدِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ، إِنِّي قَصَدْتُكُمْ وَاعْتَمَدْتُكُمْ بِمَسْأَلَتِي وَحاجَتِي، وَهِيَ فَكاكُ رَقَبَتِي مِنَ النَّار، وَالمَقَرُّ مَعَكُمْ فِي دارِ القَرارِ مَعَ شِيعَتِكُم الأَبْرارِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ. أَنا سائِلُكُمْ وَآمِلُكُمْ فِيما إِلَيْكُم التَّفْوِيضُ، وَعَلَيْكُم التَّعْوِيضُ، فَبِكُم يُجْبَرُ المَهِيضُ [المكسور] وَيُشْفى المَرِيضُ، وَما تَزْدادُ الأَرْحامُ وَما تَغِيضُ [تنقُص]. إِنِّي بِسِرِّكُمْ مُؤْمِنٌ، وَلِقَوْلِكُمْ مُسَلِّمٌ، وَعَلى اللهِ بِكُمْ مُقْسِمٌ فِي رَجْعِي بِحَوائِجِي، وَقَضائِها وَإِمْضائِها وَنَجاحِها وَإِبْراحِها [وإبراحها في أكثر النُّسَخ بالباء الموحّدة والحاء المهملة، أي إظهارها، من: برحَ الأمر، إذا ظَهر]، وَبِشُؤُونِي لَدَيْكُمْ وَصَلاحِها، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ سَلامَ مُوَدِّعٍ، وَلَكُمْ حَوائِجَهُ مُودِعٌ، يَسْأَلُ اللهَ إِلَيْكُم المَرْجِعَ، وَسَعْيُهُ إِلَيْكُمْ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ، وَأَنْ يُرْجِعَنِي مِنْ حَضْرَتِكُمْ خَيْرَ مَرْجِعٍ إِلى جَنابٍ مُمْرِعٍ، وَخَفْضِ عَيْشٍ [عيشٍ مُريح] مُوَسَّعٍ، وَدَعَةٍ [سعة]، وَمَهَلٍ [سكينة] إِلى حِينِ الأَجَلِ، وَخَيْرِ مَصِيرٍ وَمَحَلٍّ فِي النَّعِيمِ الأَزَلِ، وَالعَيْشِ الْمُقْتَبَلِ، وَدَوامِ الأُكُلِ، وَشُرْبِ الرَّحِيقِ، وَالسَّلْسَلِ [الماء العَذب] وَعَلٍّ [تكرار الشّرب] وَنَهَلٍ [الشّربة الأولى]، لا سَأَمٍ مِنْهُ وَلا مَلَلٍ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، وَتَحِيَّاتُهُ [عَلَيْكُمْ] حَتَّى العَوْدِ إِلى حَضْرَتِكُمْ، وَالفَوْزِ فِي كَرَّتِكُمْ، وَالحَشْرِ فِي زُمْرَتِكُمْ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ، وَصَلَواتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ، وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

يصرّح آية الله كاشف الغطاء أنّ المباني والمعاني الواردة في الزّيارة الرّجبيّة كنزٌ من الحقائق، ودلالاتُها تستلزمُ إفرادَ رسالةٍ مستقلّةٍ

«مَن صلّى في رجب..»

أربع صلوات مرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله

إعداد: «شعائر»

«صلاة سلمان»

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «..يا سلمان، ما من مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ صلّى في هذا الشّهر ثلاثين ركعة وهو شهر رجب "..." إلّا محا الله تعالى عنه كلّ ذنبٍ عملَه في صغرِه وكبرِه، "..." أخبَرَني بذلك جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد هذه علامةٌ بينكم وبين المنافقين لأنّ المنافقين لا يُصلّون ذلك.

يا سلمان، تُصلّي في أوّله عشر ركعات، تقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) مرّة واحدة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، و(قل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، فإذا سلّمْتَ رفعْتَ يدَيك وقُلتَ:

لا إلهَ إلّا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، أَللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجِدُّ؛ ثمّ امسح بها وجهك.

وصلّ في وسط الشّهر عشر ركعات [بالكيفيّة نفسها]، فإذا سلّمت فارفع يديك إلى السّماء، وقل: لا إلهَ إلّا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، إِلَهاً وَاحِداً أَحَداً فَرْداً صَمَداً لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وِلاَ وَلَداً؛ ثمّ امسح بها وجهك.

وصلّ في آخر الشّهر عشر ركعات [أيضاً كما سبق]، فإذا سلّمت فارفع يديك إلى السّماء، وقل: لا إلهَ إلّا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، وصلّى الله على محمّدٍ وآلِه الطاهرين، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ؛ ثمّ امسح بها وجهك، وسَلْ حاجتَك، فإنّه يُستجابُ لك دعاؤك، ويجعل اللهُ بينك وبين جهنّم سبعة خنادق؛ كلّ خندقٍ كما بين السّماء والأرض"..."».

صلاة لكلّ ليلة

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«مَن صلّى في رجب ستّين ركعة، في كلّ ليلة منه ركعتَين، يقرأ في كلّ ركعةٍ منهما فاتحةَ الكتاب مرّة، و(قل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، و(قل هو الله أحد) مرّة، فإذا سلّم منهما رفعَ يدَيه، وقال: (لا إلَهَ إلّا الله وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحيِي ويُمِيتُ، وهُوَ حَيٌّ لا يَموتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قدير، وإليهِ المَصيرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ، أللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ وَآلِهِ)، ويمسح بيدَيه وجهَه، فإنَّ الله سبحانَه يَستجيبُ الدّعاء، ويُعطيه ثوابَ ستّين حجّة وستّين عمرة».

صلاة أربع ركعات:

عن رسول اللهّ صلّى الله عليه وآله:

«مَن صامَ يوْماً مِن رَجَب وصَلّى أربعَ رَكعات، يقْرأُ في الأُولى (آيَةَ الْكُرْسِيّ) مائة مرّة، وفي الثّانية (قل هو الله أحد) مائتَي مرّة، لَمْ يمُتْ إلّا وقد شاهَدَ مَكانَهُ في الجَنَّةِ أو شُوهِدَ له».

صلاة في ليلة من رجب

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله:

«مَن قرأ في ليلةٍ من شهر رجب (قل هو الله أحد) مائة مرّة في ركعتَين، فكأنّما صام مائة سنة في سبيل الله، وأعطاه الله مائة قصر في جوار نبيّ من الأنبياء عليهم السّلام».

أذكار شهر رجب

«..وإنّها لتُضاعَف»

إعداد: «شعائر»

ما يلي أبرز أذكار شهر رجب الأصبّ، ممّا وردت به الرّواية عن المعصومين عليهم السلام، فلا نحرم أنفسَنا من ثوابها الجزيل. ورَحِمَ اللهُ مَن شارك غيرَه، لعلّ أحدنا يصل إلى حيثُ يأتي بهذا المستحبّ أو ذاك ويَهديه كلَّه لأخيه المؤمن.

التّهليل: من المستحبّات في شهر رجب أن يقول الإنسان في جميع الشهر ألف مرّة (لا إلهَ إلّا الله)، وثواب هذا التّهليل ثوابٌ عظيمٌ وردَ أنّ مَن قاله.. «كتبَ (الله) له مائةُ ألف حَسَنة، وبنَى له مائةَ مدينة في الجنّة».

الاستغفار: تتعدّد عبارات الاستغفار في شهر رجب، وهي:

١) في الشّهر كلّه ألف مرّة: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرامِ مِنْ جَميعِ الذُّنُوبِ وَالآثامِ».

وفي رواية أنّ العبد إذا قال ذلك: «قال اللهُ تعالى: إنْ لم أغفرْ لكم لستُ بربّكم، ثلاثاً».

٢) سبعون مرّة، جاء في النّبويّ الشّريف: «مَن استغفرَ الله تعالى في رَجب وسألَه التّوبةَ سبعينَ مرّة بالغَدَاة [ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس] وسبعينَ مرّة بالعَشِيّ [المشهور أنّه آخر النّهار] يقول: (أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه)، فإذا بلغ تمام سبعين مرّة رفع يدَيه وقال: (أللّهمّ اغفرْ لي وتُب عليّ)، فإنْ ماتَ في رجب ماتَ مرْضيّاً عنه، ولا تمسّه النّار ببركةِ رَجَب».

٣) عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن قال في رَجَب: (أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إلهَ إلّا هُوَ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَتُوبُ إِلَيهِ) مائة مرّة وخَتَمَها بالصَّدَقةِ، خَتَمَ اللهُ له بالمَغْفِرةِ والرّحْمَةِ، ومَن قالَها أربعمائة مرّة كتبَ اللهُ لهُ أجْرَ مائة شَهيد، فإذا لَقِيَ اللهَ يومَ القيامة يقولُ له: (قد أقررتَ بمُلكي فتمنَّ عليّ ما شئتَ حتّى أعطيك..)».

قراءة سورة التّوحيد: من المستحبّات العامّة في شهر رجب قراءة (سورة التّوحيد) في جميع الشّهر عشرة آلاف مرّة، فمَن لم يستطع يقرأها في الشّهر كلّه ألف مرّة، وإذا لم يستطع، يقرأها في الشّهر كلّه مائة مرّة.

* عن رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَن قرأ في عمرِه عشرةَ آلاف مرّة (قل هو الله أحد)، بنيّةٍ صادقة في شهر رجب، جاءَ يومَ القيامة خارجاً من ذنوبِه كيومِ وَلدته أُمّه، فيستقبلُه سبعون ملَكاً يبشّرونه بالجنّة».

* وفي حديثٍ آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «مَن قرأ (قل هو الله أحد)، ألف مرّة، جاءَ يومَ القيامة بعملِ ألْفِ نبيٍّ وألْفِ ملَك، ولم يكنْ أحدٌ أقربَ إلى الله إلّا مَن زادَ عليه، وإنّها لتُضاعَف في شهرِ رَجب».

* وعنه صلّى الله عليه وآله: «مَن قَرأ (قل هو الله أحد)، مائة مرّة، بُورِكَ لَه وعلى ولده وأهلِه وجيرانِه، ومَن قرأَها في رَجب بَنى اللهُ تعالى له اثنَي عشر قصراً في الجنّة..».

السّجود: ذكر السّيّد ابنُ طاوس: «...واعتمَرَ عليُّ بنُ الحسين عليه السلام في رجب، وكان يصلّي عند الكعبة عامّةَ ليلِه ونهارِه، ويسجدُ عامّةَ ليلِه ونهارِه، وكان يُسمَع منه في سجودِه: (عَظُمَ الذَّنبُ مِن عَبدِك، فَلْيَحْسُنِ العَفوُ من عندِك)، لا يزيدُ على هذا مدّةَ مقامِه».

أذكار للأشهر الثّلاثة: رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

«مَن قَرأ في كلِّ صباحٍ ومساءٍ في شهر رَجَب وشَعْبانَ ورَمَضان ثلاث مرّات سورة (الفاتحة)، و(آية الكرسيّ)، وسورة (قل يا أيّها الكافرون)، و(قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ بربِّ الفلق)، و(قل أعوذ بربِّ الناس) ثلاث مرّات، وقال: (سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلا إلهَ إلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ)، وقال ثلاثاً: (أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد)، وثلاثاً: (أَللّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ)، وقال أربعمائة مرّة: (أَسْتَغفِرُ الله وَأَتُوبُ إِلَيهِ)، غفرَ الله ذُنوبَه (مهما كانت)..».

حوار مع الفقيه الكبير المجدِّد الشّيخ عبد الهادي الفضلي قدس سره

تحديثُ تقنيّات الدّراسة الدّينيّة، مهمّة علميّة مركزيّة

إعداد: حسين منصور الشّيخ*

حينما يُذكر العلّامة الشّيخ الدّكتور عبد الهادي الفضلي قدس سره، لا بدَّ وأن يُذكر التّجديد في المناهج، وحينما يُذكر هذا الأخير، فَلازِمُ ذلك أن يُذكر العلّامة الفضلي. هذا التّلازم ولّدته فاعليّة حضور الشّيخ الدّكتور في مسألة تجديد أساليب الدّراسة الحوزويّة.

في ما يلي، خلاصات من الحوار الشّامل الذي أجرته معه فصليّة «الكلمة» في عددها الخامس والخمسين، وقد ارتأينا نشرها نظراً لأهميّتها، ولا سيّما لجهة التّعرّف على التّجربة العمليّة لسماحة الشّيخ الفضلي، في صياغة مقرّرات تعليميّة جديدة، منها: (خلاصة المنطق)، و(مبادئ أصول الفقه) كمادّتَين تمهيديّتَين لدراسة علمَي المنطق والأصول.

الفقيه المجدّد الراحل الشيخ الفضلي قدس سره

هل يمكن القول بأنّ لدراستكم الحوزويّة ومن ثَمَّ التحاقكم بالتّدريس النّظاميّ في الثّانويّات وكلّيّة الفقه، دوراً في المفاضلة بين تقنيّات التّعليم القديمة والجديدة؟

مسألةُ التّجديد جزءٌ مهمٌّ منها يتعلّق بشخصيّة الإنسان نفسه وما يمتلكه من موهبة، فهناك الكثيرون ممّن دمجوا بين الدّراستَين الحوزويّة والنّظاميّة ولم يفكّروا في مسألة التّغيير.

وأودّ أن أشير إلى أنّي من البدايات كنت أتأمّل الآية القرآنيّة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون:١١٤، الّتي يمكن اعتبارها قانوناً وسنّةً إلهيّة، حيث تفيد هذه الآية أنّ هناك خطّاً وهدفاً يمشي نحوه الإنسان، ولا يوجد ما هو عبثيّ في هذه الحياة، بل هناك ما يتوخّاه الإنسان من حياته الّتي يعيشها، وهذه الغاية - بالاستفادة من النّصوص الأخرى - تكون لمصلحة الإنسان، وهذا أمر جعلني أضع أمامي هذا السّؤال في كلّ كتابٍ أدرسه وكلّ موضوع وباب فيه، بحيث أضع نصب عينيّ الفائدة من دراسته، وموقع هذه الفائدة داخل العلم وفي كلّ بابٍ منه.

وتجد هذه النّقطة واضحة جدّاً في كتاب (خلاصة المنطق)، حيث كنتُ أكتب في نهاية كلّ موضوع الفائدة من البحث. وهذه النّقطة كانت مفقودة في المقرّرات القديمة، وللأسف، فإنّ هذا الأمر لا زال قائماً في كثيرٍ من المقرّرات الدّراسيّة الّتي تظهر مؤخّراً.

من ناحيةٍ ثانية، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هناك مَنْ بَدَأَ - قبل محاولاتي في إيجاد مقرّرات بديلة - بمحاولاتٍ جادّة في طرح البديل، فالحركة العلميّة التّجديديّة في النّجف كانت واعية لمسألة ضرورة تغيير المناهج، وكان هناك مَن يعمل بهذا الاتّجاه، فالشّيخ محمّد رضا المظفّر وضع مقرّراً لعلم المنطق، وآخَر في أصول الفقه، وآخرون كذلك كانت لهم بعض المحاولات.

هل نستطيع أن نقول بأن تتلمذكم على الشّيخ المظفّر كان له دور أيضاً؟

ربّما يكون العامل المساعد في أن أتوجّه أنا وغيري للاهتمام بمسألة التّجديد في الحوزة، هو الجوّ العامّ في النّجف في ذلك الوقت، حيث كان هناك عوامل كثيرة تحفّز بهذا الاتّجاه، فهناك مَن يعملون ويحاولون تطوير الدّراسة أو الوضع الدّراسيّ الدّينيّ في النّجف حتّى يصبح أكثر فائدة، فكان من هؤلاء: الشّيخ عبد

* مختصر، نقلاً عن مجلّة «الكلمة».

الحسين الرّشتيّ، والشّيخ عبد الحسين الحلّيّ، ومنهم أيضاً الشّيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، الّذي أنشأ مدرسةً نظاميّةً لتدريس المقرّرات الحوزويّة، ولكن لم يُكتب لها النّجاح. وكان منهم كذلك السّيّد محسن الحكيم.

وكان على خطاهم الشّيخ محمّد رضا المظفّر، الّذي خطا خطوات جادّة في هذا الاتّجاه، فأنشأ «جمعيّة منتدى النّشر»، وفتح مدارس تابعة لها، وأنشأ «كلّيّة الفقه».

في هذا الجوّ الّذي عاصرتُ فيه أكثر من تجربة للتّجديد، نشأتُ، كما أنّي التحقتُ مع بعض زملائي في الحوزة بكلّيّة الفقه الّتي أنشأها الشّيخ المظفّر، حيث درستُ فيها الموادّ الإضافيّة الّتي لم نكن ندرسها في الحوزة، فكنتُ مع بقيّة زملائي أوّل دفعةٍ نتخرّج من هذه الكلّيّة، ثمّ مارستُ التّدريس فيها ورئاسة قسم اللّغة العربيّة، وفي هذه الظّروف أمكنني أن أقارن بين نمط الدّراسة النّظاميّة الجامعيّة، والدّراسة الحرّة الحوزويّة.

باكورةُ الأعمال

ما هو أوّل ما ألّفتموه من الموادّ الدّراسيّة؟

(التّربية الدّينيّة)، وقد اعتُمد كمقرّرٍ دراسيٍّ في متوسّطات «جمعيّة منتدى النّشر». كان ذلك في السّتّينات الميلاديّة، حيث أذكر أنّي ألّفتُه بعد سقوط الملكيّة في العراق، أي بعد انقلاب عام ١٩٥٨م.

كيف تبلوَرت فكرة تأليف هذا المقرّر؟

التّربية الدّينيّة – كما أشرتُ آنفاً – يُعتبر أوّل ما ألّفت من الكُتُب الدّراسيّة، وقد كان ذلك استجابةً لطلبٍ من «جمعيّة منتدى النّشر»، وذلك عندما بدأت هذه الجمعيّة بتأسيس مدارسها الابتدائيّة والمتوسّطة الأهليّة، حيث طلبوا منّي أن أضع كتاباً للتّربية الدّينيّة للمرحلة المتوسّطة.

فقد كانت الطّريقة المتّبعة والمألوفة في العراق بالنّسبة إلى المدارس الأهليّة – في ذلك الوقت – أن يدرس الطّالب المقرّر الوزاريّ للمادّة كاملاً، بما في ذلك مادّة التّربية الدّينيّة، فإذا أرادت المدرسة الأهليّة أن تضيفَ على هذا المقرّر فلها الحقّ في ذلك، فالمدارس التّابعة لإخواننا أهل السُّنّة لهم الحقّ في أن يدرِّسوا طلّابهم مادّة التّربية الدّينيّة وفق مذهبهم السّنّيّ، وكذلك المسيحيّون لهم الحقّ في أن يدرِّسوا مادّة التّربية الدّينيّة وفق الدّيانة المسيحيّة.. وهكذا. وتطبيقاً لهذا القرار، أضافت مدارس «جمعيّة منتدى النّشر» كتاب التّربية الدّينيّة الّذي قمتُ بوضعه لهذه المادّة.

طلاب كلية الفقه في النجف الأشرف، ويبدو الشيخ المظفر (رقم١)، والشيخ الفضلي (رقم١٧)

وقد أُخضع الكتاب للتّجربة فترةً من الزّمن قمتُ خلالها بتدريسه، وسجّلتُ ملاحظاتي الّتي ظهرت لي أثناء عمليّة التّعليم، ثمّ قام معلّمون آخرون بتدريسه وسجّلوا عليه ملاحظاتهم، وبعد هذه التّجربة قمتُ بصياغته صياغةً نهائيّة، وتعديله وفق الملاحظات الّتي ظهرت أثناء قيامنا بتدريسه.

وكانت أوّل طبعةٍ منه بمساعدة من السّيّد محسن الحكيم، وبعد ذلك تكرّرت طبعات الكتاب. فالسّيّد الحكيم قدّس سرّه، قام بطبعه عدّة مرّات ليبعثه مع الرّسالة العمليّة ككتابٍ مبسّط عن أصول الدّين، حيث كانت الطّريقة المتّبعة قديماً أن يُقدَّم للرّسالة العمليّة بمقدّمة بسيطة عن أصول الدّين، ليَشرع الفقيهُ بعد ذلك بتناول فروع الدّين الّتي تمثّل مجمل أبواب الفقه.

كما أنّ السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر، قدّس سرّه، ساهم في طبعه ونشره. وبعد ذلك أخذ الكتاب طريقه إلى النّشر من قِبل النّاشرين دون علمٍ أو متابعةٍ من قِبلي.

وفي الفترة الّتي اعتُمد الكتاب كمقرّرٍ دراسيٍّ في متوسّطات «جمعيّة منتدى النّشر»، سلك طريقه أيضاً في حلقات الدّراسة الحوزويّة، بجانب ما يدرسه الطّالب في مرحلة المقدّمات، حيث يدرسه كمقدّمة لدراسة علم الكلام فيما بعد.

ربّما يكون كتاب (خلاصة المنطق) هو أكثر كُتبكم انتشاراً، وربّما يكون ذلك من البدايات، أي منذ صدور الكتاب، ما السّبب الّذي دعا لانتشاره هذا الانتشار الواسع؟

ربّما أُرجِعُ سببَ انتشاره إلى سهولة تناول المادّة العلميّة فيه من حيث التّعبير ومن حيث تنظيم المادّة، فالمنطق كان يُدرَّس ولا يُذكَر في المقرّرات السّابقة الغاية من دراسة المنطق، إلّا على نحوٍ مجملٍ أو غير واضح، كأن يُذكر في البداية أنّ الغاية من دراسة المنطق هو التّصوّر والتّصديق، من غير أن يشار إلى المقصود من

هذه العبارة، ولذلك عندما قمتُ بتأليف (خلاصة المنطق). أوضحتُ أنّ المنطق يبحث في نقطتين أساسيّتَين، هما: التّعريف والاستدلال، حيث يمثّلان القسمين الرّئيسين في المنطق، فالغاية من دراسة المنطق أن يتمكّن الدّارس له من التّعريف والاستدلال وفقًا للقواعد المنطقيّة الصّحيحة.

الكتابة المنهجيّة

هل كان لسائر المنتمين لكليّة الفقه دورٌ مشابه في إيجاد المناهج الجديدة؟

لم يكن هناك من أساتذة الكلّيّة وطلّابها مَن اتّجه نحو تأليف المقرّرات والمناهج الدّراسيّة، باستثناء السّيّد محمّد تقيّ الحكيم والشّيخ المظفّر، ثمّ حاولتُ أن أتبع خطاهما في ذلك، ولا أذكر من مجايليَّ من طلّاب الكلّيّة وأساتذتها - بعد ذلك - مَن خطى في هذا الاتّجاه.

ولكنّ هناك مَن استفاد من جوّ التّطوير السّائد في النّجف الأشرف في تلك الفترة، ومن التحاقه بكلّيّة الفقه، ولكن ليس في جانب التّأليف، وهو الشّيخ الوائليّ رضوان الله عليه، حيث طوّر منبره، واستفاد من الدّراسة الحوزويّة والجامعيّة بحيث شكّل منبرُهُ مدرسةً خطابيّةً متميّزة، وهذا واضح عندما تستمع إلى مجالسه ومحاضراته.

هل هناك أساتذة في كلّيّة الفقه بحيث يكونون هم الّذين أبدعوا في مسألة تطوير المناهج، ثمّ جاء مَن يكمل بعدَهم المسير؟

السّيّد محمّد تقيّ الحكيم كان أستاذاً في الحوزة قبل أن يكون أستاذاً في الكلّيّة، ولكن عندما أنشأ الشّيخ المظفّر كلّيّة الفقه قام (الشّيخ المظفّر) بخطواتٍ عمليّة بإيجاد المناهج البديلة؛ فألّف (المنطق)، و(أصول الفقه)، ومشى على خطاه وأكمل مشروعه في تأليف كتاب أصول الفقه السّيّدُ محمّد تقيّ الحكيم، فألّف (الأصول العامّة في الفقه المقارن)، ليكمل الحلقة الّتي بدأها الشّيخ المظفّر.

هل تضعون نفسكم في هذه الحلقة؟

إلى حدٍّ مّا حاولتُ أن أنتمي إليها، ولكنّي حاولتُ أن أبدأ مع الطّالب من البداية، فألّفت (خلاصة المنطق) ليكون مقدّمةً لكتاب (المنطق) للشّيخ المظفّر، و(مبادئ أصول الفقه) كمقدّمة لأصول فقه المظفّر أيضاً.

تتميّز كتابات الشّيخ بالتّجديدُ في هيكلة العلم.. كيف تحصّلتم على هذا الوعي التّجديديّ في ذلك الوقت؟

هذا يأتي مع الممارسة، فقد ذكرتُ لك أنّي أتّبع في مسألة تدوين كتب المقرّرات الدّراسيّة طريقة أبدأ فيها في كلّ علمٍ وفي كلّ بابٍ بالتّساؤل التّالي: لماذا أدرس هذا العلم؟ ولماذا وُجِدَ هذا الباب في هذا العلم؟

وربما تكون هذه التّساؤلات وهذا التّفكير هو الّذي دفعني لمحاولة التّجديد في المناهج الدّراسيّة، بالإضافة إلى أنّني عشتُ في الوقت الّذي كانت النّجف تعيش موجةً من دعوى تجديد المناهج وأسلوب الدّراسة الحوزويّة.

ولكنّ الكتابة المنهجيّة بهذه الطّريقة المتقدّمة لا بدَّ وأن تسبقها بدايات جيّدة؟

تتلمذتُ على السّيّد محمّد تقيّ الحكيم، وقد كان يتمتّع بكتابةٍ منهجيّةٍ متميّزة، مع أنّه لم يدرس بالجامعة ولا حتّى في مدارس نظاميّة، بل درس كلّ علومه بالحوزة، ولكنّه كان موهوباً في خصوص ترتيب العلم والمنهج، أي أنّه موهوب من ناحية المنهجيّة. وقد أجد نفسي متوفّراً على شيءٍ من هذه الموهبة الّتي أشرتُ إليها عند أستاذنا السّيّد التّقيّ الحكيم.

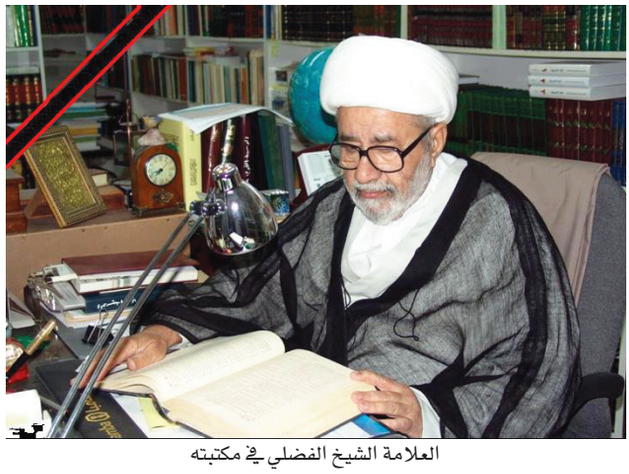

العلامة الشيخ الفضلي في مكتبته

في كتبكم المنهجيّة تحاولون ألّا تُقصوا رأياً دون آخر؟

في الكتب الدّراسيّة - بالذّات - من المفترض بكاتب هذه المقرّرات أن لا يركّز على ذاته. نعم، من المفترض أن تبرز شخصيّته العلميّة في الكتاب، ولكن ليس عن طريق التّركيز على ذاته، بل عن طريق ما يمتلك من علمٍ وموهبةٍ في إبراز الفكرة، فأصحاب أيّ علم - وإن كان المؤلِّف يختلف معهم - كلّهم ساهموا في إبراز أفكاره وعناصره وتقسيماته، فلا يصحّ من المؤلِّف - لأنّه لا يرتضي رأياً معيّناً - أن يُقصي هذا الرّأي أو ذاك، فقد يأتي مَن يرى صوابيّة ما يرى المؤلّف خطأه. فالمفترض بالكتب العلميّة التّعليميّة ألّا

تبخس حقّ أحد، لتتيح للطّالب حين دراسته أن يدرس كلّ ما يحيط بالفكرة.

وممّا يؤسَف له أنّ أغلب جامعاتنا العربيّة تفتقد مقرَّراتُها ومراجعُها النّاحية التّربويّة، فلا تربّي الطّالب علمياً، فالطّالب الّذي ينشأ في الجوّ العلميّ يدرك أنّ الشّموليّة في المعرفة مطلوبة في مجال العلم والدّراسة.

المختصرات والمقرّرات الدّراسيّة

في كتابتكم المقرّراتِ الدّراسيّةَ تميلون كثيرًا إلى كتابة المختصَرات الدّراسيّة، لماذا؟

في البداية يحتاج الطّالب إلى هذه المختصرات، لأنّ غالبيّة هذه المقرَّرات الّتي دوّنت كمختصراتٍ هي المقرَّرات التّأسيسيّة في كل مادّة، فهي أوّل ما يدرسه الطّالب في هذه العلوم.

ومن المفترض أن تكون هذه البدايات عبارة عن مختصرات دراسيّة، تكون حلقة في سلسلة المقرّرات الّتي تراعي مسألة التّدرّج في إعطاء الطّالب المعلومةَ، إلى أن يصل الطّالب إلى مرحلة التّخصُّص حيث بالإمكان التّوسُّع.

ما هي الشّروط التي تشترطونها في مؤلِّف المقرَّر الدّراسيّ؟

أوّلاً: لا بدَّ أن يكون موهوباً في وضع المقرَّر الدّراسيّ وفق المنهج العلميّ الحديث، الّذي يتدرَّج فيه مع الطّالب من المعلوم إلى المجهول، وفق ترتيبٍ منطقيٍّ متسلسل.

ثانياً: أن يكون لديه اطّلاع عمليّ على المناهج الأخرى حتّى يستفيد من الجيّد منها.

ثالثاً: أن ينظر نظرةً إلى المستقبل لا إلى الحاضر.. أي أن تكون نظرته أبعد من الحاضر.

وما هي الشّروط المطلوبة في المقرَّر الدّراسيّ؟

ما كرّرناه مراراً خلال مناسبات عدّة، وهو أن يحتوي المنهج على عنصرَي:

الجانب العلميّ والجانب التّربويّ (أي الجانب التّمرينيّ التّطبيقيّ، بمعنى تربية الذّهن على استيعاب المجرّدات). والتّربويّون يذكرون أنّ المناهج يجب أن يتوزّع فيها هذان الجانبان (العلميّ والتّربويّ) بما يتلاءم والمرحلة العمريّة، وذلك على النّحو التّالي:

* في مقرَّرات المرحلة الابتدائيّة يركّز المؤلِّف فيها على العنصر التّربويّ أكثر بنسبة خمسة وسبعين بالمائة لصالح النّاحية التّربويّة، بينما يترك الخمسة وعشرين بالمائة لصالح الجانب العلميّ.

أول مؤلفات الشيخ الفضلي رحمه الله

* وفي المرحلة المتوسّطة يتوزّع هذان الجانبان النّسبةَ بينهما، بحيث يكون لكلٍّ منهما خمسون بالمائة من المقرّر.

* وفي الثّانويّة يكون للجانب العلميّ خمسة وسبعون بالمائة، والجانب التّربويّ خمسة وعشرون بالمائة.

* بينما المقرّرات الجامعيّة يتركّز المنهج التّعليميّ فيها بحيث يكون الجانب العلميّ فيه مائة بالمائة.

ربّما لا يفهم القارئ مقصودكم من مصطلح «الجانب التّربويّ» في المقرَّر الدّراسيّ، هل بالإمكان أن توضّحوا لنا هذه النّقطة كعنصرٍ أساس في المنهج؟

سأضرب لذلك مثالاً، إذا أراد شخصٌ أن يكتب مقرَّرًا في اللّغة العربيّة، فالمطلوب منه في البداية - ليتدرّج مع الطّالب - أن يلقّن الطّالب تلقيناً، لأنّ ذهنيّته لا تتحمّل أن تكون ذهنيّة علميّة، لكنّ مع ذلك يحاول أن يحرّك هذا المقرَّر ذهنيّته شيئاً فشيئاً عن طريق التّمرينات في طيّاتِ الكتاب، ويُراعي في هذه التّمرينات أن تكوّن لدى الطّالب الذّهنيّة العلميّة الّتي تحاكم ما يطرح لديه من مادّةٍ علميّة.

فالمطلوب من كلّ الدّراسات في المرحلة المتوسّطة والثّانويّة قبل الجامعة - وكذلك الأمر في الحوزة في مرحلتَي المقدّمات والسّطوح قبل البحث الخارج - أن تكون الغاية من المقرّر الدّراسيّ فيها: تكوين الذّهنيّة العلميّة لدى الطّالب.

وما يكوّن الذّهنيّة العلميّة لدى الطلّاب ليس العلم والمادّة العلميّة فيه، وإنّما التّربية والممارسة، فالمدرِّس يستطيع أنْ يعلِّم الطّالب فقهاً وأصولاً وعلم رجال وعلم حديث، ولكن هذه العلوم - منفردةً - لا تكوّن - داخل الحوزة مثلاً - المجتهد أو الفقيه، من دون أن يمارس هذه العلوم أثناء الدّراسة من خلال كتابة البحث - مثلاً - أو من خلال الأسئلة التّطبيقيّة في كلّ مادّةٍ منها.

قواعدُ السَّير وَالسُّلوك عندَ العارف باللّٰه، الملَكيّ التّبريزيّ

لقاءُ اللّٰه: شُهودٌ بالرّوح، ومُشاهدةٌ بالبَصيرة

آية اللّٰه الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ

الفقيهُ العارفُ آيةُ اللّٰه الميرزا جواد الملَكي التّبريزيّ، من الأساتذة المعروفين في السّير والسّلوك إلى اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ، وقد انتهجَ في رسالته (لقاء اللّٰه) نهجاً خاصّاً، مُؤكّداً أنّ لقاءَه تعالى هو الغايةُ القُصْوى، والهدفُ الأعلى للسّير والسّلوك. ويستشهدُ بآياتٍ من القرآن الكريم، وكذلك بالرّوايات، ليُصرّحَ بأنَّ لقاءَ اللّٰه، سبحانه، ليس هو المُشاهدة العَيْنيَّة، فالباري، تعالى، مُنَزَّهٌ عن الكَيْفيّات الّتي تُوجبُ رؤيته بالبصر، ولا هو لقاءُ النّعيم والثّواب في يوم القيامة، بل هو نَوْعٌ من «الشُّهود»، واللّقاءُ القلبيُّ والرّوحيّ، والمُشاهدَةُ بالبصيرة.

في هذه المقالَة المُقْتَطَفَة من كتاب (الأخلاق في القرآن) لآية اللّٰه مكارم الشّيرازيّ، خُلاصةُ العناصر الأساسيّة الّتي يَطْرَحُها الفقيهُ العارفُ التّبريزيّ، والتي ينبغي على السّالك اعتمادُها، والالتزامُ بها لِقَطْعِ هذا الطّريق الدّقيق والمحفوف بالمَخاطر. وهي كما يلي:

أوّلاً: العزمُ والنيّةُ لسلوك هذا الطّريق.

ثانياً: التّوبةُ النّصوحُ من الأعمال السّالفة، وهي التّوبةُ الّتي تنفذ في أعماق الوِجْدانِ والوَعْي، وفي واقع النّفس، وتعملُ على تغييره، وغسْلِ آثارِ الذّنوبِ وأدْرانِ الخَطايا من جسمِه وروحِه.

ثالثاً: حَمْلُ الزّادِ للطّريق، وذَكَرَ له أعمالاً:

أ) **المُشارطةُ صباحاً**: يشرطُ على نفسه أن لا يَمْضِيَ إلّا في طريق الحقّ. **وفي النّهار المُراقبة**: أي الانتباهَ لئلّا يحيدَ عن الطّريق. **ومساءً المُحاسبة**: يحاسب نفسَه على ما فعله في النّهار.

ب) التَّوَجُّهُ للأَوْرادِ والأَذْكار، ووَظائِفُ اليَقظةِ والمَنام.

ج) التَّوَجُّهُ لصلاةِ اللّيل، والخَلوةُ باللّٰه تعالى، وإحياءُ اللّيل، وترويضُ النّفس في حالاتِ النّوم والأكل، بحيث لا يتجاوزُ عن الحدِّ الضّروريّ.

رابعاً: الاستفادةُ من سَوْطِ السّلوك، وهو عبارةٌ عن مُؤاخَذة النّفس وتوبيخِها، لتوجُّهِها إلى الدّنيا وتقصيرِها في طلبِ الحقّ، وعدمِ وفائِها، وإطاعةِ الشّيطانِ في معصيةِ اللّٰه تعالى؛ ويستغفرُ اللّٰه على كلِّ ذلك، ويعزمُ على السّعي في طريقِ الإخلاص والإيمانِ والصّلاح.

خامساً: عند التّحوّل، وفي هذه المرحلة، وقبلَ كلِّ شيء، يجبُ أن يُفكّرَ في الموت، ليُميتَ حُبَّ الدّنيا في قلبِه، ويُصلحَ الصّفاتِ القبيحةَ فيه، وهو دواءٌ نافعٌ في هذا المجال، وبعدها يفكّرُ في عَظَمَةِ اللّٰهِ تعالى وأسمائه وصفاته، ويذكرُ أولياءَ الحقّ، وَلْيَسْعَ

> **يُؤَكِّدُ الميرزا المَلَكي التَّبْريزيّ أَنَّ الخُطْوَةَ الأُولى في السَّيْرِ إلى اللّٰه تَعالى، هِيَ تَكْميلُ الاعْتِقاداتِ، وَتَقْوِيَتُها.**

بأن يُشابِهَهم في صفاتِهم.

سادساً: عند القُربِ من منزلِ المقصود، يشيرُ آيةُ اللّٰه الميرزا التّبريزيّ، إلى أنّ لدى الإنسان ثلاثةَ عوالِمَ:

١- عالم الحسّ والطّبيعة.

٢- عالم الخيال والمثال.

٣- عالم العقل والحقيقة.

فعالَمُ الحسِّ والطّبيعةِ كلُّه ظُلمات، وإذا لم يَعْبُرْهُ فلن يستطيعَ الوصولَ إلى عالَمِ المثالِ، وهو العالَمُ الّذي تكونُ فيه للحقائقِ صُوَرٌ عاريةٌ عن المادّة. وما دام يراوحُ في عالَمِ المثال، فلن يستطيعَ الوصولَ إلى عالَمِ العقل، الّذي هو عالَمُ الحقيقةِ والأصلُ للنّفس الإنسانية، الّذي لا صورةَ فيه ولا مادّة، فإذا وصلَ إلى عالَمِ العقل، وأدركَ نفسَه خاليةً عن المادّة والصّورة، فسَيصلُ إلى معرفةِ الباري تعالى، ويكونُ مِصداقاً لقولِ أمير المؤمنين عليه السّلام: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**».

لقاءُ الرُّوح والمعنى

هذا، وقد أشار الميرزا التّبريزيّ إلى برنامجٍ آخَرَ للسّيرِ والسّلوك، في رسالته الجامعة والغنيّة، والمُعْتمِدَةِ على الآيات والأخبار، حيث لفتَ أوّلاً إلى الآياتِ المُتعلّقةِ بلقاء الله، وبعدها شرَعَ في تفسيرِ معنى «اللّقاء»؛ مُعتبراً أنّ المرادَ منه هو اللّقاءُ المعنويُّ والرّوحيّ.

أضاف: إنّ الإنسانَ، ولأجل وصولِه للقاءِ الله تعالى في هذا السَّيْرِ المعنويّ، عليه أن يَكْسِرَ حُدودَ المادّة، والمكان والزّمان، وكذلك الحدودَ الذّاتيّةَ لكلّ المُمْكنات، ويَفنى في عالَمِ اللّاهوت، ويكون المُخاطَب لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ الفجر:٢٧-٣٠.

تِبعاً لذلك، هناك خمسُ مَراحِلَ للوصولِ إلى المقصود الأكبر:

الأولى: التّحرّكُ على مستوى تكميلِ الاعتقاداتِ وتَقْويَتِها، والتّوجُّهُ الخاصُّ لأصول الدّين.

الثّانية: التّوبةُ من الذّنوب، والبَدءُ من هذا الموقعِ للإتيانِ بالأعمالِ الصّالحة وأداءِ الواجبات.

الثّالثة: السّعيُ الجادُّ لتطهيرِ النّفسِ من الرّذائل، وتَحْلِيَتِها بالفضائلِ الأخلاقيّة.

الرّابعة: مَحْوُ الأنانيّة، والفناءُ في مُقابل عظَمة الحقّ. وفي هذه المرحلةِ ينقطعُ الإنسان عن التّعلّقات المادّيّة، من الأهلِ والأموالِ والأولاد واللّذّات، وتكونُ الشّهواتُ الماديّةُ والخَياليّةُ قد تغيّرتْ وتبدّلتْ إلى تعلّقٍ وارْتباطٍ روحيٍّ ومَعْنويٍّ. لكنّ الّذي يبقى هو التّعَلُّقُ بالذّاتِ والنّفس، وهذا التّعلّقُ متجَذِّرٌ وقويٌّ إلى حدٍّ كبيرٍ جدّاً، «ولشدّة ظهوره خَفِيَ». وتبقى مُلاحظةٌ واحدةٌ، وهي أنّ هدفَ السّالكِ في جميع هذه المراحل هو الوصولُ إلى لقاءِ الله عزّ وجلّ، وفي الواقعِ والباطنِ فإنّ كلَّ عَمَلٍ يكونُ قد أدّاه، هو لهُ ولِنَفْسِهِ.

وبعبارةٍ أخرى: كان يُريدُ الوصولَ إلى المقامات العُليا، والقُرب من الله تعالى، والحصول على الكمالات المعنويّة والرّوحيّة، وكلّ ذلك كان بدافعِ النّفس والذّات، ولم يكن لِلهدف الأصليّ، ولذلك فهو عندَ وصولِه لمثل هذا المَقام يفرحُ غايةَ الفرح، ولكنْ إذا وصلَ غيرُه إلى هذا المَقام، فَلن يكونَ فَرِحاً إلى هذا الحدّ، وهَهنا يجب أن تُحْذَفَ «الأنا» وتُنْسى، ويجبُ أن يكونَ المَحبوب للسّالك هو تجلّي الله سبحانه، ولكن ليس من خلالِ حُبّ الذّات. بعبارةٍ أوضح، يجبُ أن تُمْحى «الأنا»، وهي الحجابُ الأكبر، والمانِعُ الأقوى، وآخِرُ الحُجُبِ للوُصولِ إلى الله تعالى ولقائه.

ولإزالة هذا المانع، توجَدُ عدّةُ طُرُقٍ، منها:

١- **طريقُ التّوجُّهِ القلبيّ** إلى الله تعالى، والتّوحيد الذّاتيّ والصّفاتيّ والأفعاليّ، ومنه يَفهم أنّ (ما سوى الله سبحانه فانٍ لا يَبقى).

٢- **التّفكّرُ والاستدلال** للوقوفِ بوجهِ «الأنانيّة» وحجابِ النّفس، بمعنى أن يرى أنَّ اللهَ تعالى غَيْرُ مَحْدودٍ بِحَدٍّ، وهو الأَزَلِيُّ وَالحَقُّ المُطْلَقُ؛ والنّفسُ هي المَوْجودُ المَحْدودُ في كلّ شيء، وفي

> «الأنا»، هيَ الحجابُ الأكْبَرُ، وَالمانِعُ الأقوى، وَآخِرُ الحُجُبِ للوُصولِ إلى الله تَعالى وَلِقائه.

مُنْتَهى الضّعفِ والعَجْزِ والفَقْرِ والحاجَةِ إلى الله تَعالى، ومن دونِ المَدَدِ الإلهيِّ فَإنّها لا تَستطيعُ الصُّمودَ ولو لِلَحْظَةٍ واحِدَةٍ.

٣- **المُعالجة بالأضداد**، بمعنى أنّه كلّما أحسَّ بوجودِ «الأنا» في وَعْيِهِ، يُعالجُ هذا الموقفَ بالتّوجّه إلى الله والصّالحين من عباده، لكي يعيشَ في الحضورِ الدّائم مع الباري تعالى.

الخامسة [أي المرحلة الخامسة من المراحل المتقدّم ذِكرُها]: في هذه المرحلة يُصبحُ السّالكُ إنساناً مَلَكُوتيّاً، ويدخلُ في عالَمِ الجَبَروت! والقصدُ من الدّخول في مرحلة الجَبروت، هو أنّ الإنسانَ يصلُ إلى مرحلةٍ من الصّفاء والإخلاص، يكونُ فيها مُنْدَكّاً في ذاتِ الله تعالى، وله نفوذٌ وسُلْطةٌ على الأمور، فيتحرّكُ في أداء وظائفه الإلهيّة، وإرشادِ النّاس، والأمرِ بالمعروف والنّهي عن المنكر، من موقع المسؤوليّة والانضباط في خطّ الرّسالة، ويكونُ على بصيرةٍ كاملةٍ من أمره. وفي هذه المرحلةِ ينسى السّالكُ نفسَه، ويكونُ على علمٍ بكلّ المسائلِ والوظائف، والأحكامِ والآداب الشَّرْعِيَّةِ، وطُرُقِ السّير والسّلوك، ويكونُ تشخيصُه لِلأمراضِ والأدويةِ دقيقاً جدّاً، كالطّبيبِ الحاذِقِ الّذي يعرفُ الدّاءَ والدّواءَ، ويُشَخِّصُهُ جيّداً.

والجديرُ بالذّكر، أنّ آيةَ الله الملَكي التّبريزيّ قد اسْتَدَلَّ – في كتابه – على جميعِ هذه المطالب، بالآياتِ والرّواياتِ الإسلاميّة، كشاهِدٍ عَلى صِدْقِ مُدّعاه.

أركانُ الفَهم

وُجوبُ الالتزام بثلاثة: العقل والقلب والشّرع

العلامة السّيّد محمّد حسين الطّهرانيّ رحمه الله

من الألطاف الإلهيّة للإنسان، تلك القوى الإدراكيّة الّتي جَعلها الحقُّ سُبحانه مزيّةً له، تفضّله على سائر المخلوقات؛ وهي العَقلُ والقلبُ والكتابُ المُبين. وهذه الأركانُ الثّلاثة تُؤلّفُ مجتمعةً النّورَ الهادي لكلّ مخلوقٍ آدميٍّ، لكي يعرفَ نفسَه ويعرفَ خالقه، ويتدبّر أمرَ دُنياه وآخرته.

في هذا النّصّ للعالم الرّبّانيّ السّيّد محمّد حسين الطّهرانيّ قدّس سرّه، مُطالعةٌ قُرآنيّةٌ عرفانيّةٌ تُلقي الضّوءَ على مصادر الإدراك والفهم عند الإنسان، وقد اعتمدَ، رحمه الله، على الآيات الكريمة والرّوايات الشّريفة الّتي تُبيّنُ عنايةَ الله تعالى بهداية عباده، من خلال مَصدرَيْن رئيسَين هُما العقلُ والقلبُ.

وفي ما يأتي سياقُ النّصّ:

كلُّ إنسانٍ يَجدُ في نفسِه مَصدرَين للإدراكِ والفهم؛ الأوّل: هو العقلُ، والثّاني: هو القلبُ والوِجْدان.

فبالقوّةِ العاقلة يُدركُ الإنسانُ مَصالحَهُ ومَفاسِدَه، ويُميّزُ بينَ المَحبوبِ والمَكروهِ، والحَقِّ والباطِلِ؛ وبالقلبِ والوِجْدانِ اللّذَيْنِ يُمْكنُ تسميتُهما بالفِطرَةِ، أو الشُّعورِ الخَفيّ، أو الإدراكِ الخفّي، يتعرّفُ إلى الطّريقِ الّذي يربطُه بعالمِ الوِجْدانِ، وعلّةِ إيجادِه وإيجادِ العالم، وانجذابِه لمبدأِ المبادئِ وغايةِ الغايات.

وبالتّأكيد، فإنَّ هذَين العامِلَيْن المُهمَّين للإدراكِ مَوْجودان في كلّ إنسانٍ، ويؤدّي كلُّ واحدٍ منهما دَوْرَهُ في آفاقِ الإدراكِ والفهم الخاصّ؛ لا يستغني أحدهُما عن الآخر، وإذا فُقد واحدٌ أُغلقَ في وجهِ الإنسان عالَمٌ من المُدرَكات والمعلومات.

القوّةُ العاقلةُ في الآيات والرّوايات

هناك العديدُ من الآياتِ والرّوايات الّتي تتحدّثُ عن ضرورة القوّة العاقلة، وعدمِ استغناء الإنسان عنها؛ نكتفي هنا بذكر بعضِها كأمثلةٍ على الكلام:

*** في الآيات قولُه تعالى:**

١- ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنبياء:٦٧.

من المفترَض هنا أنّ المُشركين – في عبادتِهِمْ غَيْرَ اللهِ تعالى – يتبعون (ما يُمليه عليهم) القلبُ والوِجْدانُ [المنحرف]، وقد اعتبروا أنفسَهم مُرتبطين بالله، (لكن حقيقة) الأمر أنّهم قد انحرفوا وتزلزلوا بسببِ عدمِ ارتباطِهم، ولم يقدروا على التّشخيصِ والتّطبيق. وبسببِ ضيقِ تفكيرِهم اعتبروا (الإله) مُتجلّياً ومُقيّداً بأربابِ الأنواع خاصّة، ومَظاهرِها من الأصنام والأوثان.

٢- ﴿..صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة:١٧١.

لأنّهم لم يستخدموا القوّةَ العاقلة، وأصبحوا مثلَ مَنْ فَقَدَ حواسّ البَصر والسّمع والنُّطق.

٣- ﴿..أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس:٤٢.

٤- ﴿..فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. الزمر:١٧-١٨.

من الواضح أنَّ الاستماعَ للحديث، وتمييزَ حقِّه من باطلِه، وحُسنِه من قُبْحِه، من وظائفِ القُوى الفكريّة، ولهذا وصفَتهم الآيةُ بأنّهم أصحابُ العقولِ والألباب.

٥- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة:١٧١.

وذلك لأنَّ الكُفّارَ قد اختاروا ديانتَهم على أساسِ غرائزِهم واتّبعوها، حتّى وإنْ كانت عبادةً للأصنام، ولكن لأنّهم لم يَستمِدّوا من قواهم العقليّة، فإنَّ تلكَ الغرائزَ والأحاسيسَ الباطنيّةَ كانت تَحرفُهم دائماً إلى الخَيالاتِ الواهية والأوهامِ الفاسدة. إضافةً إلى أنّهم لم يَلتصِقوا بقواهم الوِجْدانيّة.

فأصبحَ مَثَلُهم كالّذي لا يُدركُ من الحديث إلّا الصّوتَ المُنبعث، فهم لا يسمعونَ من كلامِ الحقّ وحديثِ التّوحيدِ إلّا بعضَ المفاهيم، لكنّهم لا يُدركون الحقائق، وهي لا تستقرُّ في أنْفُسِهم. لذلك كانوا صُمّاً وعُمْياً وبُكْماً لا يعقلون أبداً.

* وأمّا في الرّوايات:

١- في (الكافي): عن الإمامِ الصّادق عليه السلام، قال: «**قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ كَثِيرَ الصَّلاةِ كَثِيرَ الصِّيَامِ فَلا تُبَاهُوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ عَقْلُهُ**».

٢- وفي (الكافي): عن أبي عَبْدِ الله الصّادق عليه السلام: «**دِعَامَةُ الإِنْسانِ العَقْلُ**».

٣- وفيه أيضاً، عنه عليه السّلام: «**العَقْلُ دَلِيلُ الْمُؤْمِنِ**».

القلبُ والوِجْدانُ في الآيات والرّوايات

وحول ضرورةِ القلبِ والوِجْدانِ وعدمِ الاستغناءِ عنهما، وردتْ آياتٌ وروايات عديدة:

* ففي الآيات قولُه تعالى:

١- ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج:٤٦.

فظاهِرُ الخطابِ مُوَجّهٌ إلى أولئك الّذين يَملكونَ عقولًا وشعوراً، ولكن بسبب اتّباعِ أهواءِ النّفسِ الأمّارةِ أَعْمَوْا بَصيرتَهُم، إذ جعلوا وجدانَهم تحت حُجُبِ المعاصي والذّنوبِ الباطنة.

٢- ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ النّمل:٨٠.

فاللهُ تعالى يُشَبِّهُ الّذين أفسدوا وِجدانَهم ونورَ باطنِهم بالمَوْتى، بل إنَّه يعدّهم موتى بالحقيقة، وهم صُمٌّ يهربون دائماً، ولا يستقرُّ كلامُ الحقّ في آذانهم، ولا يؤثّرُ فيهم أبداً.

٣- ﴿ ..إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ فاطر:٢٢.

٤- ﴿ ..قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ الممتحنة:١٣.

٥- ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ..﴾ الرّعد:١٩.

ففي هذه الآيات، يصفُ اللهُ، سبحانه وتعالى، أُولئك الّذين أَخمدوا نورَ باطنِهم وأغلقوا في وُجوهِهم سبيلَ الآخرة، بأنّهم كالأمواتِ الّذين حلّوا في القبور، أو كالعُمْيِ. وهذه الآياتُ تشيرُ إلى اختفاءِ نورِ القلب، ولا تقصدُ عدمَ اتّباعِ القوّةِ العقليّة والفكريّة.

* **أمّا الرّوايات** الّتي تتحدّث عن هذا الأمر، فهي فوق طَور الإحصاء، وإنّما نذكر هنا بعضاً منها كأمثلةٍ على المطلب:

١- رُوي في (الكافي): عن الإمام الصّادق عليه السلام، في قولِ الله تعالى: ﴿ ..فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ..﴾ الرّوم:٣٠. قال: «**فَطَرَهُمْ على التَّوْحيدِ**».

٢- وأيضاً في (الكافي): عن الإمام الصّادق عليه السلام، في قوله عزّ وجلّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ..﴾ الفتح:٤، قال: «**هُوَ الإيمانُ**». وفي قوله تعالى: ﴿ ..وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ..﴾ المجادلة:٢٢، قال: «**هُوَ الإيمَانُ**». وفي قوله سبحانه: ﴿ ..وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ..﴾ الفتح:٢٦، قال عليه السّلام: «**هُوَ الإيمانُ**».

٣- وفيه أيضاً، عن الإمام الصّادق عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ ..حَنِيفًا مُّسْلِمًا ..﴾ آل عمران:٦٧، قال: «**خَالِصاً مُخْلِصاً لَيْسَ فيهِ شَيْءٌ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثانِ**».

> **التّفكيرُ العقليُّ يؤدّي إلى تَوازُنِ الأحاسيس، ويحولُ دون نزَعات الخيال الواهية، ومن دونه ينحرفُ الشّهودُ عن مسيرِه الصّحيح.**

ويُلاحَظ في هذه الرّوايات أنَّ جلاءَ القلب من الصَّدَأ وأكدارِ الطّبيعة والأهواء، وأنّ الإيمانَ بالله والفطرة التّوحيديّة، هي ذلك النّورُ الباطنيُّ الّذي هو منبَعُ إدراكِ القلب، واتّجاهُ الوِجْدانِ إلى عوالمِ المَلكوتِ والجَبروتِ واللّاهوت.

من مجموع ما ذُكر، يُستفادُ أنَّ كِلا المَصدرَين للإدراك مَوْجودان في الإنسان، وهو لا ينفكّ عنهما، وهما مصدرُ التّفكُّرِ العقليّ، ومصدرُ الأحاسيسِ والعواطفِ والشّهودِ القلبيّ والوِجْدانيّ.

فالشّهودُ القلبيُّ يؤدّي إلى الإيمانِ وإخراجِ الإنسانِ من حقيقته وواقعِه [الدّنيويّين] وربطِه بذات الباري، تعالى شأنه؛ وبدونه لن يحصلَ للإنسانِ أيُّ خضوعٍ أو خشوع، ولو بآلافِ الضّروبِ من التّفكّراتِ العقليّة والفلسفيّة والذّهنيّة، بل يُمكن أن يقعَ التّزلزلُ الرّوحيُّ والوِجْدانيُّ بعد سلسلةٍ من الاستدلالاتِ «الصّحيحة» القائمةِ على أساسِ البرهان «الصّحيح» والقياسِ المنطقيّ؛ ولن تُوصلَ الإنسانَ إلى عالمِ السّكينة والطّمأنينة.

الاعْتِدالُ بالعَقْلِ والشَّرْعِ

التّفكيرُ العقليُّ يؤدّي إلى تعادلِ العواطفِ والأحاسيسِ الباطنيّة، وتوازنِها، ويقفُ مقابلَ الميولِ والنّزعات الوهميّة الخياليّة الواهية، ويسيرُ بذلك الشّهود والوجْدانِ في الطّريق الصّحيح.

فإذا لم يكنْ هناك تفكّرٌ عقليٌّ، لَانْحَرَفَ ذلك الشّهودُ عن مسيرِه الصّحيح، ولَآمنَ بالمَوْهومات والخَيالات، ولَانجذبَ القلبُ عند أدنى مواجهةٍ إلى ما يجذبُه، مُبْتَلِياً بذلك بشكلٍ دائم.

وممّا ذُكر، يمكنُ أن نُدركَ جيّداً محلَّ النّزاعِ بين العقلِ والعشق، وتقدُّم كلٍّ منهما على الآخر، حيث إنَّ أصلَ هذا النّزاعِ لا موردَ له؛ فإنَّ دَوْرَ العشقِ مُنفصلٌ عن دورِ العقلِ ومُتميّزٌ عنه، وكلّ واحدٍ قد جُعِلَ في قناةٍ خاصّةٍ مُختصّةٍ به، وكِلاهُما ضَروريّان للإنسان، فإذا أَعْملَ أحدَهُما وتركَ الآخَرَ أو أهْملَه، وقعَ في الخطأ والاشتباه.

وقد حثَّ الشّرعُ كذلك على المَوْضوعَيْن، وقوّى كلَّ واحدٍ منهما، لأنَّ كُلّاً من العقل والقلب والشّرع ينطقُ عن حقيقةٍ وواقعيّةٍ واحدة، فهم ثلاثةُ تراجمَ لمعنًى واحد.

وبناءً على هذا، فَمِنَ المُستحيلِ أن يكونَ حكمُ الشّرعِ مُخالفاً لحُكمِ العقلِ والفِطرة؛ أو حُكْمُ العقلِ مُخالفاً لحُكمِ الفطرةِ والشّرع، أو حُكمُ الفطرةِ مُخالفاً لحكمِ العقلِ والشَّرع. فهذه الأُمورُ الثّلاثةُ مُتّصلةٌ كالسّلسلةِ الواحدة، الّتي تحفظُ كلُّ حَلَقةٍ منها الأخرى، وتَسْعى إلى تثبيتِها.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ..﴾ الشّورى:١٣.

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا..﴾ المائدة:٤٨.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الجاثية:١٨.

وروى في (الكافي): مرفوعاً عن هشام بن الحكم أنّه قال: «قَالَ لِي أبو الحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلامُ؛ إلى أن قال: **يَا هِشَامُ! إِنَّ للهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْن؛ حُجَّةً ظَاهِرَةً وَحُجَّةً بَاطِنَةً؛ فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالأنبِيَاءُ وَالأَئِمَّةُ عَلَيْهِمْ السَّلامُ؛ وَأَمَّا البَاطِنَةُ فَالعُقُولُ**».

وأيضاً في (الكافي): «قَالَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ: **مَنِ اسْتَحْكَمَتْ لِي فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الخَيْرِ، احْتملْتُهُ عَلَيْهَا وَاغْتَفَرْتُ فَقْدَ مَا سِوَاهَا، وَلَا أَغْتَفِرُ فَقْدَ عَقْلٍ وَلَا دِينٍ؛ لأَنَّ مُفَارَقَةَ الدِّينِ مُفَارَقَةُ الأَمْنِ، فَلَا يَتَهَنَّأُ بِحَيَاةٍ مَعَ مَخَافَةٍ، وَفَقْدُ الْعَقْلِ فَقْدُ الْحَيَاةِ وَلَا يُقَاسُ إِلَّا بِالأَمْوَاتِ**». [يُلاحَظ هنا، أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يُثني على كمال العقل، والثّبات في الدّين، وترسيخ الإيمان القلبيّ].

أجل، فقد جرى التّأكيدُ في آيات القرآن الكريم وأخبار المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، على المواضيع الثّلاثة من تَقْوِيَةِ العقل، وتقوية القلب، وضرورة اتّباع الشّرع. ونَجِدُ في الأدعيةِ والمناجاة طلباً دائماً لتقوية هذه الأُمور، بالاستمداد من الذّات الأقدسيّة للحضرة الأحديّة.

يقولُ أميرُ المؤمنين عليه السلام ضمنَ أدعيته الواردة في (نهج البلاغة): «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلا سَقِيماً، وَلا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي ولا مَقْطُوعاً دَابِرِي، وَلا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي ولا مُنْكِراً لِرَبِّي، ولا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي ولا مُلْتَبِساً عَقْلِي، ولا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الأُمَمِ مِنْ قَبْلِي..**».

طَابَقَ صُنْعُكَ مَا فَطَرْتَ عَلَيْهِ العُقُولَ

في تَطابُقِ المَراحل الثّلاثة: الفطرة، والعقل، والشّرع، وردَ في إذنِ دخول السّرداب المقدّس لإمام العصر أرواحنا فداه، وسائر الأئمّة المعصومين، الذي نقلَه المرحوم المجلسيّ، رضوان الله عليه، من النّسخة القديمة لمؤلّفات الأصحاب، والذي أوّله: «**أَللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ بُقعَةٌ طَهَّرْتَها وَعَقْوَةٌ** [السّاحة] **شَرَّفْتَها**..»...وردَ فيه:

«..**فَسُبْحَانَكَ مِنْ إِلهٍ مَا أَرْأَفَكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مِن مَلِكٍ مَا أَعْدَلَكَ؛ حَيثُ طَابَقَ صُنْعُكَ مَا فَطَرْتَ عَلَيْهِ العُقُولَ، وَوَافَقَ حُكْمُكَ مَا قَرَّرْتَهُ فِي المَعْقُولِ وَالمَنْقُولِ**..».

(هامش الشّمس السّاطعة: ص ١٢١)

الإمام عليّ عليه السلام: «كانَ لي، كما كنتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله»

مالكُ بن الحارث الأَشْتَر النَّخْعيّ المَذْحِجيّ

«..على مِثل مالكٍ فلْتَبكِ البواكي»

*** من التّابعين بإحسان، ومن طليعة المجاهدين في فتوح الشّام والعراق وفارس، وله المواقف المشهودة فيها.**
*** شهدَ تمصيرَ الكوفة، وغدا زعيمَ قومه المَذْحِجيّين فيها، ثمّ رأسَ المعترضين على الانحراف في السُّلطة.**
*** يمينُ أمير المؤمنين عليه السلام في الحرب والسّلم، ولّاه على الجزيرة، وكان قائدَ جيشه في «الجمل» و«صفّين».**
*** عهد إليه أميرُ المؤمنين عليه السلام بولاية مصر، ولكنّه استُشهد قبلَ أن يبلغها، فعدَّ الأميرُ عليه السلام موتَه «من مصائب الدّهر».**

* هو مالكُ بن الحارثِ النّخعيّ المَذْحِجيّ، وُلد في اليمن ونشأ بها، لم يضبط التّاريخُ عامَ ولادته، ولكن تُفيد القرائن أنّه ربّما وُلد في السّنة العشرين قبل الهجرة، أو يزيد قليلاً، باعتبار أنّه لمّا قدم إلى المدينة، في حدود السّنة الثّانية عشرة من الهجرة، كان من الفرسان ذَوي المكانة في قومه.

* كُنيته أبو إبراهيم، وابنُه إبراهيم أحدُ أركان حركة المختار الثّقفيّ، الّذي أخذ بالثّأر من قَتَلة سيّد الشّهداء عليه السلام.

* لقبُه «الأَشْتَر»، يعني «مَن انقلبَ جفنُ عينِه ولم يعد قادراً على إطباقه»، وحصل معه ذلك إثر جراحةٍ أُصيبَ بها في معركة «اليرموك».

مجاهدٌ طليعيّ

كان مالكُ الأشتر واحداً ممّن أسلموا من دون أنْ يَروا النّبيّ صلى الله عليه وآله أو يسمعوا حديثَه، وبُعَيد وفاته صلى الله عليه وآله هاجر من بلده في اليمن إلى المدينة على وَقع حركة الفتح الّتي انطلقت آنذاك.

وقد كان من اليمانيّين الّذين شكّلوا ما يزيدُ على نصف الجيش الّذي خرج سنة ١٣ للهجرة، قاصداً العراق لمحاربة السّاسانيّين، ثمّ عاد مع فرقةٍ من الجيش الإسلاميّ إلى الشّام لمقاتلة الرّوم، حيث ظهر اسمُه لأوّل مرّة في نصٍّ ينقله ابن عساكر، ويبيّن شجاعتَه ومبادرتَه في الحرب: «فلمّا انتهوا إلى تلك الجماعة من الرّوم، وأقبلوا يرمونهم بالحجارة من فوقهم، تقدّم إليهم الأشتر وهو في رجالٍ من المسلمين، فإذا أمامَهم رجل من الرّوم عظيمُ الجسم، فمضى [الأشتر] إليه حتّى وقفَ عليه، فاستوى هو والرّوميّ على صخرةٍ مستويةٍ فاضطربا بسيفَيهما، فأطرّ الأشتر كفَّ الرّوميّ..»، ثمّ قَتَلَه.

مسير جيش الإمام علي عليه السلام من الكوفة (الخط الأخضر)، وجيش معاوية من دمشق (الخط الأحمر)، والتقاؤهما في صِفّين، قريباً من الرّقّة بالشّام

أمّا مشاركتُه في معركة «اليرموك» ضدّ الروم أيضاً، فمعلومة في التّواريخ، وقد أبلى فيها أحسن البلاء كما ينقل ابنُ عساكر: «وكان الأشتر الأحسنَ في اليرموك، قالوا: لقد قتل ثلاثة عشر». وقد شُتِرت فيها عينُه كما مرّ.

مالك في الكوفة

في أوائل سنة ١٥ للهجرة، غادر مالكٌ الشّام متّجهاً إلى العراق مع فريقٍ من عسكر المسلمين مدداً للجيش الّذي كان معسكِراً في القادسيّة استعداداً للمعركة الكبرى المترقّبة مع الفرس، ولكن لم تنقل المصادر تفاصيل عن مشاركته في معركة «القادسيّة». يقول الشّيخ جعفر المهاجر في كتابه (مالك الأشتر سيرته ومقامه في بعلبك)، أنّ مالكاً شهدَ في السّنتَين التّاليتَين لعوده إلى العراق، المعاركَ المتوالية الّتي أنهت آخر وجودٍ للدّولة السّاسانيّة في العراق، وأنّه شهد تمصيرَ الكوفة، سنة ١٧، حيث كان لقومه النّخْع مكانٌ مناسبٌ في تخطيط المدينة الجديدة، ومع تمصيرها ألقى عصا التّرحال، واستقرّ فيها مع بني قومه.

موقفه من الانحراف في السّلطة

عاش مالك الأشتر، رضوان الله عليه، في الكوفة بُعيد الفتوح في الشّام والعراق عيشةً مستقرّة، وكان من وجوه أهلها وسيّداً من ساداتها، وقد اتّجه اتّجاهاً تعبّديّاً؛ فكان من جملة الّذين عُرفوا بالقرّاء، يعلّمون النّاس القرآن، واستمرّت الأمور على هذه الحال إلى أن بدأت تظهر آثارُ سياسات استئثار البيت الأمويّ بمقدّرات المسلمين، واستهتارهم بالشّعائر الدّينيّة، من ذلك أنّ أخا عثمان بن عفّان لأمّه، وهو الوليد بن عقبة، كان والياً على الكوفة، فاستفزّ هذا الأمرُ أهلَها لِما كان يُعرف من فسق الوليد وتجاهره بالحرام. وقد بلغ من استهتار الوليد أنّه أخّر صلاة الصّبح يوماً، ومرّةً أخرى صلّى بالنّاس وهو سكران، فكان مالك من الّذين اعترَضوا على سلوكه، ومن الّذين توجّهوا إلى المدينة لرفع الشّكوى وتقديم البيّنات على انحرافه، ما أدّى إلى عزله وتعيين سعيد بن العاص – الأمويّ أيضاً – مكانه.

ولم تمضِ فترة طويلة حتّى أظهر سعيد بن العاص مكنوناتِ نفسه المعبّرة عن نزعة الاستئثار بالسّلطة؛ ففي مجلسٍ ضمّه ومالكاً الأشتر وآخرين، قال سعيد: «إنّما السّوادُ بستانُ قريش»، يقصد أنّ أرض العراق مُلْك لعائلته يفعلون فيها ما يشاؤون، فاستفزّ هذا القولُ الأشتر، فردّ على الوالي بقوله: «أتَجعلُ مراكزَ رماحِنا، وما أفاء اللهُ علينا بستاناً لكَ ولقومك؟ والله لو رامه أحدٌ لقُرع قرعاً يَتَصأْصَأُ منه [أي يُذلّ]». ثمّ قام أصحابُ مالك بضرب صاحبِ الشّرطة الّذي دافع عن مقولة الوالي.

نفيُه إلى الشّام

كانت هذه الحادثة أوّلَ تصادمٍ بين الوالي الأمويّ الجديد وأهل الكوفة، الّذين عبّر عنهم مالك بتلك الجرأة والحزم. فما كان من سعيد بن العاص إلّا أن كتب إلى عثمان شاكياً الأشتر وأصحابه يقول: «إنّي لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الّذين يُدعَون القرّاء – وهم السّفهاء – شيئاً». فأتى الجواب بنفي الأشتر وأصحابه إلى الشّام، وكتب عثمان إلى الأشتر بالخصوص يقول له: «إنّي لأَراكَ تُضمر شيئاً لو أظهرتَه لحلّ دمُك، وما أظنّك منتهياً حتّى تصيبَك قارعةٌ لا بُقيا بعدها، فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ إلى الشّام لإفسادك مَن قِبَلك».

وهكذا فقد نُفي الأشتر إلى الشّام، ونُفي معه عددٌ من أبرز سادة الكوفة، منهم: كميلُ بن زياد، والحارثُ الهمدانيّ، وزيد بن صوحان الأزديّ وآخرون، ممّا أثار حالةً عامّةً من الاستنكار والغضب في الكوفة، تمثّلت في كتابٍ أرسله جمعٌ من وجهائها إلى عثمان، منهم حجر بن عديّ، وعمرو بن الحمق، وسليمان بن صُرد، جاء فيه: «إنّ سعيداً [بن العاص] أكثرَ على قومٍ من أهل الوَرَع والفضل والعفاف، فحمّلكَ في أمرهم ما لا يحلّ في دينٍ، ولا يحسُن في سماعٍ، وإنّا نذكّرك الله في أمّة محمّدٍ ﷺ فقد خفنا أنْ يكون فسادُ أمرِهم على يدَيك، لأنّك قد حملْتَ بني أبيك [الأمويّين] على رقابهم، واعلم أنّ لك ناصراً ظالماً، وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نصرَك الظّالم ونقمَ عليك النّاقم تباينَ الفريقان، واختلفتِ الكلمة..».

ولمّا بلغ معاويةَ أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشترَ وأصحابه أحسّ بالخطر، فكتبَ إلى عثمان يقول: «إنّك بعثْتَ إليّ قوماً أفسدوا مِصرَهم وأنغلوه، ولا آمَنُ أن يُفسدوا طاعةَ مَن قِبَلي، ويعلّموهم ما لا يُحسنونه، حتّى تعودَ سلامتُهم غائلةً، واستقامتهم اعوجاجاً». فكتب إليه عثمان أن يسيّرهم، أي مالكاً وأصحابه، إلى حمص، ففعل.

وحين دبّ الخلاف والاختلاف بين المسلمين، بسبب مخالفة البعض لتعاليم القرآن الكريم وسنّة النّبيّ الأمين ﷺ لم يَسَع الأشترَ السّكوتُ وقد كُسِر ضلع عبدالله بن مسعود الصّحابيّ الجليل، وأُخرج بالضّرب من المسجد النّبويّ، ونال عمّارُ بن ياسر من العنف والضّرب ما ناله، وهو الصّحابيّ الشّهمُ المخلصُ المضحّي، ولَقِيَ أبو ذرّ ما لَقِيَ من النّفي والتّشريد وقطعِ عطائه، وهو الّذي مُدح مدحاً جليلاً على لسان رسول الله ﷺ.

فسار مالكُ الأشتر في مائتي رجلٍ، وفيهم كثيرٌ من الصّحابة الأتقياء والتّابعين بإحسان، فعرضوا على عثمان مطالبهم ومعارضتهم لهذه الانتهاكات الواضحة، إلّا أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أرجعَهم وأمرَهم بالصّبر؛ توقّياً من الفتنة، وحفظاً لدماء المسلمين مِن أنْ تُراق، بل حفاظاً على الإسلام من ارتداد النّاس عنه. فلمّا رجع المعترضون، أمسكوا في الطّريق بغلامٍ معه كتابٌ من عثمان يأمر فيه عامله بالتّنكيل ببعض المعترضين، وحَبْسِ بعضهم، وقتل البعض الآخر، فغضبوا ورجعوا إلى المدينة وحاصروا دار الحكومة، ومِن هناك سَرَت نيرانُ الثّورة، فكان ما كان.

الأشتر في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

يظهر أنّ أوّل معرفة لمالك بأمير المؤمنين عليه السلام كانت عندما حضر إلى المدينة في ظروف نقمة المسلمين على عثمان. فلمّا قُتل هذا الأخير، وراح النّاسُ يتثالون على أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام لمبايعته، كان مالك في طليعتِهم، وأوّلَ مَن بايعَ وصيَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ اختار ملازمتَه والعيشَ في ظلِّه صلوات الله عليه.

وحينما دبّت «فتنة الجَمل»، واضطُرّ الإمام عليّ عليه السلام لمواجهةِ هذا الانقلاب، جاء الأشتر إلى الإمام يستأذن في أن يتقدّمه إلى الكوفة لحشد النّاس، فأذِنَ له، فأقبل حتّى دخلَها، فوجد واليَها أبا موسى الأشعريّ – الّذي عُيّن خلَفاً لسعيد بن العاص- يخطبُ في النّاس يثبّطهم عن الخروج، فجعلَ الأشترُ لا يمرّ بجماعةٍ من النّاس إلّا دعاهم قائلاً: «اِتبعوني إلى القصر»، فدخلَ قصر الإمارة، وأَخرَج منه جماعة الأشعريّ.

ونزل الإمامُ عليه السلام منطقة «ذي قار» بمَن جاء معه من الحجاز، والتَحقت به الجموعُ القادمةُ من الكوفة ممّن استنفرهم مالك، فجعلَه الإمامُ على مَيمَنة جيشِه، وسار بهم الى البصرة.

دارت الحرب بين الطّرفَين وسقط فيها آلاف القتلى، وانهزم معسكرُ النّاكثين، وقد برزَ فيها دور الأشتر حينما تقدّم الى «الجمل الفتنة»، قاصداً عبد الله بن الزّبير الّذي كان يُمسك بخطامه، باعتبار أنّه رأسُ الفتنة ومَن أكرَه عائشة على الخروج، فضربه الأشترُ على رأسه فجرحَه، ثمّ نزلا عن فرسَيهما واعتركا، إلى أن خلّص ابنَ الزّبير أصحابُه، بعدما سمعوه يستغيث: «اقتلوني ومالكاً».

الأشتر في «صفّين»

بعد واقعة «الجمل»، دانتِ الأقطار لأمير المؤمنين عليه السلام، وبايعَه أهلُ البصرة، وأهلُ مصر والبلدانُ الّتي فُتحت في فارس، إضافةً إلى الحجاز حيث كانت قد تمّت له البيعة أوّلاً، إلّا معاوية بن أبي سفيان الّذي كان والياً على الشّام مِن قِبَل عثمان، فإنّه قد أبى البيعةَ متذرّعاً بفِريَة الاقتصاص من قَتَلة عثمان، فقرّر الإمامُ المسيرَ الى الشّام لقتال معاوية. وعندما وصل إلى الرّقّة، وجد أنّ أهلَها قد فكّكوا الجسرَ المنصوبَ على نهر الفرات، قاصدين إعاقة تقدّم جيش الإمام وعبوره إلى الجانب الشّاميّ من النّهر، وأبَوا إعادته، فناداهم الأشتر – كما في (وقعة صفّين) للمنقريّ – قائلاً:

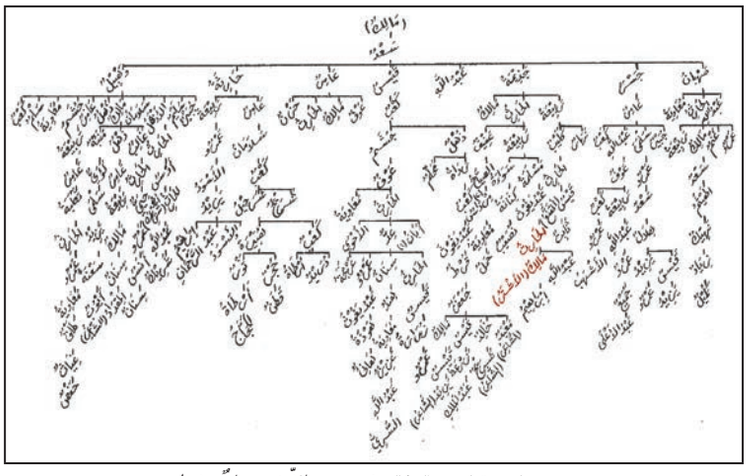

شجرة نسب قبيلة مذحج، و «النّخع» بطنٌ منها

«يا أهلَ هذا الحصن! إنّي أُقسمُ بالله، لَئِن مضى أميرُ المؤمنين ولم تجسّروا له عند مدينتِكم حتّى يعبرَ منها لأُجرّدنّ فيكم السّيف، ولأقتلنّ مقاتلتَكم، ولأخرّبنّ أرضَكم، ولآخذنّ أموالَكم. فَلَقِيَ بعضُهم بعضاً، فقالوا: إنّ الأشتر يَفي بما يقول، وإنّ علياً خلّفه علينا ليأتينا منه الشّرّ. فبَعثوا إليه: إنّا ناصبون لكم جسراً فأقبلوا. فأرسل الأشترُ إلى عليٍّ فجاء، ونَصبوا له الجسر، فعبر الأثقال والرّجال، ثمّ أمرَ الأشترَ فوقفَ في ثلاثة آلاف فارس، حتّى لم يبقَ أحدٌ من النّاس إلّا عَبَر، ثمّ إنّه عَبَر آخر النّاس راجلاً».

ولمّا اشتعلتِ الحرب بين الشّاميّين والعراقيّين، كان للأشتر وقومه النّخْع اليدُ الطّولى فيها، ففي المرحلة الأولى الّتي اقتصرت على المبارزة بين أفرادٍ من الجيشَين، بارز الأشترُ ثمانية من فرسان أهل الشّام، وأرداهم واحداً بعد واحد.

ولمّا اصطفّ العسكران بالكامل وبدأ القتال، كان الأشتر أوّلَ مَن خرج بخيلِه من أهل الكوفة، ودارت الحرب أيّاماً طويلة أبلى فيها الأشترُ البلاءَ الحَسَن.

وفي يوم الجمعة السّابع عشر من شهر صفر، سنة ٣٧ للهجرة، وهو صباحُ «ليلة الهرير» الّتي لم يكفّ فيها النّاسُ عن القتال، كان أمير المؤمنين في قلب الجيش، والأشتر على المَيمَنة، فراح يزحف بها ويقول لأصحابه الّذين أرهقَهم طولُ القتال: «ازحفوا قيدَ هذا الرّمح»، ويزحف بهم، فإنْ هم فعلوا، قال: «ازحفوا قيد هذا القوس»، حتّى ملّ النّاسُ وبلغ بهم التّعب، فدعا بفرسِه وتركَ الرّايةَ مع أحد فرسان مَذْحج، وخرجَ يسيرُ بين الكتائب وينادي: «مَن يشتري نفسه مِن الله عزّ وجلّ حتّى يَظهرَ أو يَلحقَ بالله؟».

وسارتِ الأمورُ على هذا النّحو حتّى كاد جيشُ الإمام يحقّقُ النّصرَ المبين، وهنا ظهرت خدعةُ رفع المصاحف الّتي انطلتْ على

المغفّلين في عَسكر العراق، فهدّدوا بقتال الإمام أو القبول بإيقاف الحرب، فأمَر الإمام عليه السلام مالكاً بالرُّجوع من المعركة، بعد أن كان على وشك الوصول إلى خيمة معاوية.

فأقبل الأشتر، فصاح بهؤلاء الّذين عُرفوا بـ «الخوارجَ» فيما بعد: «يا أهل الذُّلّ والوَهَن، أحينَ عَلَوْتم القومَ فظنّوا أنّكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يَدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمَرَ اللهُ فيها وسُنَّةَ مَن أُنزِلت عليه، فلا تجيبوهم..»، ولمّا لم يسمعوا له وأصرُّوا على وقف القتال، قال لهم: «خُدِعتم والله فانخَدَعتُم، ودعيتُم إلى وضعِ الحرب فأَجبْتُم، يا أصحابَ الجباهِ السُّود، كنّا نظنّ صلاتَكم زهادةً في الدّنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى فرارَكم إلّا إلى الدّنيا من الموت. ألا فَقُبْحَاً..».

وبعد انتهاء معركة صفّين، وما أعقبَ التّحكيم، عاد مالكُ الأشتر إلى عملِه بالجزيرة، وما تحتَ سلطانه من أرض العراق، والّتي كانت في غاية الأهمّيّة لِقُربها من حدود الشّام، وقد ضبطَها ضبطاً محكماً.

ولايتُه على مصر

استطاع معاوية وعمرو بن العاص أن يُثيرا الشّغب ويخلقا المتاعب في مصر لوالي الإمام محمّد بن أبي بكر، وخطّطا لِقتله، تمهيداً لاحتلالها. فلمّا علمُ الإمام عليّ عليه السلام بذلك، كتبَ إلى مالك الأشتر وهو في نَصِيبين بالجزيرة: «..**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ، وأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ، وقد كنتُ ولّيتُ محمّدَ بنَ أبي بكر مصر، فخَرَجَت عليه الخوارجُ، فأقدِم عليّ للنّظر في ما ينبغي، واستَخْلِف على عملِك أهلَ الثّقة والنّصيحة من أصحابك، والسّلام**».

وأتبعَ الأميرُ صلوات الله عليه كتابَه هذا، بآخر إلى أهل مصر، قال فيه: «..**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، ولَا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ وأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ** «..» **وقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ**..».

وقد حمّل الإمام عليه السلام مالكاً عهداً هو من أجمع ما جاءَ في كُتبه عليه السلام، لوجوه السّياسة المدنيّة والإداريّة فيها، أثبتَه الشّريفُ الرّضيّ في (نهج البلاغة).

وفاته ومدفنه

خرج مالك الأشتر من الكوفة قاصداً مصر يحملُ عهدَ ولايتها، ومن ذلك الحين انقطعت أخبارُه، وما وصلَ هو رواياتٌ متضاربةٌ تحملُ مضموناً واحداً، هو أنّه حينما وَصل إلى القُلزم [مدينة السّويس في مصر] على البحر الأحمر، قام أحدُهم بأمرٍ من معاوية بدَسّ السُّمّ له في شربةٍ من عسل، فمات من حينه. وللشّيخ جعفر المهاجر في كتابه (مالك الأشتر، سيرته ومقامه في بعلبك) دراسة نقديّة لروايات موت مالك في القلزم، حيث يرجِّح أنّها وُضعت بأمرٍ من معاوية أو أجهزته بهدف التّضليل عن حقيقة ما جرى لمالك، ويرى الشّيخ المهاجر أنّ مالكاً رضوان الله عليه، لم يصل إلى تلك البلاد أبداً، مستفيداً من «قرائن قويّة» على وجود قبرٍ لمالك في الجهة الشّماليّة من مدينة بعلبك، في لبنان. في المقابل، هناك آراء تؤكّد أنّ مالكاً استُشهد في مصر، مستدلّةً بروايات تاريخيّة، ومدعّمة أقوالَها بوجود قبرٍ يُنسَب إلى مالك الأشتر بمنطقة المرج بالقاهرة، يُعرَف بقبر «الشّيخ العجميّ»، أو «السّيّد العجميّ»، تمّ تجديدُ بنائه في السّنوات الأخيرة، وصُوَره منشورةٌ ومتداولة.

مدخل ضريح مالك الأشتر في مصر

أمّا أمير المؤمنين سلام الله عليه، فلمّا بلغه نبأُ استشهاد مالك، استرجع وبدا عليه الحزن والألم، وقال، في جملة ما قال ناعياً إيّاه:

- «**إنّا لله وإنّا إليه رَاجعون، والحمدُ لله ربِّ العالَمين، أللّهمّ إنّي أحتَسِبُهُ عِنْدَكَ، فَإِنَّ مَوتَه مِن مَصائبِ الدَّهْر**».

- «**لله دَرُّ مالك! وما مالك؟! لو كان جَبَلاً لكان فِنْداً** [المنفرد من الجبال]، **ولو كان حجَراً لكان صَلْداً، أمَا والله لَيهُدّنّ موتُك عالَماً، ولَيُفرِحَنّ عالَماً، على مِثل مالكٍ فلْتَبكِ البواكي**».

- وقال عليه السّلام: «**رَحِمَ اللهُ مَالِكاً، فَلَقَد كانَ لِي كَما كنتُ لِرسولِ الله صلّى الله عليه وآله**».

المحبّة أساسُ البناء الاجتماعيّ

د. أليس كوراني

المحبّة نهرٌ فيّاضٌ يَسقي الحياة، فتنبت حبّاً ووفاءً وتعاضداً، فلا تستطيع رياح البُغض والكراهيّة شيئاً أمام أشجار المحبّة، فلا غرابةَ أنّ يشدّد رسول الله ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام على المحبّة والمودّة بين النّاس، ومقولة الإمام الباقر عليه السلام: «**الدّينُ هو الحبّ، والحبُّ هو الدّين**» تلخّص أنّ جوهر الدّين هو المحبّة وحبّ الآخرين، والأمر نفسه أكدّه الإمام جعفر الصّادق عليه السلام بقوله: «**هل الدّينُ إلّا الحبّ؟!**».

فَحُبُّ مَن حولنا - بما فيهم الفقراء والمساكين - ومساعدتهم والمودّة إليهم هدف إنسانيّ نبيل عبّد طريقَه الأنبياء والأوصياء والمصلحون، فكان رسول الله ﷺ، يقول: «**أمرَني ربّي بحبّ المَساكين المسلمين..**»، وعُدّ الذين نحبّهم أقرباء وإن لم تكن هناك رابطة دم، وتأكيداً على ذلك وردت عن الإمام عليّ عليه السّلام جملةٌ من الأحاديث، وكلّها تُظهر علاقة الإنسان بمَن يحبّه كأنّه قريبه، منها قولُه عليه السّلام: «**المودّةُ نَسَب**». و«**المودّةُ إحدى القرابتَين**». أمّا الإمام الحسن عليه السلام فقال: «**القريبُ مَن قرّبتْه المودّة وإنْ بَعُدَ نَسَبُه...**».

وبالمحبّة يتعاضدُ أفراد المجتمع الواحد، ويساندُ بعضهم بعضاً، من هنا كان البادىء بمحبّة النّاس ومودتّهم أقربهم إلى الله تعالى، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أفضلُ النّاس منّةً مَن بدأ بالمودّة**»، وقال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: «**رَحِمَ اللهُ عبداً اجترّ مودّةَ النّاسِ إلى نفسِه، فحدّثهم بما يعرفون، وتركَ ما يُنكرون**».

وقد يتساءلُ البعض: هل يكفي أن أقول للنّاس إنّي أحبّهم، أم هناك خطوات يجب اتّباعها لكسب محبّة النّاس؟ حول ذلك، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**في الضّيق والشّدّة يظهرُ حُسْنُ المودّة**».

وهناك تساؤلٌ آخر، وهو كيف يكون الإنسان محبوباً بين النّاس؟ فقد سُئل رسول الله ﷺ عمّا يورث محبّةَ الله من السّماء ومحبّةَ النّاس من الأرض، فقال: «**ارغب في ما عند الله عزّ وجلّ يحبّك اللهُ، وازهَدْ في ما عند النّاس يحبّك النّاسُ**». وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**ثلاثٌ يُوجِبنَ المحبّة: حُسْنُ الخُلُق، وحُسْنُ الرِّفق، والتّواضع**».

وقال الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «**البِشرُ الحَسن وطلاقةُ الوجه مكسبةٌ للمحبّة وقُربةٌ من الله، وعبوسُ الوجهِ وسوءُ البِشر مكسبةٌ للمَقت وبعدٌ من الله**».

وقال الإمام محمّد الجواد عليه السلام: «**ثلاثُ خصالٍ تجتلبُ بهن المحبّة: الإنصافُ في المعاشرة، والمواساةُ في الشّدة، والانطواعُ والرّجوعُ على (إلى) قلبٍ سليم**».

والفرد يحبّ ويعطي بحسب طاقته النّفسيّة والماديّة، وليس مطلوباً أن يحبّ ويتودّد دون أن يقدّر ذلك الطّرف الآخر، وكما قال الإمام عليّ عليه السلام: «**لا تبذِلَنَّ ودَّك إذا لم تَجِد موضعاً**». وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَن وضعَ حبّه في غير موضعِه فقد تعرّض للقَطيعة**».

كما أنّ الأشرار يضربون بمحبّة النّاس عرضَ الحائط، ولهذا قال الإمام عليّ عليه السلام: «**أسرعُ المودّات انقطاعاً مودّاتُ الأشرار**». وقال أيضاً: «**إيّاكَ أن تحبّ أعداءَ الله، أو تُصفّي ودّكَ لغير أولياء الله، فإنّ مَن أحبّ قوماً حُشر معَهم**».

وإنّ مودّة عامّة النّاس لا تبقى، فهي «**تنقطعُ كانقطاع السّحاب، وتنقشعُ كما ينقشعُ السّراب**»، هذا قولُ أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السّلام في عدمِ ديمومةِ مودّة هؤلاء، وأنّ «**مودّة الجهّال متغيّرةُ الأحوال وشيكةُ الانتقال**».

وإذا وقفنا على حديث المعراج: «**يا محمّد! وجبتْ محبّتي للمُتَحابّين فيّ، ووجبتْ محبّتي للمتَعاطفين فيّ...**» علِمنا أنّ التّودّد إلى النّاس ومحبّتنا لهم وجبَ أن تخلو من مصالح آنيّة ومنافعَ شخصيّة، وأن تصفو النّوايا لله تعالى، ولذلك قال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: «**إنّ المتحابّين في الله يومَ القيامةِ على منابرَ مِن نورٍ، قَد أضاءَ نورُ أجسادِهم ونورُ منابرِهم كلَّ شيء، حتّى يُعرَفوا به، فيُقال: هؤلاء المتحابّونَ في الله**».

وصيّة المُفَضَّل الجُعفيّ لجماعة الشِّيعة:

* عليكم بالوَرَع الشّديد، فإنَّه ملاكُ الدِّين

* لا تحقِّروا ولا تَجفوا فقراءَ شيعةِ آل محمّدٍ عليهم السلام

برواية ابن شعبة الحرّانيّ

المفضّل بن عمر الجعفيّ، الفقيه المحدّث أبو عبد الله، وُلد بالكوفة في نهاية القرن الأوّل، في أيّام الإمام محمّد الباقر عليه السلام. كان من كبار العلماء، ومن فقهاء الرّواة، أخذ العلوم عن الامام أبي عبد الله الصّادق، وروى عنه وعن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام، ووقع في أسناد كثير من الرّوايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام. عدّه الشّيخ المفيد من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصّته وبطانته وثقاته الفقهاء الصّالحين. ورُوي أنّه لمّا مات ترحّم عليه الإمام الكاظم عليه السلام وقال: «أما إنّه قد استراح».

ما يلي، وصيّة أخلاقيّة عقائديّة من المفضّل إلى أصحابه، نقلاً عن (تُحَف العقول) لابن شعبة الحرّانيّ.

أوصيكُم بتقوى الله وحدَهُ لا شريكَ له، وشهادةِ أنْ لا إله إلّا الله وأنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

اتَّقوا الله وقولوا قولاً معروفاً. وابتغوا رضوانَ الله واخشَوا سخطَهُ. وحافظوا على سُنَّةِ الله ولا تتعدُّوا حدودَ الله. وراقِبوا اللهَ في جميع أموركم. وارضوا بقضائِهِ في ما لَكُمْ وعليكم.

ألا وعليكم بالأمر بالمعروفِ والنّهي عن المنكر.

ألا ومَن أحسنَ إليكُم فزيدوه إحساناً، واعفوا عمّن أساءَ إليكم. وافعلوا بالنّاس ما تحبُّونَ أنْ يَفعلوه بكُم. ألَا وخالِطوهم بأحسنِ ما تقدرون عليه، وإنّكم أحرى أنْ لا تجعلوا عليكم سبيلاً.

عليكم بالفقهِ في دينِ الله، والوَرَعِ عن محارمِه، وحُسنِ الصَّحابة لِمَن صَحِبَكم، برّاً كان أو فاجراً. ألا وعليكم بالوَرَع الشّديد، فإنَّ ملاك الدِّين الوَرَع. صلُّوا الصَّلواتِ لمواقيتها، وأدُّوا الفرائضَ على حُدودها. ألا ولا تُقصِّروا في ما فرضَ اللهُ عليكم وبما يَرضى عنكم، فإنّي سمعتُ أبا عبد الله [الصّادق] عليه السلام يقول: «**تَفَقَّهوا في دينِ الله ولا تكونوا أعْراباً، فَإنَّهُ مَنْ لم يَتَفَقَّهْ في دينِ الله لَمْ يَنْظُرِ الله إلَيْهِ يَوْمَ القيامَة**».

وعليكم بالقصدِ في الغنى والفقر. واستَعينوا ببعض الدّنيا على الآخرة، فإنّي سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**اسْتَعينوا بِبَعْضِ هَذِهِ عَلى هَذِهِ، وَلا تكونوا كَلّاً عَلى النّاسِ**».

عليكم بالبرّ بجميع مَن خالطتُموه، وحُسن الصّنيع إليه. ألا وإيّاكم والبَغي، فإنَّ أبا عبد الله عليه السلام كان يقول: «**إنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عُقوبَةُ البَغْي**».

أَدُّوا ما افترضَ اللهُ عليكُم من الصّلاة والصّوم وسائر فرائض الله، وأدُّوا الزّكاة المفروضة إلى أهلها، فإنّ أبا عبد الله عليه السّلام قال: «**يا مُفَضَّلُ، قُلْ لِأَصْحابِكَ: يَضَعونَ الزَّكاةَ في أَهْلِها وَإنّي ضامِنٌ لِما ذَهَبَ لَهُمْ**».

عليكم بولاية آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله. أصلِحوا ذاتَ بينِكم ولا يَغتَب بعضُكم بعضاً. تَزاوروا وتَحابُّوا، وليُحسِن بعضُكم إلى بعض. وتَلاقوا وتحدَّثوا، ولا يُبْطِنَنَّ [أو يُبطئنّ: ولعلّ المراد ولا ينسأ بعضُكم بعضاً، أي لا يَعِد بالآجل ويُسوِّف] بعضُكم عن بعضٍ، وإيّاكم والتّصارم [التّصارم: التّقاطع]، وإيّاكم والهجران، فإنّي سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**وَالله لا يَفْتَرِقُ رَجُلانِ مِنْ شيعَتِنا عَلى الهِجْرانِ إلّا بَرِئْتُ مِنْ أَحَدِهِما وَلَعَنْتُهُ، وَأَكْثَرُ ما أَفْعَلُ ذَلِكَ بِكِلَيْهِما**، فقال له مُعَتِّب [مولى أبي عبد الله عليه السلام، بل من خواصّ أصحابه وأيضاً من أصحاب الإمام السّابع عليه السلام، ثقة، وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: مَوالِيّ عشرة، خيرُهم مُعَتِّب]: جُعِلْتُ فداكَ، هذا الظّالم، فما بالُ المظلوم؟ قال: **لِأَنَّهُ لا يَدْعو أَخاهُ إلى صِلَتِهِ، سَمِعْتُ أَبي وهو يَقولُ: إذا تَنازَعَ اثْنانِ مِنْ شيعَتِنا**

فَفارَقَ أَحَدُهُما الآخَرَ فَلْيَرْجِعِ المَظْلومُ إلى صاحِبِه، حَتّى يَقولَ لَهُ: يا أخي! أَنا الظّالِمُ، حَتّى يَنْقَطِعَ الهِجْرانُ فيما بَيْنَهُما، إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى حَكَمٌ عَدْلٌ، يَأْخُذُ لِلْمَظْلومِ مِنَ الظّالِمِ».

لا تحقِّروا ولا تَجفوا فقراءَ شيعةِ آل محمّدٍ عليهم السّلام، وألطفوهم، وأعطوهم من الحقّ الّذي جعله اللهُ لهم في أموالكم، وأحسِنوا إليهم.

لا تأكلوا النّاس بآل محمّد، فإنّي سمعتُ أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «افْتَرَقَ النّاسُ فينا على ثَلاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ أَحَبُّونا انْتِظارَ قائِمِنا لِيُصيبوا مِنْ دُنْيانا، فَقالوا وَحَفِظوا كَلامَنا وَقَصَّروا عَنْ فِعْلِنا، فَسَيَحْشُرُهُمُ اللهُ إلى النّارِ. وَفِرْقَةٌ أَحَبُّونا وَسَمِعوا كَلامَنا وَلَمْ يُقَصِّروا عَنْ فِعْلِنا لِيَسْتَأْكِلوا النّاسَ بِنا، فَيَمْلَأُ اللهُ بُطونَهُمْ ناراً (و) يُسَلِّطُ عَلَيْهِمُ الجوعَ وَالعَطَشَ. وَفِرْقَةٌ أَحَبُّونا، وَحَفِظوا قَوْلَنا، وَأَطاعوا أَمْرَنا، وَلَمْ يُخالِفوا فِعْلَنا، فَأُولَئِكَ مِنّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ».

ولا تدعوا صِلَةَ آل محمّدٍ عليهم السّلام من أموالكم: مَن كان غنيّاً فَبقدر غناه، ومَن كان فقيراً فَبقدر فقره، فمَن أراد أن يقضيَ اللهُ له أهمّ الحوائج إليه، فليَصِل آلَ محمّدٍ وشيعتَهم بأحوج ما يكونُ إليه من ماله.

لا تغضبوا من الحقّ إذا قيل لكم. ولا تُبغضوا أهلَ الحقّ إذا صَدَعُوكم به، فإنَّ المؤمن لا يَغضبُ من الحقّ إذا صُدِعَ به. قال أبو عبد الله عليه السلام مرّةً وأنا معه: «يا مُفَضَّلُ، كَمْ أَصحابُكَ؟ فقلتُ: قليلٌ، فلمّا انصرفتُ إلى الكوفة، أقبلت عليّ «الشّيعةُ» فمزّقوني كلَّ ممزّق [غضبوا عليه لأنّه قال إنّ أصحابه، أي الشّيعة الخُلّص، قليلون]: يأكلون لحمي ويَشتمون عرضي، حتّى إنّ بعضهم استقبلني فوَثَب في وجهي، وبعضهم قعدَ لي في سِكك الكوفة يريد ضربي، ورموني بكلّ بهتانٍ، حتّى بلغَ ذلك أبا عبد الله عليه السلام، فلمّا رجعتُ إليه في السّنة الثّانية، كان أوّل ما استقبلني به، بعد تسليمه عليّ، أن قال: يا مُفَضَّلُ! ما هَذا الّذي بَلَغَني أَنَّ هَؤلاءِ يَقولونَ لَكَ وَفيكَ؟ قلت: وما عليَّ من قولهم، قال: أَجَلْ، بَلْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، أَيَغْضَبونَ - بُؤْساً لَهُمْ - إنَّكَ قُلْتَ: إنَّ أَصْحابَكَ قَليلٌ. لا وَاللهِ ما هُمْ لَنا شيعَة، وَلَوْ كانوا لَنا شيعَةً ما غَضِبوا مِنْ قَوْلِكَ وَما اشْمَأَزُّوا مِنْهُ، لَقَدْ وَصَفَ اللهُ شيعَتَنا بِغَيْرِ ما هُمْ عَلَيْهِ، وَما شيعةُ جَعْفَرٍ إلّا مَنْ كَفَّ لِسانَهُ، وَعَمِلَ لِخالِقِه، وَرَجا سَيِّدَهُ، وَخافَ اللهَ حَقَّ خيفَتِه. وَيْحَهُمْ! أَفيهِمْ مَنْ قد صارَ كَالحَنايا مِنْ كَثْرَةِ الصَّلاةِ؟! أَوْ قَدْ صارَ كَالتّائِهِ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ، أَوْ كَالضَّريرِ مِنَ الخُشوعِ، أَوْ كَالضَّنيّ مِنَ الصِّيامِ، أَوْ كَالأَخْرَسِ مِنْ طولِ الصَّمْتِ وَالسُّكوتِ؟! أَوْ هَلْ فيهِمْ مَنْ قَدْ أَدْأَبَ لَيْلَهُ مِنْ طولِ القِيامِ، وَأَدْأَبَ نَهارَهُ مِنَ الصِّيامِ، أَوْ مَنَعَ نفسَهُ لَذّاتِ الدُّنْيا وَنَعيمَها خَوْفاً مِنَ اللهِ وَشَوْقاً إلَيْنا أَهْلَ البَيْتِ؟! أَنّى يَكونونَ لَنا شيعَةً وَإنَّهُمْ لَيُخاصِمونَ عَدُوَّنا فينا حَتّى يَزيدوهُمْ عَداوَةً، وَإنَّهُمْ لَيَهِرُّونَ هَريرَ الكَلْبِ، وَيَطْمَعونَ طَمَعَ الغُرابِ، أَما إنّي لَوْلا أَنّي أَتَخَوَّفُ (عَلَيْهِمْ) أَنْ أُغْرِيَهُمْ بِكَ، لَأَمَرْتُكَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْتَكَ وَتُغْلِقَ بابَكَ، ثُمّ لا تَنْظُرَ إلَيْهِمْ ما بَقيتَ، وَلَكِنْ إنْ جاؤوكَ (تائبين)، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، فَإنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ حُجَّةً عَلى أَنْفُسِهِمْ، وَاحْتَجَّ بِهِمْ عَلى غَيْرِهِمْ».

لا تغرَّنّكم الدُّنيا وما تَرون فيها من نَعيمها، وزَهرتِها، وبَهجتِها، ومُلكِها، فإنّها لا تصلحُ لكم، فواللهِ ما صَلحت لأهلِها.

مَن أراد أن يقضيَ اللّه له أهمّ الحوائج إليه، فليَصِل آلَ محمّدٍ وشيعتَهم بأحوجِ ما يكونُ إليه من ماله.

لا تغضبوا من الحقّ إذا قيل لكم. ولا تُبغضوا أهلَ الحقّ إذا صَدَعُوكم به، فإنَّ المؤمن لا يَغضبُ من الحقِّ إذا صُدِعَ به.

مع المجاهدين
ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيم*

الشّيخ حسين كوراني

يُحدّثنا تَعالى عن فرحِ الشُّهداء:

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ..﴾ آل عمران ١٧٠.

ويبيّنُ لنا أنّ أجرَ الشُّهداء، يشملُ المُجاهدينَ في بعضِ مراتبه:

﴿..وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النّساء ٧٤.

ويمتدُّ هذا الأجرُ ليغطّيَ مساحةَ كلِّ عملٍ يقوم به المجاهدُ ولو كانَ صغيراً جدّاً، كخطوةٍ أو موطئ قدمٍ هو أصغرُ من الخطوة:

﴿..ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ..﴾ التوبة:١٢٠.

كما يوضحُ لنا عزَّ وجلَّ أنّ جزاءَ المجاهدين يتناسبُ مع أحسن ما عملوا:

﴿..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ التوبة:١٢٠.

﴿..لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ التوبة:١٢١.

ثمّ يصلُ بنا إلى القِمَّة: الفوزِ العظيم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الصفّ:١٠-١٣.

﴿..فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة:١١١.

نستنتجُ أنّنا في مجالِ الثّوابِ في الجهادِ أمامَ توصياتٍ أساس، هي:

* **أوّلاً:** إخلاصُ النيّة، ويتحقّق عندما يكونُ مَرْمى العقلِ والقلبِ والوجدانِ والكيانِ: وجهَ اللهِ والدّارَ الآخرة...

* **ثانياً:** البحثُ عن الثّوابِ في مظانِّه، ومنجمُها الأوّلُ حيثُ يحمى الوطيس. كلّما اشتدَّ الخطرُ تعاظمَ الثّواب؛ وعلامةُ البحثِ عنه: «**اسْتَلانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُون**».

تَقْصُرُ الهِمَمُ فينا عن ارتيادِ مواطنِ الخَطَرِ، وتقصرُ موضوعيّتُنا عن الاعترافِ بالفشل، فنصغّرُ من

إخلاصُ النّيّة يتحقّق عندما يكونُ مَرْمى العقلِ والقلبِ والوجدانِ والكيانِ: وجهَ اللهِ والدّارَ الآخرَة...

* إحدى حلقات برنامج «مع المجاهدين» الذي بثّته «إذاعة النّور» في بيروت، موجّهاً إلى مجاهدي المقاومة الإسلاميّة أعزّها الله تعالى، سنة ١٩٩٣ ميلاديّة.

قَدْرِ الثّوابِ ونبتدعُ له ما يُشبّه به لنا فنحسبُه الثّوابَ، وربّما أمضَينا العُمُرَ عُكّفاً ببابِه، خُشّعاً في محرابِه! وكما حَسِبناه الثّواب، نحسبُ أنّنا نُحسِنُ صُنْعَه.

نبحثُ عن الثّوابِ في جلسَة، وأكْلَة، وتقديمِ اليُمنى على اليُسرى، أو العكس، وفي ذكرٍ أو مديدِ وِرْدٍ، وملءُ الإهابِ الغفلةُ عن أنّ كلّ ذلك دِين، ولكنّه رهنُ روحِ الجهاد المُتَوَثِّبَة.

ليست تَصْدِيَةُ القاعِدِ كَذِكرِ المُجاهد.

لم يخلقِ الذِّكرُ والجهادُ إلّا حقيقةً واحدةً لا عِوَجَ فيها ولا أَمْت.

الذّاكر مُجاهدٌ، والمجاهدُ ذاكرٌ.

ومن هنا كان: «**الذّاكِرُ في الغَافِلِينَ كَالْمُجاهِدِ في الفارِّينَ**».

* **ثالثاً**: الجنّةُ باطنُ الدّنيا القائمة على سلامةِ النّيّةِ وطهارةِ الطَّوِيَّة، فبَين الجنّةِ والنّوايا الحَسَنةِ ما يطولُ شَرْحُهُ، هذا إنْ لم يَستغلقْ فَهْمُه.

الفوزُ العظيمُ هو ما بلغَ بصاحبِه الجنّةَ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الصّف: ١٢.

إنّه المغفرة والزُّلفى تتجلّى بدخول الجنّة، ولها لوازمُ من المساكنِ الطّيّبةِ وما يحفُّ بها.

الفوزُ العظيمُ، إذاً، فعلُ نيّة، بعضُ ثمراتِها الجنّة، ورضوانٌ من الله أكبر، ولذلك كان مُرتبطاً بالبَيْعِ الّذي بايعَ المجاهدون إلى حدِّ التّماهي. إنّه هو نفسُه لا غير. البيعُ هو الفَوْز: ﴿..فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١١١.

* **رابعاً**: ومن كمالِ البيعِ حُسنُ الطّاعة.

ويرتبطُ الاستبشارُ به بطاعةِ القائد، بل هو الطّاعة، سواء أكانَ القائد الميدانيّ، أو العامّ، فلا بيعَ بلا تسليم.

يعني ذلك التّرابط بين الفوزِ العظيم، ومُخالفةِ هوى النّفس حيث تجمحُ عمّا يأمرُ به قائدُ الزّحف.

* **خامساً**: الفاصلُ الزّمنيّ بين تحقّقِ البيع وبين جنّاتِ عَدْنٍ – مهما كان – يُشبِهُه الفاصلُ الزّمنيُّ ما بين نهاية المرحلةِ الدّراسيّة، وحفلِ التّخريج. الطّبيبُ طبيبٌ وإنْ لم يبلغْ بعدُ حفلَ التّخريج، إلّا أنَّ ارتكابَ جُنحةٍ أو جريمةٍ قد يَحولُ بينه وبين ما يأمل.

أيُّها العزيز، هذا الرّصيدُ العظيمُ: الفوزُ العظيم، رَهْنُ حركةِ القلب، وخفقاتِه. إنّه ثمرتُها فلا غروَ أن يكونَ رهنَها. لا تفرِّطْ به ليَفْرُطَ عليك الخسران. اِخزن ثوابَك بأفضل ممّا تخزنُ به وَرِقَكَ والجواهِرَ. احفظْ ثوابَك وحافظْ عليه. لا تتحدّث بُمْنجزاتِك في ميادينِ الجهاد. سرٌّ بينَك وبينَ الله تعالى، فلا تُطلِعْ عليه أحداً. لا يعشقُ الحبُّ إلّا السّرَّ. الحبُّ سرٌّ.

استَحضِرْ في الفؤاد على الدّوام قصّةَ ذلك المُجاهد المُحمّديّ يحملُ في القادسيّة تاجَ كسرى تحتَ طرفِ ثوبِه، حتّى لا يراه المجاهدون فيتَداخله العُجْب، ويمضي به على تلك الحال إلى حيث تُجمَعُ الغنائم.

عندما تستمعُ إلى تكريمِ الشُّهداء ويَتداخلُكَ إحساسُ التّوقِ لمثله أو اللّهفة، وتكادُ تشعرُ بتجاوُزِ هذا الإحساسِ شروطَ الفوزِ العظيم: ابتغاءَ وجهِ الله والدّار الآخرة، فاعلَمْ أنّ طائفَ الشّيطانِ يطوفُ، وقد مسَّ أو شارف. اُذكر اللهَ تعالى، فإذا أنت مُبصِرٌ.

لا تَدَعِ الشّيطانَ يسرق منكَ أدنى درجاتِ هذا الفوز العظيم.

واللهُ سبحانَه وليُّ التّوفيق.

عالمُ الآثار الحجازيّ سامي العنقاوي:
السّلطات الوَهّابيّة دَفَنَتْ بيتَ رسول الله ﷺ

إعداد: «شعائر»

في العام ١٩٩١م، وأثناء إحدى عمليّات الحفر في ما عُرف بـ«التّوسعة الثّالثة للحرَم المكّيّ» ظهرتْ آثارُ مِحرابٍ قديمٍ وأطلالُ مبنًى تاريخيّ، تبيّنَ لاحقاً بعد الكشفِ عليه من قبل عالِمِ الآثار، والمُهندس المِعماريّ، د. سامي العنقاوي، رئيس «مركز أبحاث الحجّ»، والمتخصّص في آثار مكّة المكرّمة، أنّ المبنى هو بيتُ رسولِ الله ﷺ، وثاني مَهبطٍ للوحيّ الإلهيّ بعد غار حراء، وحيث وُلدت السّيّدة فاطمةُ الزّهراء عليها السلام.

منظر عامّ لبيت رسول الله ﷺ أثناء عمليات الجرف

من نافل القول، إنّ اكتشافاً كهذا يُعدّ حدثاً تاريخيّاً بكلّ معاني الكلمة، لكنّ المفاجأة كانت – كما يقول الدّكتور العنقاوي – في إصرار السّلطات السّياسيّة على مواصلة عمليّة الجَرف، وإزالة الموقع بالكامل، كلّ ذلك بضغطٍ من السّلطات الدّينيّة، خشيةَ أن يتحوّلَ – بزعمهم – بيتُ رسول الله ﷺ إلى مكانٍ لإحياء البِدَعِ والشِّرك والوثنيّة!

محراب في إحدى حجرات بيت رسول الله ﷺ

يقول الدّكتور العنقاوي إنَّ الكشفَ على المكان، ودراسةَ معالمه، وإجراءَ عمليّاتِ الصّيانة المطلوبة، يستلزمُ سنواتٍ من الجُهد المُتواصل، لكن غاية ما أمكنَه الحصول عليه بعد رفعِ تقاريرَ إلى «المسؤولين» هو إمهالُه مدّة أربعين يوماً، لا غير.

وخلال هذه الفترة القصيرة، عمدَ أوّلاً إلى إحاطةِ الموقع بسوُرٍ حديديّ، وعمدَ إلى التّنقيبِ خُطوةً خُطوة، مُستعيناً بخرائطَ قَديمةٍ، ثمّ تدرّجَ بالبحث، حيث صنّفَ الزّيادةَ التي بُنِيَتْ في العهد العَبّاسيّ، والأصليّةَ التي يعودُ تاريخُها إلى أكثرَ من ألفٍ وأربعمائة سنَة. ثمّ عمدَ في المرحلة الأخيرة، إلى إضافةِ كَميّاتٍ من الرّمل بين طبقاتِ المَبنى لِمَنْعِهِ من التّفكُّك، وقد وثّقَ جميعَ خُطُواتِ عملِه بالصّورة، وبالأرقام، وبخرائطَ جديدةٍ استحدثَها.

المرفق العام المستحدَث في المكان

يصفُ الدّكتور العنقاوي بَيْتَ رسولِ الله ﷺ، على النّحو التّالي: «على يَسارِ المَدخلِ نجدُ دارَ الضّيافة، ثمّ نمرُّ على مكانٍ تتوزّعُ منه ثلاثُ غرفٍ رئيسيّة: غُرفة الرّسول ﷺ، وغُرفة لأولاد الرّسولِ ﷺ، وفيها مَوْقِعُ ولادَةِ السَّيِّدَة فاطِمة الزّهراء عليها السلام، وغرفة ثالثة هي مكانُ تعبُّده صلّى الله عليه وآله، وهبوط الوحي فيه..».

هذا، ولم تُجدِ كلُّ محاولات الدّكتور العنقاوي في حمْلِ المَسؤولين السُّعوديّين على استثناءِ بيتِ الرّسول ﷺ من عمليّة التّوسعة، فجاءَ الأمرُ بعد انتهاءِ مُهلةِ الأربعين يوماً، بطَمْرِ المكان بالكامل ودفنِه تحت التّراب، ثمّ رُصِفَ وفُرِشَ بالإسفلت بحجّة تحويلِه إلى ساحةٍ للمُصلّين. وفي مرحلةٍ لاحقة تمّ بناءُ مَرْفَقٍ عامٍّ في هذه السّاحةِ المُستحدَثة فوق بَيْتِ حَبيبِ الله، ورسولِهِ ﷺ.

وهذه الخطوة، تُذكّر بمقولة معاوية بن أبي سفيان: «**لا والله إلّا دَفْناً دَفْناً**»، قالَها للمغيرة بن شعبة، متوعّداً بالقضاء على ذكر رسول الله ﷺ.

يُشارُ إلى أنّ كلام الدّكتور سامي العنقاوي وردَ في أكثر من مقابلة تلفزيونيّة أجراها بهذا الخُصوص، وله عدّةُ مقالات صحفيّة عن جرائم آلِ سُعود في طَمْسِ معالم الحَرَمَين الشّريفَين.

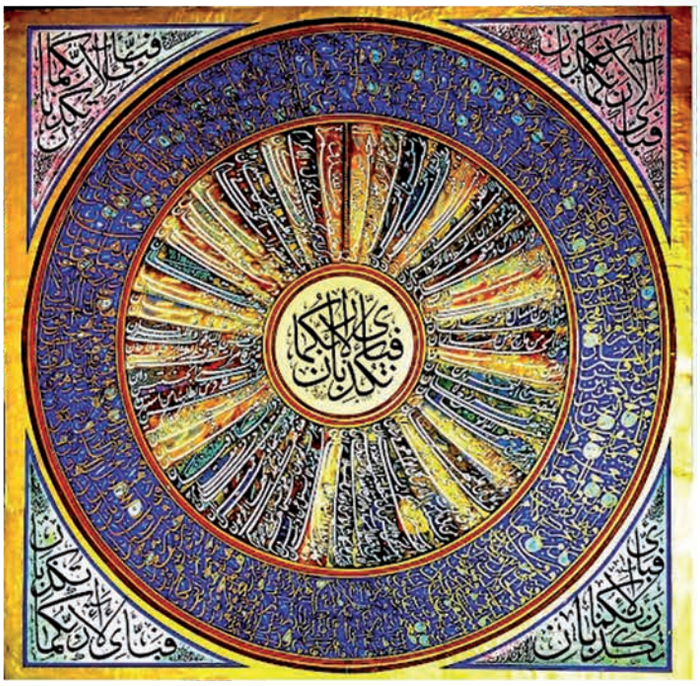

موقف	النّبيّ طبيبُ الرُّوح	الفقيه ابن ميثم البحراني
فرائد	«حتّى لو كلّفني ذلك حياتي»	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	«جامع الأخبار» للشّيخ محمّد السّبزواري	قراءة: سلام ياسين
بصائر	ليلة الرّغائب	إعداد: «شعائر»
مصطلحات	العدالة	الشّهيد الثّاني قدس سره
مصطلحات	الدّستور	عبد الله طلبة
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ خصال	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريّات	إعداد: ياسر حمادة

النّبيّ طبيبُ الرُّوح

ابن ميثم البحرانيّ*

اِعلم أنّه مَنْ أرادَ أنْ يَعرِفَ مَقاصِدَ الأنبياءِ عليهم السلام في أوامِرِهِم وتَدْبيراتِهم، فَينبغي أنْ يتعرّفَ طَرَفاً من قوانينِ الأَطِبّاءِ ومَقاصدِهم من العِباراتِ المُطلقة لهم.

فإنّه كما أنّ الأطبّاءَ هم المُعالجون للأبْدانِ بأنْواعِ الأدْويَةِ والعِلاجات، لغايةِ بَقائِها على صَلاحِها، أو رُجوعِها إلى العافيةِ من الأمراضِ البَدنيّة، كذلك الأنبياء عليهم السلام ومَن يقومُ مقامَهُمْ؛ فإنَّهم أَطِبّاءُ النُّفوس، والمَبعوثون لعلاجِها من الأمْراضِ النّفسانيّة كالجَهْل، وسائرِ رَذائِلِ الأخلاق، بأنواعِ الكلامِ من الآداب، والمَواعِظ، والنّواهي، والضَّرب، والقتل.

وكما أنّ الطبيبَ قد يقولُ إنَّ الدّواءَ الفُلانيَّ نافعٌ من المرض الفُلانيّ، ولا يعني به في كلّ الأَمْزِجة بل في بعْضِها، كذلك الأنبياءُ والأولياءُ إذا أطلقوا القَوْلَ في شيءٍ أنّه نافع - كالعُزلة مثلاً - فإنّهم لا يريدونَ أنّها نافعةٌ لكلّ إنسان.

وكما أنّ الطّبيبَ قد يصفُ لبعض المرضى دواءً ويرى شفاءَه فيه، ويرى أنّ ذلك الدّواءَ بعَيْنِه لمريضٍ آخر كالسُّمّ القاتل ويُعالِجُهُ بغيرِهِ، كذلك الأنبياء عليهم السلام؛ قد يَرَوْنَ أنّ بعضَ الأمورِ دواءٌ لبعض النُّفوس فيقتصرون عليه، وقد يَرَوْنَ أنَّ بعضَ الأوامرِ علاجٌ لبعضِ النّفوس، كالأَمْرِ بالعُزلةِ والحَثِّ عليها لبعضَ النّاس، وقد يَرَوْنَ أنَّ ذلك العِلاجَ بعَيْنِه مُضِرٌّ لغيرِ تلك النّفس، فيأمرونَها بضدِّ ذلك، كالأمرِ بالمُخالطةِ والمُعاشَرة.

وأكثرُ ما يختارون العُزْلةَ لِمَن بلغَ رُتبةً من الكَمالِ في قُوّتَيْهِ النّظَرِيَّةِ والعَمَلِيَّة، واستغنى عن مُخالطةِ كثيرٍ من النّاس، لأنّ أكثرَ الكمالاتِ الإنسانيّةِ من العُلومِ والأخْلاقِ إنّما تَحْصلُ بالمُخالَطَة، خُصوصاً إذا كانَ ذلكَ الإنسانُ - أعْني المَأْمورَ بالعُزْلَة - خالياً عن عائلةٍ يحتاجُ أن يتكسَّب لهم، وأكثرُ ما يختارون المُخالطةَ والاجتماعَ لِتَحْصُلَ الإلفةُ والاتّحادُ بالمَحبّة. وللاتّحادِ غايتان كلِّيّتان: إحْداهُما: حِفْظُ أصلِ الدِّينِ وتَقْويَتُه بالجهاد، والثّانية: تَحصيلُ الكمالاتِ الَّتي بها نِظامُ أمْرِ الدّارَيْن، لأنّ أَكْثَرَ العلومِ والأخلاق يُستفادُ من العِشرة والمُخالطة... وبالله تَعالى التّوفيق.

* (من شرحه على نهج البلاغة، المجلّد الثّالث)

أَسألُك بِالْمَوْلُودَينِ في رَجَب

روى الشّيخُ الطّوسيّ أنّه خرجَ من النّاحية المقدّسة على يدِ الشّيخ أبي القاسم، الحسين بن روح، أحد النوّاب الأربعة، هذا الدّعاء في أيّام رَجب:

«اَللّٰهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِالْمَوْلُودَيْنِ في رَجَبٍ، مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الثّانِي، وَابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ، وَأَتَقَرَّبُ بِهِما إلَيْكَ خَيْرَ القُرَبِ، يا مَنْ إلَيْهِ المَعْرُوفُ طُلِبَ، وفِي مَا لَدَيْهِ رُغِبَ، أَسْأَلُكَ سُؤالَ مُعْتَرِفٍ مُذْنِبٍ قَدْ أَوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ، وَأَوْثَقَتْهُ عُيُوبُهُ، وَطَالَ عَلى الخَطَايَا دُؤُوبُهُ، وَمِنَ الرَّزايا خُطُوبُهُ، يَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ، وَحُسْنَ الأَوْبَةَ، والنُّزُوعَ عَنِ الحَوْبَةِ [المعصية]، وَمِنَ النّارِ فَكاكَ رَقَبَتِهِ، والعَفْوَ عَمَّا فِي رِبْقَتِهِ، فَأَنْتَ يا مَوْلايَ أَعْظَمُ أَمَلِهِ وَثِقَتِهِ. اَللّٰهُمَّ وأَسْأَلُكَ بِمَسَائِلِكَ الشَّرِيفَةِ، وَوَسَائِلِكَ المُنِيفَةِ، أَنْ تَتَغَمَّدَنِي فِي هَذا الشَّهْرِ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ وَاسِعَةٍ، وَنِعْمَةٍ وَازِعَةٍ، وَنَفْسٍ بِمَا رَزَقْتَهَا قَانِعَةٍ، إلَى نُزُولِ الحَافِرَةِ، وَمَحَلِّ الآخِرَةِ، وَمَا هِيَ إلَيْهِ صَائِرَة».

فرائد

حَتّى لَوْ كَلَّفَني ذَلِكَ حَياتي!

«قال المرجع الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر: إنّ هؤلاء الّذين يَطلبونَ منّي أنْ أتريَّثَ وأنْ أتّخذَ موقفاً من الثّورة الإسلاميّة لا يثيرُ السُّلطةَ الحاكمةَ في العراق، حفاظاً على حياتي ومرجعيّتي، لا يَعْرِفونَ من الأمورِ إلّا ظواهرها. إنَّ الواجبَ على هذه المرجعيّة، وعلى النّجفِ كلِّها، أن تتّخذَ الموقفَ المُناسبَ والمطلوبَ تجاهَ الثّورةِ الإسلاميّةِ في إيران.. ما هو هدفُ المرجعيّاتِ على طول التّاريخ؟ أَلَيْسَ هو إقامةُ حُكمِ اللهِ عزَّ وجلَّ على الأرض؟ وها هي مرجعيّةُ الإمامِ الخُمينيّ قد حقّقتْ ذلك، فهل من المَنْطقيّ أن أقفَ مَوْقِفَ المُتفَرِّج، ولا أتّخذ الموقفَ الصّحيحَ والمناسبَ حتّى لو كلَّفني ذلك حياتي، وكلّ ما أملك؟».

(السّيّد منذر الحكيم، الشّهيد الصّدر مدرسة حضاريّة)

سَبَبُ انْحلالِ المُسْلِمينَ

«تكلّموا كثيراً عن سببِ انحلالِ المسلمين، وضعفِ الإسلامِ في نُفوسِهِمْ، وألّفوا في ذلك العديدَ من الكُتب، وذكروا لذلك أكثرَ من سببٍ، والّذي نَراهُ نحن أنّ السّببَ الأوّلَ والأخيرَ هو إهمالُ الشّريعةِ الإسلاميّة دِراسةً وعَملاً، وقد أَدركَ الاستعمارُ هذه الحقيقة، وعملَ منذ وَضَعَ أقدامَهُ في بلادِ المسلمين على تنحيةِ الشّريعةِ الإسلاميّةِ عن المدارسِ ودورِ المحاكِم، وأحلَّ محلَّها الشّرائعَ الوضعيّةَ والأجنبيّة، وبهذا أَبعدَ المسلمين عن دينِهم، وقرآنِهم وسنّةِ نبيِّهم..».

(الشّيخ محمّد جواد مغنيّة، هامش التّفسير الكاشف)

..جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ نورٌ

«روى الشّيخُ الكليني في ذيلِ هذه الصّلواتِ الّتي تُقرأ عصرَ يوم الجمعة: **أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الأَوْصِياءِ المَرْضِيّينَ بِأَفْضَلِ صَلَواتِكَ، وَبارِكْ عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ بَرَكاتِكَ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.** أنّ من قالها سبعَ مرّاتٍ ردَّ اللهُ عليه من كلِّ عبدٍ حسنة، وكان عملُه في ذلك اليوم مقبولاً، وجاءَ يومَ القيامةِ وبينَ عينيهِ نورٌ.

ورُوي أنّ: **مَنْ قالَ بَعْدَ صَلاةِ الفَجْرِ، وَبَعْدَ صَلاةِ الظُّهْرِ: أَللّهُمَّ صَلِّ على مُحمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وعَجِّل فرجَهُم، لَمْ يَمُتْ حَتّى يُدْرِكَ القائِمَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلامُ».**

(منازل الآخرة، الشّيخ عبّاس القمّيّ)

الملائكة «الكَرُوبيّون»

(مجمع البحرين، الشّيخ الطّريحيّ): «..و(الكَروبيّين) من الملائكة، قاله في الحديث: **(وَجَبْرئيلُ هُوَ رَأْسِ الكَروبيّين)**، بتخفيف الرّاء، وهم سادةُ الملائكة والمقرّبون منهم».

(رياض السّالكين، السّيّد علي خان): «وسُئل أبو الخطّاب بن دحية عن (الكروبيّين)، هل يعرف في اللّغة أم لا؟ فقال: الكروبيّون - بتخفيف الرّاء - سادةُ الملائكة وهم المقرَّبون، من كرب إذا قرب.

قال الزّمخشريّ في (ربيع الأبرار): وفي الكَروبيّ ثلاثُ مبالغات: الكروب أبلغ من القرب وأقصر مسافة، تقول: كربتِ الشّمس أن تغرب، أي كادت، وفَعول بناء مبالغة، وياء النّسب الّتي في نحو الأحمريّ».

«جامُع الأخبار» أو «معارجُ اليقين في أصول الدّين»

للشّيخ محمّد بن محمّد السّبزواريّ

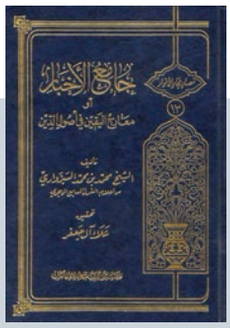

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: «جامِعُ الأخبار». (مجلّد واحد)

المؤلّف: الشّيخ محمّد بن محمّد السّبزواريّ. (من أعلام القرن السّابع الهجريّ)

تحقيق: الشّيخ علاء آل جعفر.

النّاشر: «مؤسّسة آل البيت عليهم السّلام لإحياء التّراث»، قم، ١٤١٣ للهجرة.

(جامع الأخبار)، كتابٌ حَديثيٌّ مَشهور، طُبعَ مرّاتٍ عدّة في النّجف الأشرف، وبيروت، وإيران، اعتمده العلّامة المجلسيّ (ت: ١١١١ للهجرة) كأحد مصادر موسوعته (بحار الأنوار).

ولكن وقع الاختلاف في مؤلِّفه، وتعدّدت الأقوال في ذلك إلى ما يتجاوز العشرين احتمالاً كما يقول مُحقّق الكتاب. فقد نسبَه الشّيخ منتجب الدّين بن بابويه في (الفِهرست) إلى عليّ بن أبي سعد بن أبي فرج الخيّاط. ونسبه المولى عبد الله أفندي في (رياض العلماء) إلى محمّد بن محمّد الشّعيريّ. ونسبه الحرّ العامليّ في (إثبات الهداة) تارةً إلى الحسن بن الفضل الطّبرسيّ، وطوراً إلى محمّد بن محمّد الشّعيريّ. ولأنّ بعضَ نُسخ الكتاب ذُكر فيها أنّ مؤلّفه هو «محمّد بن محمّد»، فقد ذكر العلّامة المجلسيّ أحدَ عشرَ رجلاً يُحتمل نسبة الكتاب إليهم.

جُهْدُ المُحَقّق

قامَ المُحقّقُ بِجُهدٍ استثنائيٍّ لمعرفة نسبة الكتاب إلى مُؤلّفه، فسعى أوّلاً إلى تحديد الرّقعة الجغرافيّة التي عاش فيها المُؤلّف، من خلال ملاحظة مواطن الذين أكثرَ النّقلَ عنهم، ثمّ تحديد الفترة الزّمنيّة كذلك، وقام باستقصاء ما أمكن من النُّسَخ الموجودةِ في المكتبات العامّة والخاصّة إلى أن تَوَصّلَ إلى نتيجةٍ مُلخَّصُها:

١ - الثّابت أنّ المؤلّف جمعَ كتابَه بعد منتصف القرن السّادس على أقلّ تقدير.

٢ - الأقوى من اتّفاق العديد من الأدلّة والشّواهد أنّ مؤلّف الكتاب كان من أهل سبزوار، أو من النّواحي القريبة منها.

٣ - يظهر من متون النُّسخ التي توفّرت للمُحقّق أنّ مؤلّف الكتاب هو محمّد بن محمّد.

كتاب (معارج اليقين)

وبمراجعة المحقّق لكتاب (معارج اليقين في أصول الدّين) لمؤلّفه محمّد بن محمّد السّبزواريّ، وجد أنّ التّشابه كبيرٌ بينه وبين كتاب (جامع الأخبار) محلِّ البحث، وتنطبقُ على مؤلِّفه النّتائج التي تقدّمت خلاصتُها. من هنا قال المُحقّق في معرض بيانه لهذا الاكتشاف: «فبدأتُ أبحث عن نُسخِ هذا الكتاب الجديد، ووفّقني الله تعالى إلى ذلك، فحصلتُ على أوّل نُسخةٍ منه في مكتبة (آستانة قم)، وعندما تَصفّحتُها، وَجدْتُها هي عين كتابنا (جامع الأخبار) من المقدّمة إلى الخاتمة دون زيادة فيها، أللّهم إلّا الاختلاف في ترتيبِ فصوله، ونقصانِ بعض رواياته، مع تغييرٍ في نهاية مقدّمته، حيث وجدتُه أثبتَ بدل قول المؤلّف، رحمه الله: **وسمّيتُه بجامع الأخبار**، [قد] ذكر في (المعارج) ما نَصُّه: **وسمّيتُه بمعارج اليقين في أصول الدّين لمن أراد كمال التّقوى**».

وعن تعليله لهذه الثّنائيّة في اسم الكتاب مع توافق المضمون، يقول المُحقّق: «لعلّ أنّ الكِتابَيْنِ واحدٌ وأساء النُّسّاخُ أو غيرهم إلى الكتابِ بشكلٍ أو بآخر؛ كأنْ أغفلوا اسْمَهُ، أو أراد أحدٌ أن يصادرَ الجُهدَ الأوّلَ فحذفَ ما حذفَ وأضافَ ما أضاف، أو أنّ أحدَ المُؤلّفين جمعَ هذه الأحاديثَ في كتابٍ مُناظرٍ للأوّل، ثمّ وقعَ النُّسّاخُ أو غيرهم في الحيرة إزاء هذا التّوافق، فحدثَ هذا الخلطُ بين الكتابَيْن، وازدادَ بتقادمِ الزّمن حتّى وصل إلينا الثّاني دون الأوّل، أو الأوّل دون الثّاني غريباً مُشَوّهاً، مجهولَ النّسخةِ والمُؤلّف، مُضطربَ المتنِ والتّرتيب، وإن كان الأصحّ من الكتابَيْنِ هو الثّاني أي (معارج اليقين)، المعروف مُؤلِّفاً، وتاريخاً، واستنساخاً على أغلب الأحوال».

أمّا بالنّسبة إلى عدم وجودِ أسانيدَ في الكتاب، فأثبتَ التّحقيقُ أنّ رواياتِ الكتابِ مَنْقولةٌ عن مَصادرَ مُعتبرةٍ قام المُحقّق بوضعِ قائمةٍ لها، فدفعَ بذلك شُبهةَ عدمِ حُجّيّةِ هذا المُؤلَّف القيّم نظراً إلى الجهل بالرّواة، وعدمِ وجود إسنادٍ للكتاب؛ إلى مؤلّفه أو عنه.

أهمّ موضوعاته

احتوى الكتابُ مائةً وواحداً وأربعين فصلاً، مُتضمّناً آياتٍ وروايات وأحاديثَ وأخباراً في: المعارفِ العقائديّة، والمناهجِ العباديّة، والعلومِ القرآنيّة، والمَسائلِ الفقهيّة، والمَكارمِ الأخلاقيّة، والشّؤون الحياتيّة، والرّوابط الاجتماعيّة.. فضلاً عن عددٍ من العناوين التي يُمكن تَسْمِيتُها بـ: المُتفرّقات والنّوادر.

دواعي التّأليف

قال المُؤلّف في مقدّمة كتابه: «أمّا بعد، فإنّي منذ كنتُ ابنَ عشرين حتّى ذَرّفَ سِنّي على خمسين، متشوّقٌ إلى جمع كتابٍ يشتمل فصولاً جامعةً؛ للزّهد، والموعظة، والتّرغيب، والتّرهيب، مِن الأخبار المنقولة عن الأئمّة الأطهار، والآثار المأثورة عن الرُّواة الأخيار، مَحجوجةً بالقرآن، مُتأيّدةً بالبرهان، مَضبوطةً بالإسناد، مربوطةً بالإرشاد، كاشفةً للقلوب، زائلةً للكروب، وأنا مُجتهدٌ لاستجماع ذلك، تائقٌ إلى ترتيبه، ولكن تَقطَعُني عن ذلك القواطع، وتَشغلني الشّواغل .. حتّى مضت على تَردُّد عزمي أيّامٌ، وقُرِنَت بها أعوام، ثمّ اهتزّ خاطري وتذكّرتُ طَوِيّتي "..." فلمّا تيقّنتُ حقيقةَ ذلك، وأردتُ أن أسعى فيه سَعْياً جميلاً، وأسلُكَ فيه وإن كان قليلاً، لم ألتَفِتْ إلى قلّة رغبات أهلِ الزّمان، وتركِ عنايتِهم في طلب الأديان. واستَخَرتُ اللهَ سبحانَه في جميع ذلك، فرتّبتُ هذا الكتابَ على أحسنِ ترتيب، وأتقنِ تهذيب، وسلكتُ فيه طريقَ الإيجاز والاختصار، وتجنّبتُ التّطنيبَ والإكثار».

نماذج من روايات الكتاب

* عن أبي ذرّ، قال: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «**يا أبا ذَرٍّ، مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَلْتَمِسُ باباً مِنَ العِلْمِ كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ ثَوابَ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبياءِ، وَأَعْطاهُ اللهُ بِكُلِّ حَرْفٍ يُسْمَعُ أَوْ يُكْتَبُ مَدينَةً في الجَنَّةِ؛ وَطالِبُ العِلْمِ أَحَبَّهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ المَلائِكَةُ وَأَحَبَّهُ النَّبِيّونَ، وَلا يُحِبُّ العِلْمَ إِلّا السَّعيدُ، فَطُوبى لِطالِبِ العِلْمِ يَوْمَ القِيامَةِ..**».

* جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله، قال: ما رأسُ العلم؟ قال صلّى الله عليه وآله: «**معرفةُ اللهِ حقّ مَعرفتِه**». قال: وما حقُّ معرفتِه؟ قال صلّى الله عليه وآله: «**أنْ تعرفَه بلا مِثالٍ ولا شِبه، وتعرفَه إلهاً واحداً، خَالقاً، قَادراً، أوّلاً، وآخِراً، وظَاهراً، وبَاطناً، لا كُفْوَ لَه ولا مثلَ له، فذَاك معرفةُ اللهِ حقّ معرفتِه**».

* قالَ النّبيُّ صلى الله عليه وآله: «**التّائِبُ إذا لَم يُسْتَبَنْ (عليه) أَثَرُ التَّوْبَةِ فَلَيس بِتائِبٍ: يُرْضي الخُصَماءَ، ويُعيدُ الصَّلواتِ، وَيَتَواضَعُ بَيْنَ الخَلْقِ، وَيَتّقي (يقي) نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَواتِ، ويُهْزِلُ رَقَبَتَهُ بِصِيامِ النَّهارِ، وَيَصْفَرُّ لَوْنُهُ بِقيامِ اللَّيْلِ، ويُخْمِصُ بَطْنَهُ بِقِلَّةِ الأَكْلِ، وَيُقَوِّسُ ظَهْرَهُ مِنْ مَخافَةِ النّارِ، وَيُذيبُ عِظامَهُ شَوْقاً إلى الجَنَّةِ، وَيُرِقُّ قَلْبَهُ مِنْ هَوْلِ مَلَكِ المَوْتِ، وَيُجَفِّفُ جِلْدَهُ عَلى بَدَنِهِ بِتَفَكُّرِ الأَجَلِ، فَهَذا أَثَرُ التَّوْبَةِ..**».

* إنّ فاطمَةَ، صَلواتُ الله عليها، قالت لأبيها صَلّى الله عليه وآله: «**يا أَبَتِ! أَخْبِرْني كَيْفَ يَكونُ النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ؟ قالَ: يا فاطِمَةُ! يُشْغَلونَ فَلا يَنْظُرُ أَحَدٌ إلى أَحَدٍ، وَلا والِدٌ إلى الوَلَدِ، وَلا وَلَدٌ إلى أُمِّهِ. قالَتْ: هَلْ يَكونُ عَلَيْهِمْ أَكْفانٌ إذا خَرَجوا مِنَ القُبورِ؟ قالَ: يا فاطِمَةُ! تُبْلى الأَكْفانُ وَتَبْقى الأَبْدانُ، تُسْتَرُ عَوْرَةُ المُؤْمِنُ وَتُبْدى عَوْرَةُ الكافِرينَ. قالَتْ يا أَبَتِ ما يَسْتُرُ المُؤْمِنينَ؟ قالَ: نورٌ يَتَلأْلأُ لا يُبْصِرونَ أَجْسادَهُمْ مِنَ النّورِ. قالَتْ يا أَبَتِ فَأَيْنَ أَلْقاكَ يَوْمَ القِيامَةِ؟ قالَ: انْظُري عِنْدَ الميزانِ وَأَنا أُنادي: رَبِّ أَرْجِحْ مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَانْظُري عِنْدَ الدَّواوينِ إذا نُشِرَتِ الصُّحُفُ وَأَنا أُنادي: رَبِّ حاسِبْ أُمَّتي حِساباً يَسيراً، وَانْظُري عِنْدَ مَقامِ شَفاعَتي عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ - كُلُّ إِنْسانٍ يَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ وَأَنا مُشْتَغِلٌ بِأُمَّتي - أُنادي: يا رَبِّ سَلِّمْ أُمَّتي، وَالنَّبِيّونَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ حَوْلي يُنادونَ: رَبِّ سَلِّمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ..**».

* قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «**إِنَّ اللهَ تَعالَى يَنْظُرُ في وَجْهِ الشَّيْخِ المُؤْمِنِ صَباحاً وَمَساءً فَيَقولُ: يا عَبْدي! كَبُرَ سِنُّكَ، وَدَقَّ عَظْمُكَ، وَرَقَّ جِلْدُكَ، وَقَرُبَ أَجَلُكَ، وَحانَ قُدومُكَ عَلَيَّ، فَاسْتَحِ مِنّي، فَأَنا أَسْتَحي مِنْ شَيْبَتِكَ أَنْ أُعَذِّبَكَ بِالنّارِ**».

بصائر

أوّل يوم خميس من شهر رجب

وصلاة ليلة الرّغائب

إعداد: «شعائر»

من أبرز أعمال شهر رجب، عملُ الرّغائب [صوم وصلاة، وأذكار في عقبها]، وقد اهتمّ العلّامة الحلّيّ بإيراد هذا العمل في إجازته لبَني زهرة، والشّيخ الكفعميّ في (المصباح)، والشّيخ الحرّ العامليّ في (وسائل الشّيعة)، والسّيّد ابن طاوس في (إقبال الأعمال)، والشّيخ الملَكي التّبريزيّ في (المراقبات)، وغيرهم، ويؤكّد هؤلاء الأعلام على الإتيان بما لم يثبُت سندُه «برجاء المطلوبيّة»، حرصاً منهم على أن لا يحرم المؤمنون أنفسهَم من بركات هذه الأعمال التي تُعطى للمؤمن، كما يصرّح السّيّد القائد الخامنئيّ دام ظلّه.

ليلة الرّغائب هي «أوّل ليلة جمعة من الشّهور المباركة الثّلاثة [رجب، وشعبان، وشهر رمضان]، ففي هذه اللّيلة تجري رغائبُ الله وفوائدُه وعطاياه على العباد»، كما يؤكّد الفقهاء.

وردَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «..ما مِن أحدٍ:

١- صامَ يومَ الخميس، أوّلَ خميسٍ من رَجب.

٢- ثمّ صلّى بين العشاء والعتمة [بين المغرب والعشاء] اثنتَي عشرة ركعة.

٣- يفصلُ بين كلّ ركعتَين بتَسليمة.

٤- يقرأ في كلّ ركعة: (فاتحةَ الكتاب) مرّة، و(إنّا أنزلناه في ليلة القدر) ثلاثَ مرّات، و(قل هو الله أحد) اثنتَي عشرة مرّة.

٥- فإذا فَرغَ من صلاتِه صلّى عليَّ سبعين مرّة، يقول: (أللّهمَّ صَلِّ على مُحمّدٍ النَّبيِّ الأُمّيِّ وعلى آلِه).

٦- ثمّ يَسجد ويقول في سُجودِه، سبعين مرّة: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوح).

٧- ثمّ يرفع رأسَه ويقول: (رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيُّ الأَعْظَمُ).

٨- ثمّ يَسجد سجدةً أخرى ويقول في سجودِه مثلَ ما قال في السَّجدةِ الأولى.

٩- ثمّ يسألُ اللهَ حاجتَه في سجوده، فإنّه تُقضى إنْ شاءَ اللهُ تعالى..».

* توضيح: هل يُقال هذا الذّكر في السّجدتَين اللّتين هما في آخر الصّلاة؟

الجواب: كلّا. بل يُؤتَى بهذا الذّكر، بعد انتهاء الصّلاة، بعد تمام الإثنتَي عشرة ركعة.

ثوابُ الصّلاة

حول ثوابِ هذه الصّلاة، قالَ رسول الله صلّى الله عليه وآله: «والذِي نَفْسِي بِيدِهِ، لا يُصَلِّي عَبْدٌ أو أمَةٌ هذِهِ الصَّلاةَ إلّا غَفَرَ اللهُ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِه، ولو كانت ذنوبُه مثلَ زَبَدِ البَحر "..." وَيشْفَعُ يوْمَ القِيامَةِ في سَبْعمائة مِن أهْلِ بَيتِهِ مِمَّنْ قَدِ اسْتَوْجَبَ النّارَ. فإذا كانَ أوّل لَيلةِ نُزولِه إلى قَبْرِه بَعَثَ اللهُ إلَيهِ ثَوابَ هذِه الصَّلاةِ في أَحْسَنِ صُورَة...».

هل يُشترَط أن يكون الخميس من رجب؟

ليلةُ الرّغائب، كما تقدّم، هي أوّلُ ليلةِ جُمُعة من شهر رجب. وفيها فضلٌ عظيم. قال فيه رسول الله ﷺ: «لا تَغْفَلوا عن أوّلِ لَيلَةِ جُمُعةٍ مِنهُ، فإنّها ليلةٌ تُسَمِّيها الملائكةُ ليلةَ الرّغائب..».

وهنا سؤال: إذا كان يومُ الجمعة أوّلَ يومٍ من الشّهر - والخميس هو آخر جُمادى الثّانية - فهل تكون ليلة الرّغائب أوّل ليلةٍ منه، أي ليلة أوّل يوم من رجب؟

والجواب: نعم، فينبغي أن يُعمَل فيها بعمل ليلة الرّغائب. ويُمكن أن يُؤتَى بعمل ليلة الرّغائب في ليلة الجمعة التّالية ولو برجاء المطلوبيّة الاستحبابيّة، ويبدو من كلام آية الله الملَكيّ التّبريزيّ رضوان الله عليه ترجيحُه الاكتفاء بعمل ليلة الرّغائب مرّة واحدة إذا كانت أوّل ليلة من رجب ليلة جمعة، إمّا بأن يصوم الشّخصُ الخميسَ الذي هو من جُمادى الثّانية، أو بدون الصّوم.

وينبغي التّنبّهُ لأمور:

١- في مثل هذه الحالة، أي حين ينفصلُ أوّلُ خميسٍ عن أوّل ليلةِ جمعة، فتكون هي أوّل ليلة من رجب، ويكون أوّل خميس من رَجب بعد أسبوع، ينبغي التّنبّه إلى فضيلة كلّ خميس من رجب، فليس الاهتمامُ بالخميس من رجب منحَصراً بأن يكون مع ليلةِ الرّغائب من شَهر رجب.

٢- وفي مثل هذه الحالة يجتمعُ ثوابُ أوّل ليلة من رَجب مع ثواب ليلة الرّغائب، فيصبح فضلُ اللّيلة الأُولى مضاعفاً، لأنّ اللّيلة الأولى لها فضلٌ في حدّ ذاتها، وليلة الرّغائب لها فضلٌ آخر، وقد اجتمعَتا.

دعاءُ الملائكة لصُوّام رجب

رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا تَغفلوا عن أوّلِ ليلةِ جُمُعةٍ منه، فإنّها ليلةٌ تُسمّيها الملائكةُ ليلةَ الرَّغائب، وذلك أنّه إذا مضى ثُلُثُ اللّيل لم يَبْقَ مَلَكٌ في السَّماواتِ والأرضِ إلّا يَجتمعون في الكعبة وحَولَها، ويَطّلعُ اللهُ عليهم اطّلاعةً فيقولُ: (يا ملائكَتي، سَلوني ما شِئتُم)، فيقولون: (ربّنا، حاجتُنا أنْ تَغفر لِصُوّام رجب)، فيقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: (قد فعلتُ ذلك)**».

* بعد أن ذكر آية الله الملَكيّ التّبريزيّ رضوان الله تعالى عليه، هذه الرّواية قال: «والأنسبُ لَمن سمعَ هذا الخبرَ أن يُكثِرَ في هذه اللّيلة من الصّلوات على الملائكة أداءً لتكليف آية التّحيّة بقدر المقدور والمستَطاع».

كيفَ نردُّ تحيّة الملائكة؟

من المفيد لتَحقيق ذلك أن نقرأَ دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام، في الصّحيفة السّجّادية، في الصّلاة على حمَلَة العرش وكلّ ملَكٍ مقرَّب:

«**أَللَّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذِينَ لا يَفْتُرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ، وَلا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيسِكَ، وَلا يَسْتَحسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَلَا يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِكَ، وَلا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَهِ إِلَيْكَ...**». (انظر: الصّحيفة السّجّادية، الدعاء الثالث: الصَّلاةُ عَلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ)

يومُ الجُمعة من شهر رجب

ينبغي التّنبّهُ إلى أنّ يوم الجمعة من رجب، أو شعبان، أو شهر رمضان، فرصةٌ فريدة، لا بدّ لَمن يحمل همَّ بناء نفسِه والاستعداد لآخرته، من برمَجةِ وقتِه بحيث لا يفوته اغتنامُها بأفضل وجهٍ ممكن.

* **إذا كان أوّل يوم من شهر رجب هو يوم الجمعة**: فينبغي الجَمعُ بينَ الأعمال الخاصّة بأوّلِ يومٍ من شهر رجب، وبين الأعمال الخاصّة بيوم الجمعة منه.

أ) صلاةٌ ليوم الجمعة من رجب

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**مَن صلّى يوم الجمعة في شهر رجب ما بين الظّهر والعصر أربعَ ركعات، يقرأُ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(آية الكرسيّ) سبع مرّات، و(قل هو الله أحد) خمس مرّات، ثمّ قال: (أستغفرُ اللهَ الّذي لا إلهَ إلّا هُوَ وأسألُه التَّوبة)؛ عشر مرّات، كتبَ اللهُ تبارك وتعالى له من يومِ يصلّيها إلى يوم يموتُ كلّ يومٍ ألفَ حسنة، وأعطاه اللهُ تعالى بكلّ آيةٍ قَرَأها مدينةً في الجنّة من ياقوتةٍ حَمراء، وبكلّ حرفٍ قصراً في الجنّة من درّةٍ بَيضاء، وزوّجَه اللهُ تَعالى من الحُور العين، وَرَضِيَ عنه رضًى لا سخطَ بعدَه، وَكُتِبَ من العابدين، وختمَ اللهُ تعالى له بالسّعادةِ والمَغفرة، وكتبَ اللهُ له بكلّ ركعةٍ صلّاها خمسينَ ألف صلاة، وتَوَّجَه بأَلْفِ تاج، ويسكنُ الجنّةَ مع الصّدّيقين، ولا يَخرج من الدّنيا حتّى يَرى مقعدَه من الجنّة**».

ب) قراءة (التّوحيد) ١٠٠ مرّة، كلّ يوم جمعة نورٌ يوصِلُ إلى الجنّة

قال السّيّد ابن طاوس عليه الرحمة: «**رأيتُ في حديثٍ بأسناد أنّ مَن قرأَ في يوم الجُمعة في رجب (قل هو الله أحد) مائة مرّة، كان له نوراً يومَ القيامة يَسعى به إلى الجنّة**». أي يكونُ بهذا العمل ممّن قال فيهم عزّ وجلّ ﴿..نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ..﴾ التحريم:٨، ولا يكون ممّن قيل فيهم: ﴿..ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ..﴾ النور:٤٠.

مصطلحات

العَدالَةُ

مَلَكَةُ مُلازَمَةِ التَّقْوى وَالمُروءَة

الشّهيد الثّاني قدس سره

مِنَ المَجموعَةِ المَعْروفَةِ بِاسْمِ (رسائل الشّهيد الثّاني)، للشَّيْخِ زَيْنِ الدّينِ الجُبَعِيِّ العامِليِّ، رضوانُ اللهِ عَلَيْهِ، تُقَدِّمُ «شَعائِر» تَعْريفاً بِمُصْطَلَحِ «العَدالَةِ»، المُشْتَقِّ مِنَ «العَدْلِ»، وَهُوَ القَصْدُ في الأُمورِ، وَيُضادُّهُ الجَوْرُ.

العَدالَةُ لُغَةً: الاسْتِواءُ، يُقالُ: «فلانٌ عِدلُ فلانٍ» أي مُساوٍ له، ويُقالُ: «عادَلْتُ بَيْنَ كَذا وَكَذا فَاعْتَدَلا» أَي اسْتَوَيا.

وفي الاصْطِلاحِ العَمَلِيِّ: هي «تعديلُ القوى النّفسانيّةِ وتقويمُ أفعالِها، بحيث لا يَغْلِبُ بعضُها على بعض، ثمّ تعديلُ ما خرجَ من ذاته من العلامات (المعاملات) والكرامات اقتناءً (اقتداءً) للفضيلة لا لغرضٍ آخَرَ».

بيانُ ذلك، أنّ للنّفس النّاطقة الإنسانيّة:

١- قوّةً عاقلةً، هي مبدأ الفكر، والتّمييز، والشّوق إلى النّظر في الحقائق.

٢- وقوّةً غَضبيّةً، هي مبدأ الغضبِ، والجُرأة لدفع المَضارّ، والإقدام على الأهوال، والشّوق إلى التّسلُّط على الرّجال.

٣- وقوّةً شَهَويةً، هي مبدأ طلب الشّهوة للمنافعِ من المآكِلِ والمشاربِ، وباقي المَلاذّ البدنيّةِ واللّذّاتِ الحسّيةِ.

وهذه القُوى الثّلاث متباينةٌ جدّاً، فمتى غلبَتْ إحداها انْقَهَرتِ الباقيتانِ، وربما أبْطَلَ بعضُها فِعْلَ البعض.

والفضيلةُ للإنسانِ تَحْصُلُ بتعديلِ هذه القُوَى:

١- فالعاقِلَةُ: تَحْصُلُ مِن تعديلها فضيلةُ العِلْمِ والحِكْمَةِ.

٢- والغَضَبِيَّةُ: تَحْصُلُ من تعديلها فضيلةُ الحِلْمِ والشّجاعَةِ.

٣- والشَّهَوِيَّةُ: تَحْصُلُ من تعديلها فضيلةُ العِفَّةِ.

* **فالحكمةُ،** حينئذٍ، مَلَكَةٌ تَحْصُلُ للنّفسِ عند اعتدالِ حَرَكتِها تحتَ سُلطانِ العقل، بها يكونُ شوقُها إلى المعارفِ الصّحيحة، تَصْدُرُ عنها الأفعالُ المُتوسّطةُ بين أفعال الجَرْبزَةِ [أي الدّهاء]، التي هي استعمالُ الفِكْرِ في ما لا يجب، وهي طرفُ الإفراط، و[بين] الغَباوَةِ، التي هي تعطيلُ قوّةِ الفِكْرِ بالاختيارِ لا بالخِلقة، وهي طرفُ التّفريط.

* **والشّجاعة،** التي هي فَضيلةُ القُوّةِ السَّبُعيةِ الغضبيّةِ، مَلَكَةٌ تَحْصُلُ عند اعتدالِ هذه القُوَّةِ تحتَ تَصرُّفِ العقل، بها تَصْدُرُ

الحِكْمَةُ مَلَكَةٌ تَحْصُلُ للنَّفْسِ عِنْدَ اعْتِدالِ حَرَكَتِها تَحْتَ سُلْطانِ العَقْلِ، وَبِها يَكونُ شَوْقُها إلى المَعارِفِ الصَّحيحَةِ.

الأفعالُ المتوسِّطَةُ بينَ أفعالِ التّهوّرِ، الذي هو الإقدامُ على ما لا ينبغي الإقدامُ عليه لحصولِ أمارة [أي علامة] الهلاكِ أو غير ذلك، وهو طرف الإفراطِ لهذه القُوّة، و[بين] الجُبْنِ الذي هو الخَوْفُ ممّا لا ينبغي الخَوْفُ منه، وهو طَرَفُ التّفريط.

* **والعِفّةُ،** مَلَكَةٌ تَصْدُرُ عن اعتدالِ حركةِ القُوّةِ الشَّهَويّةِ تحت تصرّف العقل، بها تكون الأفعالُ المُتَوَسِّطَةُ بين أفعال الشَّرَهِ، وهو الانهماكُ في اللّذّاتِ والخروجُ فيها إلى ما لا يَنبغي، وهو طرفُ الإفراط، و[بين] الخُمُودِ الذي هو سكونُ النّفس عن اللّذّةِ الجميلة التي يحْتاجُ إليها لمصالحِ البَدَنِ، ممّا رَخّصَتْ فيه الشّريعةُ.

وإذا حَصَلَتْ هذه الفضائلُ الثّلاثُ، وتَسالَمَتْ باعتدال القُوى الثّلاثِ، حَدَثَتْ منها مَلَكَةٌ رابعةٌ هي تمامُ الفضائلِ الخُلُقيّةِ، وهي المعبّر عنها بـ «العدالة». فهي إذاً: «**مَلَكَةٌ نَفْسانيّةٌ تَصْدُرُ عنها المساواةُ في الأُمور الواقعةِ من صاحبها**».

وتحتَ كلّ واحدة من هذه الفضائلِ فضائلُ أُخرى، وكلّها داخلةٌ تحتَ العدالة كما قُرِّرَ في محلّه. فهي دائرةُ الكمال وجُمّاعُ أمرِ الفضائل، و«بها قامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ» كما ورد في الخبر.

وأما مفهومُها شَرْعاً، الذي هو المقصودُ بالذّات، فالمشهور بين الفُقهاء في تعريفها: «**أنّها مَلَكَةٌ نفسانيّةٌ تَبْعَثُ على مُلازَمَةِ التَّقوى والمُروءَة**».

واحْتَرَزوا بالمَلَكةِ عن الحال المنتقلّة بسرعةٍ، كحُمْرة الخَجِلِ وصُفْرة الوَجِلِ، بمعنى أنّ الاتّصافَ بالوصف المذكور لا بدّ أنْ يصيرَ مِن المَلَكاتِ الرّاسخةِ، بحيث يَعْسُرُ زوالُها، وتَصير كالطّبيعة المستقِرّة غالباً.

الدّستور*

أحكامُ العقد الاجتماعيّ

عبد الله طلبة

عُرِّفَ «**الدّستور**» بالإجمال أنّه: «مجموعةُ القواعد الّتي تنظِّمُ تأسيسَ السّلطة وانتقالها وممارستها، أي تلك الّتي تتعلّق بالتّنظيم السّياسيّ». أو أنّه «وثيقة أساسيّة أقرَّتها سلطة خاصّة وفق إجراءاتٍ خاصّة، لتحديد وتنظيم شؤون الحكم وعلاقته مع المواطنين».

هذا،وتتعدّد أنواع الدّساتير، من حيث الشّكل، وطبيعة المتون، والفئات التي لها حقّ التّشريع، والإبرام، والنّقض، والإمضاء.

أنواع الدّساتير

إنّ أهمّ التّقسيمات الّتي ينتهجُها الفقه الدّستوريّ في شرح أنواع الدّساتير تنطلق من زاويتَين، تتعلّق الأولى بالكتابة وتُميِّز بين دساتير مكتوبة وعُرفيّة، والثّانية تتعلّق بالثّبات أو التّعديل، وتميِّز بين دساتير جامدة ومَرِنَة.

١ - الدّساتير المكتوبة والدّساتير العرفيّة:

الدّساتير المكتوبة: هي الدّساتير المدوَّنة من قِبَل سلطةٍ تأسيسيّةٍ مخصوصةٍ لذلك، سواء صدرت بوثيقةٍ واحدة، أو عدّة وثائق.

والدّساتير العرفيّة: هي الأحكام المتعلّقة بتنظيم السّلطات العامّة وحرّيّات الأفراد، ممّا لم ينصّ عليه في قانونٍ مكتوب، وإنّما في التّقاليد والأعراف والسّوابق.

وقد أحاطت بكِلا النّوعَين اعتباراتٌ ومزايا عدّة، فالفقيه القانونيّ الألمانيّ «أيسمن»، يحدِّد في جملةٍ من النّقاط أبرز الاعتبارات الّتي تدعو إلى كَون الدّستور مكتوباً، منها أنّ «القانون المكتوب أفضل من العُرْف، لأنّ الأحكام الدّستوريّة، وهي أخطر القواعد الحقوقيّة، يجب أن تكون مكتوبة». وأنّ «الدّساتير أملَتها السّيادة القوميّة؛ فهي تجديدٌ للعقد الاجتماعيّ، أو تعديلٌ لبنوده، وينبغي أن تُعرَف هذه التّعديلات بوضوحٍ عبر الكتابة».

أمّا دُعاة الدّساتير العرفيّة، فقد حدّدوا مزاياها بأنّها ليست من صُنْع الرّجال، ولكنّها من صُنْع التّاريخ، فهي تنشأُ معه، وتنمو مُتّبعةً سُنّة التّدرّج والارتقاء، فالتّطوّر الهادئ الّذي يحقّقه العُرف، يكفلُ للمؤسّسات السّياسيّة استقراراً لا تستطيع الكتابة كفالتَه.

٢ - الدّساتير الجامدة والدّساتير المَرِنة:

الدّساتير الجامدة: هي التي تمتاز بما يُعرَف بالسّموّ الشّكليّ الّذي يكرِّسُ تفوّقَ الدّستور، ويجسِّد - من ثَمّ - قيمتَه القانونيّة، عن طريق إخضاع إصداره وتعديله لجملةٍ من القيود الصّارمة، ما يجعلُ المساسَ به أمراً عسيراً.

أمّا الدّساتير المَرِنة: فهي الّتي تُعدَّل كما القوانين العاديّة، حيث تستطيع الهيئة التّشريعيّة تعديلها أو إبطالها بيُسرٍ وسهولة، وخيرُ مثالٍ لها الدّستور الإنكليزيّ الّذي يقوم على ضروب من الأعراف والسّوابق، وكثيراً ما يطاله البرلمان بالتّعديل.

أساليب وضع الدّستور

يرتبط وضع الدّستور إلى حدٍّ كبيرٍ بظروفٍ تاريخيّة من ناحية، وبمدى تبنِّي أسُس الدّيمقراطيّة واستقرارها من ناحيةٍ أخرى، وتقسم أساليب وضع الدّستور - بلحاظ دور الشّعب فيها - إلى طائفتَين:

١ - الأساليب غير المباشرة: وهي الّتي لا يقوم الشّعب فيها بوضع الدّستور، إنّما يقوم الحاكم بوضعه منفرداً (منحة)، أو بالاشتراك مع الشّعب (عقد).

أ) المنحة: وفيها يتنازل الحاكم عن بعض سلطاته إلى شعبه، وفي هذه الحالة يكون الدّستور النّاجم عن هذا التّنازل وليدَ إرادةٍ منفردةٍ للحاكم، وغالباً ما يأتي هذا التّنازل نتيجة ضغطٍ شعبيٍّ واسع، ومن أمثلته دستور «موناكو» عام ١٨١٢م.

ب) العقد: ينشأ الدّستور فيه باتّفاقٍ بين الحاكم والأمّة، ويتجسّد هذا الأسلوب بإقدام الأمّة على انتخاب جمعيّةٍ تأسيسيّةٍ لوضع مشروع الدّستور، الّذي يُعرَض في خطوةٍ تالية على الحاكم ليوافق عليه ويصدِّقه، ويصبح نافذاً.

٢ - الأساليب المباشرة: وتشتهر بأسلوبَين رئيسَين:

أ) أسلوب الجمعيّة التّأسيسيّة: ومضمونه أن يقوم الشّعب بانتخاب هيئةٍ خاصّة تتولّى وضع الدّستور باسمه ونيابةً عنه.

ب) أسلوب الاستفتاء الشّعبيّ: وفيه يباشر الشّعبُ بنفسه سلطاته، فإذا وافق الشّعب على مشروع دستورٍ معيّن، فإنّه يصبح نافذاً ذا قوّة قانونيّة.

* (مختصر نقلاً عن الموسوعة العربيّة، المجلّد التّاسع)

حِكم

من أقوال أمير المؤمنين عليه السّلام

إنَّما الدُّنْيا مُنْتَهى بَصَرِ الأَعْمى

* «..الدُّنْيا رَنِقٌ مَشْرَبُها، رَدِغٌ [أي وحل] مَشْرَعُها "..." غُرورٌ حائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زائِلٌ».
* «الدُّنْيا تارِكَةٌ لَنا وَإِنْ لَمْ نُحِبَّ تَرْكَها، مَبْلِيَةٌ لِأَجْسامِنا وَإِنْ كُنّا نُحِبُّ تَجْديدَها»
* «سُرورُ الدُّنْيا مَشُوبٌ بِالحُزْنِ».
* «إِنَّما الدُّنْيا مُنْتَهى بَصَرِ الأَعْمى».
* «لَيْسَ فَناءُ الدُّنْيا بَعْدَ ابْتِداعِها بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشائِها وَاخْتِراعِها».
* «المُتَّقونَ أَرادَتْهُمُ الدُّنْيا فَلَمْ يُريدوها، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْها».
* «مَنْ رَكِبَ لُجَجَ الدُّنْيا غَرِقَ».

لغة

العادة والسنة/ البدو والظهور

الفَرْقُ بَيْنَ العادَةِ وَالسُّنَّةِ: أَنَّ الْعَادَةَ مَا يُديمُ الْإِنْسَانُ فِعْلَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَالسُّنَّةُ تكونُ عَلى مِثَالٍ سَبَقَ. وَأَصْلُ السُّنَّةِ الصُّورَةُ، وَمِنْه يُقَال سُنَّةُ الْوَجْهِ، أَيْ صُورَتُهُ، وَسُنَّةُ الْقَمَرِ، أَيْ صورَتُهُ.

وَالسُّنَّةُ فِي الْعُرْفِ تَوَاتُرٌ وَآحادٌ، فَالتَّواتُرُ مَا جَازَ حُصُولُ الْعِلْمِ بِهِ لِكَثْرَةِ رُوَاتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَحْصُلُ فِي الْعَادَةِ إِلّا إِذا كَثُرَتِ الرُّوَاةُ، والآحادُ مَا كَانَ رُوَاتُهُ الْقَدرَ الَّذِي لَا يُعْلَمُ صِدْقُ خَبَرِهِمْ لِقِلَّتِهِمْ، وَسَوَاءٌ رَوَاهُ وَاحِدٌ أَوْ أَكْثَرُ، وَالْمُرْسَلُ مَا أَسْنَدَهُ الرّاوي إِلَى مَنْ لَمْ يَرَهُ وَلَم يَسْمَعْ مِنْهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

**

الْفَرْقُ بَيْنَ الْبُدُوِّ وَالظُّهورِ: أَنَّ الظُّهُورَ يَكونُ بِقَصْدٍ وَبِغَيْرِ قَصْدٍ؛ تَقولُ: اسْتَتَرَ فُلَانٌ ثمَّ ظَهَرَ، وَيَدُلُّ هَذَا عَلى قَصْدِهِ للظُّهورِ. وَيُقَالُ: ظَهَرَ أَمْرُ فُلَانٍ، [و] إِنْ لَمْ يَقْصُدْ لِذَلِك، فَأَمّا قَوْله تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ..﴾ الروم: ٤١، فَمَعْنَى ذَلِكَ الْحُدُوثُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ: «ظَهَرَتْ فِي وَجْهِهِ حُمْرَةٌ»، أَيْ حَدَثَتْ، وَلَمْ يَعْنِ أَنَّهَا كَانَت فِيهِ فَظَهَرَتْ.

وَالبُدُوُّ مَا يَكونُ بِغَيْرِ قَصْدٍ، تَقولُ بَدا البَرْقُ، وَبَدا الصُّبْحُ، وَبَدَتِ الشَّمْسُ، وَبَدا لِيَ الشَّيْءُ، لِأَنَّكَ لَمْ تَقْصُدْ لِلْبُدُوِّ، وَقيلَ فِي هَذَا بُدُوٌّ، وَفِي الأَوَّلِ بَدءٌ، وَبَيْنَ الْمَعْنَيَيْنِ فَرْقٌ، وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ.

(أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ

«..فَاستَعمَلتُ ما وَصَفَ لي، فَعوفيتُ»

«قَد خَرَجَتْ قافِلَةٌ مِن خُراسانَ إلى كِرمانَ، فَقَطَعَ اللُّصوصُ عَلَيهِمُ الطَّريقَ وأخَذوا مِنهُم رَجُلاً اتَّهَموهُ بِكَثرَةِ المالِ، فَبَقِيَ في أيديهِم مُدَّةً يُعَذِّبونَهُ لِيَفتَدِيَ مِنهُم نَفسَهُ، وأقاموهُ فِي الثَّلجِ، ومَلأوا فاهُ مِن ذلِكَ الثَّلجِ فَشَدّوهُ، فَرَحِمَتْهُ امْرَأَةٌ مِن نِسائِهِمْ فَأَطلَقَتْهُ وَهَرَبَ، فَانفَسَدَ فَمُهُ ولِسانُهُ حَتّى لَم يَقدِرْ عَلَى الكَلامِ.

ثُمَّ انصَرَفَ إلى خُراسانَ وسَمِعَ بِخَبَرِ عَلِيِّ بنِ موسَى الرِّضا، عليه السلام، وأَنَّهُ بِنَيْسابورَ، فَرَأى فيما يَرَى النّائِمُ كَأَنَّ قائِلاً يَقولُ لَهُ: إنَّ ابنَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قَد وَرَدَ خُراسانَ فَسَلْهُ عَن عِلَّتِكَ، فَرُبَّما يُعَلِّمُكَ دَواءً تَنتَفِعُ بِهِ.

قالَ: فَرَأَيتُ كَأَنّي قَد قَصَدتُهُ، عليه السلام، وشَكَوتُ إلَيهِ ما كُنتُ دُفِعتُ إلَيهِ، وأخبَرتُهُ بِعِلَّتي، فَقالَ لي: **خُذْ مِنَ الكَمّونِ وَالسَّعْتَرِ وَالمِلحِ وَدُقَّهُ، وخُذْ مِنهُ في فَمِكَ مَرَّتَينِ أو ثَلاثاً، فَإِنَّكَ تُعافى.**

فَانتَبَهَ الرَّجُلُ مِن مَنامِهِ، ولَم يُفَكِّرْ في ما كانَ رَأى في مَنامِهِ ولا اعتَدَّ بِهِ، حَتّى وَرَدَ بابَ نَيْسابورَ، فَقيلَ لَهُ: إنَّ عَلِيَّ بنَ موسَى الرِّضا، عليه السلام، قَدِ ارتَحَلَ مِن نَيْسابورَ وهُوَ بِرِباطِ سعد "..." فَقَصَدَهُ إلى رِباطِ سعد، فَدَخَلَ إلَيهِ، فَقالَ لَهُ: يَا ابنَ رَسولِ اللهِ، كانَ مِن أمري كَيتَ وكَيتَ، وقَدِ انفَسَدَ عَلَيَّ فَمي ولِساني، حَتّى لا أقدِرَ عَلَى الكَلامِ إلّا بِجُهدٍ، فَعَلِّمني دَواءً أنتَفِع بِهِ.

فَقالَ الرِّضا عليه السلام: **أَلَمْ أُعَلِّمكَ؟! إذهَبْ فَاستَعمِلْ ما وَصَفتُهُ لَكَ في مَنامِكَ.** فَقالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابنَ رَسولِ اللهِ، إن رَأَيتَ أن تُعيدَهُ عَلَيَّ. فَقالَ عليه السّلام: **خُذْ مِنَ الكَمّونِ وَالسَّعتَرِ وَالمِلحِ فَدُقَّهُ وخُذْ مِنْهُ في فَمِكَ مَرَّتَينِ أو ثَلاثاً، فَإِنَّكَ سَتُعافى.** قالَ الرَّجُلُ: فَاستَعمَلتُ ما وَصَفَ لي، فَعوفيتُ».

(الصّدوق، عيون أخبار الرّضا عليه السّلام)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

نَهرا الأردُنّ والعَوْجاء

نَهْرُ الأردنّ: الأُرْدُنُّ بضمّ الهمزةِ، وسكونِ الرّاءِ المُهملة، وضمّ الدّال المهملةِ أيضاً، وتشديد النّون. كذا ضبطه السّمعانيّ في (اللّباب)، قال: وهي بلدةٌ من بلاد الغورِ من الشّام، نُسب إليها النّهرُ، ويُسمَّى الشّريعة أيضاً. وأصلُه من أنهارٍ تصبّ من جبلِ الثّلجِ [جبل الشّيخ] إلى بحيرة بانياس، ثمّ يخرجُ من البحيرةِ المذكورةِ ويصبُّ في بحيرة طبريّة، ويمتدّ جنوباً، وهناك يصبُّ في اليرموك بين بحيرة طبريّة المذكورة وبين القصير، ويمتدّ في وسط الغَور جنوباً حتّى يجاوز بيسان، ويمتدّ في الجنوب كذلك إلى أَريحا، ولا يزال يمتدّ في الجنوب حتّى يصبّ في بحيرة زغر، وهي البحيرة المُنتنة المعروفة ببحيرة لوط.

***

نَهْرُ العَوْجَاء: بفتح العَين المهملة، وسكون الواو، وفَتح الجيم، وبعدها ألف. ويُسمّى نهر أبي فُطرس، بضمّ الفاء، وبالطّاء، والرّاء، والسّين المهمَلات. وهو نهرٌ شماليّ مدينة الرّملة من فلسطين باثنَي عشر ميلاً، ومنبعُه من تحت جبل الخليل، عليه السلام، مقابل قلعةٍ خرابٍ هناكَ تُسمّى مجد اليابا (مجدلياب). ويجري هذا النّهر من الشّرق إلى الغرب، ويصبّ في بحر الرّوم [الأبيض المتوسّط] جنوبيّ غابة أرسوف [أرسوف: بلدة على ساحل فلسطين قريبة من يافا]، ومن منبعه إلى مصبّه دون مسافة يوم. قال [المهلبي] في (العزّيزي): «وما التقى عليه جيشان، إلّا غلبَ الغربيُّ وانهزمَ الشّرقيّ».

(القلقشنديّ، صبح الأعشى)

خَمسون خَصْلَةً

«..فهذه صفةُ المؤمن»

برواية الشّيخ الصّدوق

*** (الخصال) كتابٌ في الأخلاق للشّيخ الصّدوق، أبي جعفر، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ، المتوفّى بالرّيّ سنة ٣٨١ للهجرة.**

*** قال في مقدّمة الكتاب: «وجدتُ مشايخي وأسلافي - رحمة الله عليهم - قد صنّفوا في فنون العلم كُتُباً، وأغفلوا عن تصنيفِ كتابٍ يشتملُ على الأعداد، والخصال المحمودة والمذمومة، ووجدتُ في تصنيفه نفعاً كثيراً لطالب العلم، والرّاغب في الخير، فتقرّبتُ إلى الله جلّ اسمُه بتصنيف هذا الكتاب، طالباً لثوابه».**

*** ابتدأ الشّيخ الصّدوق، رضوان الله عليه، بباب الواحد، ثمّ الاثنين، ثمّ الثّلاثة، وهكذا إلى باب الخصال الأربعماية، وقد حذا حذوَه المحدّث السّيّد العَيناثي العاملي مؤلّف (الاثني عشريّة في المواعظ العدديّة).**

حدّثنا أبي، رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار وأحمد بن إدريس، جميعاً، قالا: حدّثنا محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ، عن أبي سليمان الحلوانيّ أو عن رجلٍ عنه، عن أبي عَبْدِ الله عليه السلام، قال:

«صِفَةُ الْمُؤْمِنِ:

١- قُوَّةٌ في دِينٍ.
٢- وَحَزْمٌ في لِينٍ.
٣- وَإيمانٌ في يَقينٍ.
٤- وَحِرْصٌ في فِقْهٍ.
٥- وَنَشاطٌ في هُدًى.
٦- وَبِرٌّ في اسْتِقامَةٍ.
٧- وَإغْماضٌ عِنْدَ شَهْوَةٍ.
٨- وَعِلْمٌ في حِلْمٍ.
٩- وَشُكْرٌ في رِفْقٍ.
١٠- وَسَخاءٌ في حَقٍّ.
١١- وَقَصْدٌ في غِنًى.
١٢- وَتَجَمُّلٌ في فاقَةٍ.
١٣- وَعَفْوٌ في قُدْرَةٍ.
١٤- وَطاعَةٌ في نَصيحَةٍ.
١٥- وَوَرَعٌ في رَغْبَةٍ.
١٦- وَحِرْصٌ في جِهادٍ.
١٧- وَصَلاةٌ في شُغلٍ.
١٨- وَصَبْرٌ في شِدَّةٍ.
١٩- وَفي الهَزاهِزِ وَقُورٌ.
٢٠- وَفي المَكارِهِ صَبُورٌ.
٢١- وَفي الرَّخاءِ شَكُورٌ.
٢٢- لا يَغْتابُ.
٢٣- وَلا يَتَكَبَّرُ.
٢٤- ولا يَبْغي.
٢٥- وإنْ بُغِيَ عليهِ صَبَرَ.
٢٦- ولا يَقطَعُ الرَّحِمَ.
٢٧- وَلَيْسَ بِواهِنٍ.
٢٨- وَلا فَظٌّ.
٢٩- وَلا غَليظٌ.
٣٠- وَلا يَسْبِقُهُ بَصَرُهُ.
٣١- ولا يَفْضَحُهُ بَطْنُهُ.
٣٢- ولا يَغْلِبُهُ فَرْجُه.
٣٣- ولا يَحْسُدُ النَّاسَ.

٣٤- ولا يَفْتُرُ. [من فَتَرَ أي يَتكاسل، ويُمكن أن تكون يَفْتَرُّ أي يهرب، من فَرَر]
٣٥- ولا يُبَذِّرُ.
٣٦- ولا يُسْرِفُ.
٣٧- بل يَقتَصِدُ.
٣٨- يَنْصُرُ المَظْلومَ.
٣٩- ويَرْحَمُ المَساكينَ.
٤٠- نَفْسُهُ مِنْهُ في عَناءٍ.
٤١- وَالنّاسُ مِنْهُ في راحَةٍ.
٤٢- لا يَرْغَبُ في عِزِّ الدُّنْيا.
٤٣- ولا يَجْزَعُ مِنْ أَلَمِها.
٤٤- للنَّاسِ هَمٌّ قَدْ أَقْبَلوا عَلَيْهِ، ولَهُ هَمٌّ قَدْ شَغَلَهُ.
٤٥- لا يُرى في حِلْمِهِ نَقْصٌ.
٤٦- وَلا في رَأْيِهِ وَهْنٌ.
٤٧- وَلا في دِينِه ضَياعٌ.
٤٨- يُرْشِدُ مَنِ اسْتَشارَهُ.
٤٩- ويُساعِدُ مَنْ ساعَدَهُ.
٥٠- وَيكيعُ (ويكتَع) [كاع: جَبُنَ، ويكتع بمعنى يهرب] مِنَ الباطِلِ وَالخِنى [الفُحش] وَالجَهْلِ.

فَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ».

إصدارات عربية

الكتاب: علوم القرآن عند العلّامة آية الله السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره

المؤلّف: الشّيخ عارف هنديجاني فرد

النّاشر: «جمعيّة القرآن الكريم للتّوجيه والإرشاد»، بيروت ٢٠١٣م

كتاب «علوم القرآن عند العلّامة آية الله السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره» للشّيخ عارف هنديجاني فرد، يُعرّف بالعلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ، صاحب (تفسير الميزان)، وبمنهجه العلميّ والتّفسيريّ الّذي اعتمده رحمه الله، وهو «نهج الرّسول صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السّلام»، وفق تعبير المؤلّف، موضحاً أنّ السّيّد الطّباطبائيّ كان «مفكّراً وفيلسوفاً وحكيماً متألّهاً، لم يكن يمرّ على المطالب بسهولة "..." ولم يكن يخرج عن دائرة البرهان في الأبحاث الفلسفيّة "..." وكان يحرص كثيراً أن ينحصر البحث في كلّ فرعٍ من العلوم حول مسائل ذلك العلم وموضوعاته وأحكامه، دون الخَلط بين العلوم "..." وجعلَ أساسَ تفسيره رفع إبهام القرآن بالقرآن».

الكتاب: وصايا الأولياء

المؤلّف: مركز نون للتّأليف والتّرجمة

النّاشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، بيروت ٢٠١٤م

ضمن سلسلة الدّروس الثّقافيّة، صدر عن «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة» كتاب «وصايا الأولياء – دروس وعِبر من وصايا الأنبياء والأئمّة عليهم السلام».

يشير الكتاب بدايةً إلى أهمّيّة الوصيّة في النّصّ القرآنيّ، وإلى دأْب الأنبياء صلوات الله عليهم، على الوصيّة بالخير إلى النّاس عامّة وخاصّة، ثمّ وصايا الأئمّة عليهم السّلام وما تضمّنته من توجيهات، وصولاً إلى وصايا علماء الأمّة، والشّهداء.

ونظراً لما في هذه الوصايا من قيمةٍ علميّةٍ وتربويّةٍ، وأثرٍ في النّفس، فقد تمّ تخصيص هذا الكتاب بمجموعة منها، طلباً للفائدة الّتي يطالُ أثرُها الفرد والمجتمع.

الكتاب: أهل البيت في الشّعر العربيّ

المؤلّف: الدّكتور محمّد تقي مشكور

النّاشر: «باقيات»، قمّ ٢٠١٤م

كتاب «أهل البيت في الشّعر العربيّ» لمؤلّفه الدّكتور محمّد تقي مشكور، الصّادر حديثاً في جُزأَين عن دار «باقيات» في قمّ المقدّسة، يستعرض عدداً كبيراً من القصائد المنظومة في مدح المعصومين عليهم السّلام ورثائهم، بدءاً من صدر الإسلام وحتّى عصرنا الحالي، وقد رُتّبت هذه القصائد أبجديّاً على حروف القوافي.

ويرى المؤلّف الدّكتور مشكور أنّ «الشّعر قد ألقى الحجّة على النّاس عبر التّاريخ... وأنّ له دوراً أخلاقيّاً وتُراثيّاً..»، لا يصحّ التّغافل عنه.

الكتاب: كواكب مشهد الكاظمَين في القرنَين الأخيرَين والقرن الحاليّ

المؤلّف: عبد الكريم الدّبّاغ

النّاشر: «الأمانة العامّة للعتبة الكاظميّة المُقدّسة»، بغداد ٢٠١٠م

صدر عن «الشّؤون الفكريّة والثّقافيّة» لـ «العتبة الكاظميّة المقدّسة» كتاب «كواكب مشهد الكاظمَين»، وهو في جُزأَين، يتناول سِيَر طائفةٍ من الأعلام المَدفونين بجوار مشهد الإمامين الكاظمَين عليهما السّلام.

الكتاب توثيقيّ، يهدف إلى تعريف الأجيال بعلماء وشعراء وأفاضل، من خلال سرد تراجمهم وأدوارهم وما قدّموه لمجتمعهم، ليكونوا قُدْوَةً وأُسوةً في مجالات الحياة المختلفة، وللنّهوض بالواقع العلميّ والتّربويّ والفكريّ على هَدْي علوم رسول الله صلّى الله عليه وآله، وآله الأطهار عليهم السّلام.

يتضمّن الجزء الأوّل ١٧٤ ترجمة، مقابل ١١٩ ترجمة في الجزء الثّاني، بالإضافة إلى مُلحق الصّور، وفهرس ألفبائيّ بأسماء الأعلام.

الكتاب: «المرأة: عِلْمها، وعَملُها، وجِهادُها»

La femme: instruction, travail et lutte (jihad)

المؤلِّف: الإمام الخامنئيّ دام ظلّه

النّاشر: «البراق»، باريس ٢٠١٤م

ضمن سلسلة «الإسلام والآخر» الّتي يُعدُّها وينشرُها «دار البراق» في باريس، صدر حديثاً كتابٌ حملَ عنوان: (المرأة، علمها وعملها وجهادها)، وهو مختارات من أعمال الإمام السّيّد عليّ الخامنئيّ وخطبه وتوجيهاته، الّتي أعدّها «مركز النّشر الإسلاميّ» في طهران.

يتناول الكتابُ، الّذي صدر باللّغة الفرنسيّة، موقفَ الإسلام من المرأة، وحضورَها في ميادين الإنتاج العلميّ والمعرفيّ، وجهادها الاجتماعيّ.

وقد جرى اختيارُ هذه النّصوص من الكُتُبِ والدّروسِ الّتي ألقاها الإمامُ الخامنئيّ في مناسبات مختلفة، وفيها يُبيّنُ القواعِدَ الشّرعيّةَ والأخلاقيّةَ لعمل المرأة، ودَوْرَها في الإحياء الحضاريّ الإسلاميّ، وبناء المجتمع والأسرة.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

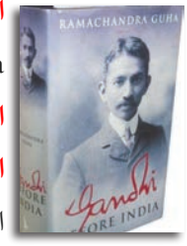

الكتاب: «غاندي ما قبل الهند»

Gandhi Before India

المؤلِّف: راماشاندرا غوها

النّاشر: «Penguin India»، ٢٠١٣م

ارتبط تاريخ الهند الحديث بشخصيّة المهاتما غاندي، m يكرّس الكاتب والمؤرّخ والأستاذ الجامعيّ الهنديّ، راماشاندرا غوها الّذي قدّم سابقاً كتاباً عن «الهند بعد غاندي»، عمله الجديد لـ «غاندي ما قبل الهند»، أي لسيرة حياته قبل أن يصبح المهاتما غاندي.

يرسم راماشاندرا غوها، صورةً للزّعيم الهنديّ كـ «كائنٍ إنسانيٍّ»، مثل بقيّة البشر، وليس كـ «بطلٍ أُسطوريٍّ»، كما قدّمه غالبيّة الّذين تصدّوا لكتابة سيرة حياته. هكذا نتعرّف، من خلال هذه السّيرة إلى «غاندي طالب الحقوق» في إحدى جامعات العاصمة البريطانيّة، وإلى «غاندي الأب» الّذي لم يكن دائماً بالقرب من أبنائه. ويشرح المؤلِّف أنّه كان لغاندي علاقات متوتِّرة جدّاً مع ابنه البكر، وأنّه لم يفهم جيّداً طموحات هذا الإبن، ويعيد راماشاندرا غوها تلك العلاقة المتوتِّرة، إلى ظروف زواج غاندي الأب.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

الكتاب: إصلاح المُجتمع

Réforme de la Société

المؤلِّف: الإمام الخمينيّ قدّس سرّه

ترجمة: راغدة عسيران

النّاشر: «المكتبة الشّرقيّة»، باريس ٢٠١٤م

في إطار نقل تراث الإمام الخمينيّ قدس سره الفكريّ والأخلاقيّ والفقهيّ إلى اللّغات الأجنبيّة، صدر، في باريس، كتابٌ جديد باللّغة الفرنسيّة تحت عنوان: (إصلاحُ المجتمع).

هذا الكتاب، الّذي ترجمته إلى الفرنسيّة الباحثة راغدة عسيران، يتناول آراء الإمام الخميني ومواقفه، قبل الثّورة الإسلاميّة وبعدها، حول ضرورة إصلاح البناء الاجتماعيّ في مجال القِيَم الأخلاقيّة المستمدّة من رسالة الوحي والآيات القرآنيّة الشّريفة، والرّوايات المنقولة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

يضمّ هذا الكتابُ مختاراتٍ من أعمالِ الإمام الخمينيّ، ومؤلّفاتِهِ الفقهيّةِ والفكريّةِ والسّياسيّة، وكذلك مُقتطفاتٍ من مُؤلّفاتِهِ العرفانيّة، وخصوصاً (أسرار الصّلاة)، و(شرح دعاء السَّحر)، وسواها من المُؤلّفات المتعلّقة بالسَّير والسُّلوك.

نشير إلى أنّ هذه المختارات أُعدَّت من جانب لجنة متخصّصة، تابعة لمؤسّسة «إحياء تراث الإمام الخمينيّ قدس سره» في طهران.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

دوريات

«المنهاج» (٧١)

عن «مركز الغدير للدّراسات» صدر العدد الجديد من المجلّة الفصليّة الثّقافيّة الإسلاميّة «المنهاج»، وفيها ضمن باب الدّراسات:

- «فلسفة الذّبيح..»، بقلم جويدة غانم.
- «الحروف المقطّعة في القرآن الكريم بين الشّبهات والرّدود»، للشّيخ ليث عبد الحسين العتابيّ.
- «شيخ الإشراق، وأصالة الماهيّة أو الوجود»، بقلم محمّد محمّد رضائي.

«منتدى المنهاج» جاء تحت عنوان: «المَهدويّة، العَوْلَمة والعالميّة»، وفيه:

- «العالميّة والعَوْلَمة قراءة في المضارّ والنّتائج السّلبيّة مقارنةً بمشروع المَهدويّة العالميّ»، بقلم علي رضا صدرا.

«النّهرَيْن» (العدد صفر)

صدر عن مركز «النّهرين للدّراسات الاستراتيجيّة» العدد التّجريبيّ من مجلّة «النّهرين»، وهي مجلّة فصليّة مُحكمة تُعنى بالأبحاث والدّراسات الاجتماعيّة، وتشرف عليها هيئة علميّة تابعة لـ «معهد العلوم الاجتماعيّة» في «جامعة النّهرين» في العراق.

في هذا العدد ملفّ تحت عنوان: «الحرب النّفسيّة»، ويتضمّن أبحاثاً تتّصل بهذا النّوع من الحروب استناداً إلى التّجربة الّتي يعيشها العراق اليوم.

وقد شارك في العدد مجموعة من المُتخصّصين، نذكر من أعمالهم الأبحاث التّالية:

- «الحرب النّفسيّة مقاربة قرآنيّة» للدّكتور عادل القاضي.
- «الحرب المُجتمعيّة وآليّة إشاعة الفوضى» للدّكتور كريم محمّد حمزة.
- «الشّائعات وكيفيّة مواجهتها» للدّكتور خليل ابراهيم رسول.
- «أثر الشّائعات من خلال المَرْئيّات في تغيير الاتّجاهات» للدّكتورة ثريّا علي حسين.
- «الحرب النّفسيّة وسُبُل العمل المستقبليّ» للدّكتور سعد العبيدي.

كما يتضمّن العدد ملخّصات حول هذه الأبحاث باللّغة الإنكليزيّة.

«الوحدة الإسلاميّة» (٤٨)

صدر العدد الجديد من مجلّة «الوحدة الإسلاميّة»، وهي شهريّة إسلاميّة تصدر عن «تجمّع عُلماء المسلمين» في لبنان.

وممّا جاء في هذا العدد:

- «لكم دينكم ولي دين» بقلم الشّيخ محمّد عمرو.
- «نظرة السّنّة النّبويّة إلى الكافر إنساناً» للشّيخ د. أكرم بركات.

وفي ملفّ فلسطين، نقرأ:

- «اعتقال الأطفال: جريمة صهيونيّة ضدّ الإنسانيّة» بقلم ازدهار معتوق.

«نور الإسلام» (١٦٩-١٧٠)

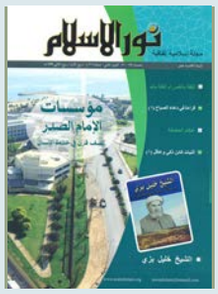

في العدد الجديد من مجلّة «نور الإسلام» الّتي تصدر عن «مؤسّسة الإمام الحسين عليه السّلام الخيريّة الثّقافيّة»، نقرأ مواضيع متعدّدة، منها حسب الأبواب:

- **أحيوا أمرنا**: «الرّحمة المهداة» بقلم السّيّد باسم الصّافي.
- **عقيدة وقرآنيّات**: «دور الإمامة» للسّيّد حسين نجيب محمّد.
- **أعلام وشخصيّات**: «الشّيخ خليل بزّي» للدّكتورة باسمة شامي بزّي.
- **كلامكم نور**: «قراءة في دعاء الصّباح» للدّكتور يحيى الشّامي.
- **أخلاق**: «التّربية في الدّين» للعلّامة السّيّد حسين إسماعيل الصّدر.
- **قضيّة ورأي**: «الثّقة بالنّفس أم الثّقة بالله» لمرتضى السّيّد حيدر شرف الدّين.
- **أسرة ومُجتمع**: «كيف تكون إيجابيّاً» للسّيّد علاء الفاضلي.

كما يتضمّن العدد مجموعة من المواضيع الأُسَريّة والثّقافيّة، وترجمة إنكليزيّة لعددٍ من الأبواب.

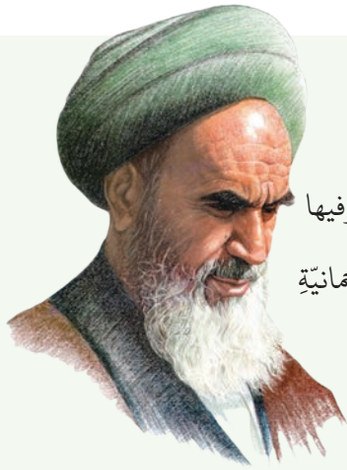

وَيْلٌ لِمَنْ كانَ شَفيعُهُ خَصْمَهُ

اعلم أنَّ للنّفسِ الإنسانيّةِ مَمْلكةً ومقاماً آخَرَ، وهي مَمْلكتُها الباطنيّةُ ونَشأتُها الملكوتيّة، وفيها تكونُ جنودُ النّفسِ أكثرَ وأهمَّ ممّا في مَمْلكةِ الظّاهر، والصّراعُ والنّزاعُ فيها بين الجنودِ الرّحمانيّةِ والشّيطانيّةِ أعظم، والغلَبةُ والانتصارُ فيها أشدّ وأهمّ، بل كلّ ما في مملكةِ الظّاهرِ قد تنزَّل من هناك، وتظَهَّر في عالم المُلك. وإذا تغلّبَ أيٌّ من الجُند، الرّحمانيّ أو الشّيطانيّ، في تلك المملكة، يتغلّب أيضاً في هذه المملكة. وجهادُ النّفسِ في هذا المَقامِ مُهِمٌّ للغايةِ عند أهلِ السّلوكِ والأخلاقِ، بل ويمكنُ اعتبارُ هذا المقامِ مَنبعَ جميعِ السّعاداتِ والتّعاساتِ، والدّرَجاتِ والدّرَكات.

ويجبُ على الإنسانِ الالتفاتُ كثيراً إلى نفسِهِ في هذا الجِهاد. فَمِنَ المُمْكِن، لا سَمَحَ اللهُ، أنْ تسفرَ هزيمةُ الجنودِ الرَّحمانيّةِ في تلك المملكةِ وتركها خاليةً للغاصِبينَ والمُحتلّين من جُنودِ الشَّيطان، عن الهلاكِ الدّائمِ للإنسانِ بالصّورةِ الّتي يَستحيلُ معها تلافي الخَسارة، ولا تشملُه شفاعةَ الشّافعين، وينظرُ إليه أرحمُ الرّاحمين أيضاً بعينِ الغَضَبِ والسَّخَطِ - نَعوذُ باللهِ من ذلك - بل ويُصْبِحُ شُفَعاؤُهُ خُصَماءَهُ، وويلٌ لِمَنْ كان شَفيعُه خَصْمَه.

ويعلم الله أيّ (عذاباتٍ) وظلماتٍ وشدائدَ وتعاساتٍ تَلي هذا الغضبَ الإلهيَّ، وتعقبُ معاداةَ أولياء الله؛ حيث تكونُ كلُّ نيرانِ جهنّمَ وكلُّ الزّقّوم والأفاعي والعقارب، لا شيءَ أمامَ هزيمةِ جُنود الرّحمن من قِبَلِ جنود الشّيطان، الّتي تترتّب عليها عقوباتٌ تفوقُ جميعَ نيرانِ جهنّمَ والزّقّوم والأفاعي. "..."

إنّ وصفَ النّارِ والجنّةِ الواردَ في كتابِ اللهِ وأحاديثِ الأنبياءِ والأولياءِ، يتعلّقُ، غالباً، بنارِ الأعمالِ وجنّتِها اللّتَيْنِ أُعِدّتا للأعمالِ الصّالحةِ والسّيّئةِ. وهناك إشارةٌ خفيّةٌ أيضاً إلى جنّةِ الأخلاقِ ونارِها، وأهمّيّتهما أكبر، وأحياناً يُشارُ أيضاً إلى جَنّةِ اللّقاءِ ونارِ الفِراقِ، وهذه أهمُّ من الجميع، ولكنّها إشاراتٌ مَحْجوبةٌ عنّا، ولها أهلُها، وأنا وأنتَ لَسْنا من أهلِها، ولكن من الأجدرِ بنا أن لا نكونَ مُنكِرين لها. وَلْيَكُنْ لدينا إيمانٌ بكلّ ما قالَه اللهُ تعالى وأولياؤه، إذ يكونُ في هذا الإيمانِ الإجماليِّ نفعٌ لنا. ومن المُمكنِ أن يكونَ (للإنكار) في غير مَحلّه، ولما رُفض في غيرِ مَوْقِعِه، الصّادرَين [الإنكار والرّفض] عن غير علمٍ وفهمٍ، أضرارٌ كبيرةٌ جدّاً علينا. وهذه الدّنيا ليستْ هي بعالَمِ الالتفاتِ لتلك [الإحاطة بتلك] الأضرار. "..." فما قالوه بشأنِ جَنّةِ الأخلاقِ والمَلَكات، وجهنّم الأخْلاقِ والدّركات، مُصيبةٌ لا يَطيقُ العقلُ حتّى سَماعها.

إذاً فيا أيُّها العزيز؛ فكّرْ، وابحثْ عن العِلاج، واعثرْ على سبيلِ نجاتِك ووسيلةِ خَلاصِك، واستَعِنْ باللهِ أرْحَمِ الرّاحمين، واطلبْ من الذّات المُقدّس في اللّيالي المُظلمة، بِتَضَرُّعٍ وخُضوعٍ أن يُعينَكَ في هذا الجِهادِ المُقدَّسِ مع النّفس، لكي تتغلّبَ، إن شاءَ الله، وتجعلَ مملكةَ وُجودِك رحمانيّةً، وتَطْرُدَ منها جنودَ الشَّيْطان، وتُسَلِّمَ الدّارَ إلى صاحبِها، حتّى يَفيضَ اللهُ عليك بالسّعادة والبهجة والرّحمة، التي يهونُ بِجانبِها كلُّ ما سَمِعْتَ عن وصفِ الجنّةِ والحُورِ والقُصور، وتلك هي السّلطةُ الإلهيّةُ العامّةُ الّتي أخبرَ عنها أولياءُ اللهِ من هذه الأُمّةِ الحَنيفة، ممّا لم يَطْرُقْ سَمْعَ أَحَدٍ، ولم يَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ.